قلائد العقيان للفتح بن
خاقان رحمه الله
تعالى

م

هذا ما كتبه لمصنف هذا الكتاب معاصره الاستاذ أبو محمد عبد الله
ابن محمد ابن السيد البطليوسى

تأملت فسح الله لسيدى وولى فى أمد بقائه كتابه الذى شرع فى انشائه فرأيته كتابا سينجد ويغور ويبلغ حيث لا تبلغ البدور وتبين به الذرى والمناسم وتغتدى له غرر فى أوجه ومناسم فقد أسجد الله الكلام لكلامك وجعل النيرات طوع أقلامك فأنت تهدى بنجومها وتردى برجومها فالنثرة من نثرك والشعرى من شعرك والبلغاء لك معترفون وبين يديك متصرفون وليس يباريك مبار ولا يجاريك الى الغاية مجار الاوقف حسيرا وسبقت ودعى أخيرا وتقدمت لا عدمت شفوفا ولا برح مكانك بالآمال محفوفا بعزة الله

(وهذا مختصر ترجمة المصنف المذكورة فى وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسى الاصل له عدة تصانيف منها قلائد العقيان جمع فيه من شعراء الغرب طائفة كثيرة وتكلم على ترجمة كل واحد منهم بأعذب عبارة وله أيضا كتاب مطمح الانفس ثلاث نسخ كبير ووسيط وصغير وهو كتاب كثير الفوائد وكلامه فى هذه الكتب يدل على فضله وغزارة مادته توفى قتيلا سنة خمس وثلاثين وقيل تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة مراكش فى الفندق يقال ان الذى أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن على بن يوسف بن تاشفين أخو أبى اسحق ابراهيم الذى ألف له أبو نصر كتاب قلائد العقيان وقد ذكره فى خطبة الكتاب اه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى راض لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا وشاد مثواه فى أجنتنا وذلل
لنا من الفصاحة ما تصعب فلكناه وأوضح لنا من مشكلاتها ما تشعب فسلكناه
فصار لنا الكلام عبدا يجيب إذا ناديناه وسهما يصيب الغرض إذا رميناه
وصلى الله على سيدنا محمد الذى بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
(وبعد) فان الأدب أجمل ما التحفته الهمة وعرفته هذه الأمة فانه مطلق
اللسان من عقال ومنطق الانسان بصواب المقال وله من النثر والنظم نجمان
صارت القلوب لهما فلكا والخواطر مسلكا ومازالت صدور الملوك لهما
محلا ولباتهم بهما تتحلى ومجتمعاتهم ميدان مجالهما ومكان رويتهما
وارتجالهما ترشف فيها ثغورهما ويقطف لديها نورهما وكان الندى
يسقيهما فيثمران بالإبداع ويسفران عن محاسن كالصبح عند الانصداع ثم
تقلص ذلك البرد الضافى وتكدر ورد الأمل الصافى وزهد فى اقتناء المعارف
وعريت الهمم عن تلك المطارف ورمت المحاسن أغراض المطالب فما أصابت

وهمت البدائع فلم توقع لها الرغائب حين صابت وكلت الخواطر وأقشعت سحائبها المواطر فأصبح الادب قد دجت مطالعه وخوى طالعه ولما رأيت عنانه في يد الامتهان وميدانه قد عطل من الرهان ونوازه قد صدئت في أغمادها وشعله قد قذيت برمادها تداركت منه الذماء الباقي وتلافيت له نفسا قد بلغت التراقي وانتخبت منه لمعا كالشنوف المرهفة والشفوف المفوفة قد ثقفت تثقيف القداح وأبرزت كالنواهد الرداح وانتقيت من توليده المخترع وتجديده المبتدع لما يهزلها الزمان عطفه انتشاء وتروق كالنجوم طلعت عشاء وضممتها الى صوان يحفظها وديوان يديها للعيون فتلحظها ليعلم أن بالاوان اقتنانا جرت له العوائق بنا تأويانا فأبقت منه أثر الاعيانا ورجالا لم تفسح لابداعهم مجالا فتلفعت محاسنهم بنقابها وتوارت كالاراقم في أنقابها فأظهرت ماخفي من نثارهم ودللت على مراتبهم في المعارف واقدارهم واستثبت في انتقاء من أثبت وانتخبت ماجلبت وشنفت ماصنفت حتى أتى وكأن البدر في لبته ونسيم المسك من هبته تجنح اليه الافكار جنوح الطير الى الاوكار وتكلف به الخواطر كلف المعطس بالنسيم العاطر ولم يزل شخص الادب وهو متوار وزنده غير وار وجده عاثر ومنهجه داثر الى أن أراد الله اعتلاء اسمه واحياء رسمه وانارة أفقه واعادة رونقه فبعث من الامير الاجل أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ملكا عليا غدا للبة المجد حليا وهمى على الامة وسميا ووليا ألبس الدنيا جمالا وجدد لاهلها آمالا ناهيك به من ملك عالي ناظم لاشتات المعالي أصبح الدين منبسطا في نواحيه مغتبطا بمناحيه واليم فرقا من جوده مفترقا في أغواره ونجوده والباس مزدهيا بمضائه مكتنفا بانتضائه والحزم مستبصرا بمنازعه مقتصرا على أجازعه يحمي الحقيقة ويرمي الى أغراض النعمان بن الشقيقة لو جاوره كليب ماطرق حماه أو استجار به أحد من الدهر لحماه أو كان بحفر الهباءة ما انتضى قيس سيفه ولا قضى وطرا من حمل وحذيفة أو كان بوادي الاخرم لطاف به ربيعة وأحرم أو استنجده الكندي ما كسي الملاءة أو كان حاضر بسطام ما توسد على الالاءة تهابه النفوس اذا رمقته أبصارها وتلجأ اليه الرياح اذا أرهقها اعصارها لو دعا الاسد الورد لاجاب أو أومأ الى الليل البهيم لانجاب أو قعدت بين يديه الاطواد

لتحرك سكونها أوعصته الطيرما أوتهاوكونها مع عفاف كف حتى عن الطيف وحكى المحرمين بالخيف وندى خرق العوائد وأورق عوده فى يد الرائد ومجايا تنجلى بها الظلماء كأن مزاجها عسل وماء ولما أنارت به تلك الآفاق وعادبه كساد الفضل الى النفاق رأيت أن أخدم مجلسه العالى بزف الكتاب اليه وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه فوسمته باسمه وكسوته نوروسمه وجلبت العلق الى مميزه وأجريت الجواد فى ميدان محرزه وأطلعت شمس النبل فى أفقها وأتيت ببضاعة الفضل الى منفقها والله ولى التوفيق فيما قصدت والكافى من الخطاف الذى سردت فعليه كان معوّلى وبه حسن تأوّلى لا اله الا هو رب العرش العظيم

القسم الأوّل فى محاسن الرؤساء وابنائهم ودرج انموذجات من مستعذب انبائهم

(المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن عباد)

ملك قمع العدا وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا بدرهدى لم يتعطل يوما كفه ولابنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم وثغوربره بواسم ولياليه كلها دررا وللزمان أحجالا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يخلها من ظل ايناس وارف ولا عطلها من مأثرة بقى أثرها باديا ولقى معتفيه منها الى الفضل هاديا وكانت حضرته مطمحا للهمم ومسرحا لآمال الامم وموقفا لكل كمى ومقذفا لذى أنف حمى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة ومشاهير الحماة اعداد يغص بهم الفضا وأنجاد يزهابهم النفوذ والمضا وطلع فى سمائه كل نجم متقد وكل ذى فهم منتقد فأصبحت حضرته ميدانا لرهان الاذهان وغاية لرمى هدف البيان ومضمارا لاحراز خصل فى كل معنى وفصل فلم يرتسم فى زمامه الابطل نجد ولم يتسق فى نظامه الاذكاء ومجد فأصبح عصره أجمل عصر وغدا مصره أكمل مصر تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسانا سيف وقلم ويفضح الرضا فى وصفه أيام ذى سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا

ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان أقدموا أحجم عنترة العبسى وان نفروا أقصر غراية الاوسى ثم انحرفت الايام فالوت باشراقه واذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك فأصبح خائضا تحدوه الرياح وناهضا يزجيه البكا والنياح قد ضجت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه وأضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت ببهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا الدنيا مارعت حقوقه ولا أبقت شروقه فكم أحياها البنيها وأبداها رائقة لمجتليها وهى الايام لاتبقى من تجنيها ولا تبقى على مواليها ادثرت آثار جلق وأخمدت نار المحلق وذللت عزة عاد بن شداد وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد ونعت ببؤس النعمان وأكمنت غدرها له فى طلب الامان وقد أثبت من نظمه العذب الجنى الرائق السنا الفائق اللفظ والمعنى ما يمتزج بالنفوس والقلوب ويتأرج به مسرى الصبا والجنوب وذكرت أثناءه من مآثره المخترعة ومفاخره ومشاهده المستبدعة ومحاضره ما يهون الدنيا وزخرفها ويلين تقلبها وتصرفها (أخبرنى ذو الوزارتين) أبو بكر بن القصيرة أنه كان بغرفة القصر المكرم مقيما الرسوم المعتمد وحدوده ومنشئا لمخاطباته وعهوده فى اليوم الذى خرج فيه ابن عمار الى شلب معه مفتقدا الاعمالها مسددا أغراض عمالها اذ طلع اليه الوزير الاجل أبو بكر بن زيدون منشرح المحيا متضح العليا يتهلل بشرا ويتخيل أنه المسك نشرا وقال لما خرج ابن عمار الى شلب ثار للمعتمد هيامه القديم وكلفه وتجدد له معلقه بها ومألفه فانه عمرها فى ظل صباه وفرع بها هضاب السرور ورباه وبرد عمره قشيب وشبابه غض لم يرعه مشيب أيام ولاه المعتضد بالله أمرها وأدارت عليه الغرارة خمرها فقال مرتجلا وابن عمار بالانحفاز له مجلا (طويل)

ألا حى أوطانى بشلب أبا بكر * وسلهن هل عهد الوصال كما أدرى

وسلم على قصر الشراجيب عن فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر

منازل آساد وبيض نواعم * فناهيك من غيل وناهيك من خدر

وكم ليلة قد بت أنعم جنحها * بمخصبة الارداف مجدبة الخصر

سنداد اسم نهر ومنه قول أسود بن يعفر * أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذى الشرفات من سنداد * اه قاله الجوهرى

وبيض وسمر فاعلات بمهجتي * فعال الصفاح البيض والاسل السمر
وليل بسد النهر لهواقطعته * بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منعم * نضير كما انشق الكمام عن الزهر

(وأخبرني ذخر الدولة بن المعتضد) أنه دخل عليه في ليلة قد ثنى السرور منامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر بياض الاماني سوادها وغازل نسيم الروض زوّارها وعوّادها ونور السرج قد قلص اذيالها ومحا من لجين الارض نبالها والمجلس مكتس بالمعال وصوت المثاني والمثالث عال والبدر قد كمل والتحف بضوئه القصر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال (كامل)

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مدّ الظلام رداء
حتى تبدّى البدر في جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاء
لما أراد تنزها في غربه * جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لألاؤها فاستكمل الآلاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته في الارض بين مواكب * وكواعب جمعت سناوسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لنا هذى الكؤس ضياء
واذا تغنت هذه في مزهر * لم تأل تلك على التريك غناء

(وأخبرني أبو بكر بن عيسى الداني) المعروف بابن اللبانة أنه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر أمره فيه ونهيه فسقاه الساقي وحياه وسفر له الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد مادحا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستجاد قوله وأفاض عليه طوله فصدر وقد امتلأت يداه وغمره جوده ونداه فلما حل بمنزله وافاه رسوله بقطيع وكاس من بلار وقد أترع بصرف العقار ومعهما (كامل)

جاءتك ليلا في ثياب نهار * من نورها وغلالة البلار
كالمشترى قد لف من مريخه * اذ لفه في الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا وذا فتألفا * لم يلق ضد ضده بنفار
يتحير الراؤن في نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء دراري

(وأخبرني ابن اقبال الدولة بن مجاهد) أنه كان عنده في يوم قد نشر من غيمه رداءً ند وأسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قوس قزحه حنايا آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد نفث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب أبي محمد المصري (خفيف)

أيها الصاحب الذي فارقت عيـ * ـني ونفسي منه السنا والسناء
نحن في المجلس الذي يهب الرا * حة والسمع والغنى والغناء
نتعاطى التي تسمى من اللذة والرقة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا * قد أعد الك الحيا والحياء

فوافاه وألفى مجلسه قد أتلعت أباريقه أجيادها وأقامت به خيل السرور طرادها وأعطته الاماني انطباعها وانقيادها وأهدت الدنيا ليومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق أيناعها فأديرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح وأظهر المعتمد من ايناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كالشمس غربت في ثبير وعندما تناولها قام المصري ينشد أبياتا تمثلها (بسيط)

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا * بشاذ مهر ودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن علي وابن ذي يزن

فطرب حتى زحف من مجلسه وأسرف في تأنسه وأمر فخلعت عليه ثياب لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأ بالمواهب منه يدا وكان مجلس ذي الوزارتين أبي الوليد بن زيدون منحطا عن مجلسه في القعود لانفاذ أوامر أبيه المعتضد فكتب اليه (رمل)

أيها المنحط عني مجلسا * وله في النفس أعلى مجلس
بفؤادي لك حب يقتضي * أن ترى تحمل فوق الارؤس

فكتب اليه ابن زيدون مراجعا (رمل)

أسقيط الطل فوق النرجس * أم نسيم الروض تحت الحندس
أم قريض جاءني من ملك * ما لك بالبر رق الانفس
يا جمال الموكب الغادي اذا * سار فيه يا بهاء المجلس
شرفت بكر المعالي خطبة * بك فانعم بسرور المعرس

وارتشف معسول ثغر أشنب * تجتنيه من مجاج ألعس
واغتبق بالسعد فى دست المنى * يصبح الصنع دهاق الاكؤس
فاعتراض الدهر فيما شئته * مرتق فى صدره لم يهجس

(وله فى غلام) رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا ولطلا الابطال قارعا وفى الدماء والغا ولمستبشع كؤس المنايا سائغا وهو ظبى قد فارق كناسه وعاد أسدا صارت القنا أخياسه ومتكاثف العجاج قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شكتها أحداقه (كامل)

أبصرت طرفك بين مشتجر القنا * فبدا لطرفى أنه فلك
أوليس وجهك فوقه قمرا * يجلى بنيرنوره الحلك

وله فيه (متقارب)

ولما اقتحمت الوغا دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحا * عليها سحاب من العنبر

(وتوجه اليه الوزير أبو الاصبغ بن أرقم) رسولا عن المعتصم ومعه الوزير أبو عبيد البكرى والقاضى أبو بكر ابن صاحب الاحباس فلما دنا من حضرته واقترب وبات منها على قرب معتقدا حلولها بخر غده أو ضحاه معتمدا مشاهدة فطر ذلك اليوم أو أضحاه بادر بالاعلام وكتب اليه على عادة الاعلام شعرا منه (بسيط)

يا ملكا عظمته العرب والعجم * وواحدا وهو فى أثوابه أمم
انا وردنا لذو الاقطار مظلمة * والبدر يرجى اذا ما التخت الظلم

فكتب اليه رحمه الله (بسيط)

أهلا بكم صحبتكم نحوى الديم * ان كان لم يتجح لى بكم حلم
حثوا المطى ولو ليلا بجهلة * فلن تضلوا ومن بشرى لكم علم
لانتم القوم ان خطوا بجد قلم * وان يقولوا يصب فصل الخطاب فم
لاعى ان رقموا كتبا ولا حصر * اذ ينتدون ولا جور اذا حكموا
أقدم أبا الاصبغ المودود تلق فتى * هش المودة لا يزرى به سأم
هذا فؤادى قد طار السرور به * ان كنت تنقلك الوخادة الرسم
سأكتم الليل ما ألقاه من بعد * وأسأل الصبح عنكم حين يبتسم

(وأخبرنى ذخر الدولة) أنه استدعاه فى ليلة قد ألبسها البدر رداءه وأوقد فيها

أضواءه وهو على البحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها فخالها زهرا وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا وقد أرجت نوافح الند وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بأسراره وأفشى أحاديث آسه وعراره ومشى مختالا بين لبات النور وأزراره وهو وجم ودمعه منسجم وزفراتها تترجم عن غرام وتجمجم عن تعذر مرام فلما نظر اليه استدناه وقربه وشكا اليه من الهجران ما استغربه وأنشد (متقارب)

أيا نفس لا تجزعي واصبري * والا فان الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا ينصف
شجون منعن الجفون الكرى * وعوضنها أدمعا تنزف

فانصرف ولم يعلمه بقصته ولا كشف له عن غصته (وأخبرني) أنه دخل عليه في دار المزينة والزهر يحسد اشراق مجلسه والدر يحكي اتساق تأنسه وقد رددت الطير شدوها وجددت طربها وشجوها والغصون قد التحفت بسندسها والازهار تحيي بطيب تنفسها والنسيم يلم بها فتضمه بين أجفانها وتودعه أحاديث أذارها ونيسانها وبين يديه فتى من فتيانه يتثنى تثني القضيب ويحمل الكأس في راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكأن الثريا وشاحه وأنار فكان الصبح من محياه كان التضاحه فكلما ناوله الكأس خامره سروره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد (منسرح)

لله ساق مهفهف غنج * قام ليسقي فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته * في جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للامن الى فؤاده من وصول وهو يتخيل ان الجو صوارم ونصول بعد ان وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه أنسه وأزال توجسه وقال خرجت من اشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي وكففت فيه غرب دموعي بفتاة هي الشمس أو كالشمس أخالها ولا يحول قلبها ولا خلخالها وقد قلت في يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها (طويل)

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات

بكيناه دماً حتى كأن عيوننا * بجرى الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرأتني من توجعي ومكنتني من رضابها وفتنتني بدلالها وخضابها فقلت (طويل)

أباح لطيفي طيفها الخد والنهدا * فعض به تفاحة واجتنى وردا

ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين ما بيننا مدا

أما وجدت عنا الشجون معرجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدا

سقى الله صوب القطر أم عبيدة * كما قد سقت قلبي على حره بردا

هي الظبي جيداً والغزالة مقلة * وروض الربا عرفا وغصن النقا قدا

فكثر استجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه (وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج) أنه حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء في يوم غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف ولم يطرقه بصرف أرخت به المسرات عهدها وأبرزت له الاماني خدها وأرشفت فيه لماها وأباحت للزائرين حماها ومازالوا ينتقلون من قصر الى قصر ويتبذلون الغصون بجنى وهصر ويتوقلون في تلك الغرفات ويتعاطون الكؤس بين تلك الشرفات حتى استقروا بالروض من بعد ما قضوا من تلك الآثار أوطارا وأوقروا بالاعتبار قطارا فحلوا منه في درانك ربيع مفوفة بالازهار مطرزة بالجداول والانهار والغصون تختال في أدواحها وتنثني في أكف أرواحها وآثار الديار قد أشرفت عليهم كثكالى ينحن على خرابها وانقراض أطرابها والوهي بمشيدها لاعب وعلى كل جدار غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت وفاحت من شذاهم وأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث في آجامها وأخجلوا الغيوث عند انسجامها فأضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجار ولم يبق من آثارها الانؤى وأحجار وقد هوت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد فبينماهم يتعاطونها صغارا وكبارا ويديرونها أنسا واعتبارا اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها (خفيف)

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساء

قد طلعتم بها شموساً صباحاً * فاطلعوا عندنا بدوراً مساء

فساروا الى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلساً قد حار فيه الوصف واحتشد به اللهو والقصف وتوقدت نجوم مدامه وتأودت قدود خدامه وأربى على الخورنق والسدير وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير فأقاموا ليلتهم ما طرقهم نوم ولا عراهم عن طيب اللذات سوم وكانت قرطبة منتهى أمله وكان روم أمرها أشهى عمله ومازال يخطبها بمداخلة أهلها ومواصلة واليها اذ لم يكن في منازلها قائد ولم يكن لها الا حيل ومكائد لاستمساكهم بدعوة خلفائها وأنفتهم من طموس رسم الخلافة وعفائها وحين اتفق له تملكها وأطلعه فلكها وحصل في قطب دارتها ووصل الى تدبير رياستها وادارتها قال (بسيط)

من للملوك بشأو الاصيد البطل * هيهات جاءتكم مهدية الدول

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت * من جاء يخطبها بالبيض والاسل

وكم غدت عاطلاً حتى عرضت لها * فأصبحت في سرى الحلي والحلل

عرس الملوك لنا في قصرها عرس * كل الملوك به في مأتم الوجل

فراقبوا عن قريب لا أبا لكم * هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

ولما انتظمت في سلكه واتسمت بملكه أعطى ابنه الظافر زمامها وولاه نقضها وابرامها فأفاض فيها نداه وزاد على أمده ومداه وجلها بكثرة حبائه واشتغل باعبائها عن فنائه ولم يزل فيها آمراً وناهياً غافلاً عن المكر ساهياً حسن ظن بأهلها اعتقده واغترار بهم ما رواه ولا انتقده وهيهات كم من ملك كفنوه في دمائه ودفنوه بذمائه وكم من عرش ثلوه وعزيز أذلوه الى ان ثار فيها ابن عكاشة ليلاً وجر اليها حرباً وويلا فبرز الظافر منفرداً من كماته عارياً عن حماته وسيفه في يمينه وهاديه في الظلماء نور جبينه فانه كان غلاماً كما بلله الشباب باندائه وألحفه الحسن بردائه فدافعهم أكثر ليله وقد منع منه تلاحق رجله وخيله حتى أمكنتهم منه عثرة لم يقل لها لعاً ولا استقل منها ولا سعى فترك ملتحفاً بالظلماء معفراً في وسط الحماء تحرسه الكواكب بعد المواكب ويستره الحندس بعد السندس فمر بمصرعه سحراً أحد أئمة الجامع المغلسين وقد ذهب ما كان عليه ومضى وهو أعرى من الحسام المنتضى فخلع رداءه عن منكبيه ونضاه وستره به

ستراً أقنع المجد وأرضاه وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة ولا يعرف فتشكر له يده الرفيعة فكان المعتمد اذا تذكر صرعته وسعر الجوى لوعته رفع بالعويل نداءه وأنشد ولم أدر من ألقى عليه رداءه * ولما كان من الغد حز رأسه ورفع على سن رمح وهو يشرق كنار على علم ويرشق نفس كل ناظر بألم فلما رمقته الابصار وتحققته الحماة والانصار رموا أسلحتهم وسوّوا للفرار أجنحتهم فمنهم من اختار فراره وجلاه ومنهم من أتت به الى حينه رجلاه وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره ونصب الحبائل لوقوع ابن عكاشة وعثاره وعدل عن تأبينه الى البحث عن مفرقه وجبينه فلم تحفظ له فيه قافية ولا كلمة للوعته شافية الا الاشارة اليه في تأبين أخويه المأمون والراضي المقتولين في أول النائرة والفتنة الثائرة التي ينتهي بنا القول الى سرد خبرها ونص عبرها فانه قال (طويل)

يقولون صبراً لا سبيل الى الصبر * سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
نرى زهرها في مأتم كل ليلة * يخمشن لهفاً وسطه صفحة البدر
ينحن على نجمين أثكلن ذا وذا * ويا صبر ما للقلب في الصبر من عذر
مدى الدهر فليبك الغمام مصابه * بصنويه يعذر في البكاء مدى الدهر
بعين سحاب واكف قطر دمعها * على كل قبر حل فيه أخو القطر
وبرق ذكي النار حتى كأنما * يسعر مما في فؤادي من الجمر
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه * يزيد فهل بعد الكواكب من صبر
أفتح لقد فتحت لي باب رحمة * كما بيزيد الله قد زاد في أجري
هوى بكما المقدار عني ولم أمت * وأدعى وفياً قد نكصت الى الغدر
توليتما والسن بعد صغيرة * ولم تلبث الايام ان صغرت قدري
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى * اذا أنتما أبصرتماني في الاسر
يعيد على سمعي الحديد نشيده * ثقيلاً فتبكي العين بالحس والنقر
معي الاخوات الهالكات عليكما * وأمكما الثكلى المضرمة الصدر
فتبكي بدمع ليس للقطر مثله * ويزجرها التقوى فتصغي الى الزجر
أبا خالد أورثتني البث خالدا * أبا النصر مذ ودعت ودعني نصري
وقبلكما ما أودع القلب حسرة * تجدد طول الدهر ثكل أبي عمرو

وكان المعتصم بن صمادح قد اختص بأمير المسلمين رحمه الله أيام جوازه البحر الى

حماية الاندلس حين فغر العدو عليها فا وأسال دموع أهلها دما وملأ نفوسهم رعبا وأخذ كل سفينة غصبا ففل الله به غربه وحكم فيه طعنه وضربه فما سعدت نجومه ولا قعدت عن شياطينه رجومه في يوم عروبة لم يكن فيه جمع الا في المدى ولم تركع فيه الا رؤس العدا ولم يطل فيه الا ذابل وحسام ولم يصل فيه الا بطل مقدام وهو يوم شفي الاسلام بعدما أشفي واقتص من أيام الروم واستوفى وكان للمعتمد رحمه الله فيه ظهور وغناء مشهور جلا مثكائف عجاجه وجلا الروم عن غيطانه وفجاجه بعدما لقي حرّه وسقي أمرّه وكلم العدو يده وثلم عدده وتخاذل فيه رؤساء الاندلس فلم يعمل لهم فيه سنان ولم يكحل جفونهم من قتامه عنان والمعتمد يلقى أسنتهم بلبانه وتنثنى الذوابل ولا ينثنى من عنانه وفي ذلك يقول ابن عبادة (وافر)

وقالوا كفه جرحت فقلنا * أعاديه تواقعها الجراح

وما أثر الجراحة ما رأيتم * فتوهنها المناصل والرماح

ولكن فاض سيل البأس منها * فثمّ بها في مجاريه انفساح

وقد صحت وسحت بالاماني * وفاض الجود منها والسماح

رأى منه أبو يعقوب فيها * عقابا لا يهاض له جناح

فقال له لك القدح المعلى * اذا ضربت بمشهدك القداح

وفي ذلك يقول عبد الجليل ويشير الى أمير المسلمين وحسن بلائه وما أظهر المعتمد من اخلاصه وولائه وأول القصيدة (وافر)

أظن خطوبها قالت سلام * فلم يعبس لها منك ابتسام

ومنها

فثار الى الطعان حليف صدق * تثور به الحفيظة والذمام

غافي حمير وعمتك لخم * وتلك وشائج فيها التحام

نمتك الى أسيله تجافوا في * وفي آذيه الطامي عرام

فهيل به كثيب الكفر هيلا * وكل رقيقة منها ركام

وأصبح فوق ظهر الارض أرضا * كأن وهادها منهم اكام

عديد لا يشارفه حساب * ولا يحوى جماعته زمام

تألفت الوحوش عليه شتى * فما نقص الشراب ولا الطعام

فان يهجو اللعين فلا كثير * ولكن مثل ما تهجو اللئام
فيا ادفنش يا مغرور هلا * تجنبت المشيخة يا غلام
ستسألك النساء ولا الرجال * فحدث ما وراءك يا عصام
وراقبها بأرضك طالعات * كما تهدى صواعقها الغمام
أقت لذا الوغى سوقا فخذها * مناجزة وهون ما تسام
فان شئت اللجين فثم سام * وان شئت النضار فثم حام
جلالك فوق ما يعطيك وهم * وفعلك فوق ما يسع الكلام
وأنت النعمة البيضاء فاسلم * لنا وليطرد فيك التمام

ومازال ابن صمادح يتصنع اليه بكل معنى يغرب ويفسد ما بينه وبين المعتمد ويخرب ويورش بينهما ويضرب فلما أعلم بقبيح سعيه وعلم حقيقة بغيه كتب اليه (كامل)

يامن تعرض لى يريد مساءتى * لا تعرضن فقد نصحت لمندم
من غره منى خلائق سهلة * فالسم تحت ليان مس الارقم

ومن منازعه الشريفة ومقاطعه المنيفة وشيمه الملكية وهممه الفلكية أن ابن زيدون الذى كان وزيرا لأبيه الذى أظهر صولته ودبر دولته وأدجى ضحاها وأدار بالمكاره رحاها وأغراه بأعدائه وزين له الايقاع بعماله ووزرائه فغدا شجا فى صدورهم ونكدا فى سرورهم فلما هيل التراب على المعتضد وأفضى أمره الى المعتمد ثاروا الى طلب ابن زيدون وجاشوا وبروا فى البغى له وراشوا وأغروه بنكبته وأروه الرشاد فى هدم رتبته وأرادوه بالذى أرادهم وكادوه كما كادهم فرموا الى المعتمد برقعة فيها (كامل)

يا أيها الملك العلى الاعظم * اقطع وريدى كل باغ ينئم
واحسم بسيفك داء كل منافق * يبدى الجميل وضد ذلك يكتم
لا تحقرن من الكلام قليله * ان الكلام لهسيوف تكلم
والملك يحمى ملكه عن لفظة * تسرى فتجلى عن دواء تعظم
فضلا عن الكلم الذى قد أصبحت * غوغاؤنا جهرا به تتكلم
فالله يعلم ان كل مؤمل * مثلى على حذر وخوف منهم
فالدمع من أجفاننا متهلل * والنار فى أحشائنا تتضرم

ولقد علمت ولن يبصرك الهدى * فلانت أهدى فى الامور وأعلم
ان الملوك تخاف من أبنائها * فتحل من مهجاتهم مايحرم
ولذاك قيل الملك أعقم لم يزل * فيه الولى بشيرها تضرم
فاحسم دواعى كل شر دونه * فالداء يسرى ان غدا لا يحسم
كم سقط زند قد نما حتى غدا * بركان نار كل شئ يحطم
وكذلك السيل الجحاف فانما * أولاه طل ثم وبل يسجم
والمال يخرج أهله عن حدهم * فافهم فانك بالبواطن أفهم
واذكر صنيع أبيك أول مرة * فى كل متهم فانك تعلم
لم يبق منهم من توقع شره * فصفت له الدنيا ولذا المطعم
فعلى م تنكل عن صنيع مثله * ولانت أمضى فى الخطوب وأشهم
وجنانك الثبت الذى لاينثنى * وحسامك العضب الذى لايكهم
والحال أوسع والعوالى جمة * والجد أشمخ والصريمة ضيغم
لاتتركن للناس موضع تهمة * واحزم فمثلك فى العظائم يحزم
قد قال شاعر كندة فيما مضى * بيتا على مر الليالى يعلم
لايسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
فاجعله قدوتك التى تعتادها * فى كل من يبغى ورأيك أحكم
واسلم على الايام انك زينها * وجمالها والدهر دونك مأتم
لازلت بالنصر العزيز مهنأ * والدين عن محمود سعيك يبسم
وغدت على الاعداء منك رزية * لاتستقل بها وخطب صيلم
ووقيت مكروه الحوادث واغتدت * طير السعود بأيككم تترنم

فلما قرأها المعتمد عف عما أرادوه وكف ألسنة الذين كادوه بمراجعة حلت من بغيهم ما انعقد وزأرت عليهم زئير الليث على النقد دلت على تحققه بالرياسة وتسمه لذرى النفاسة وتقليده لائمة العدل المعرضين عن الوشاة الرافضين للبغاة العارفين بمعانى السعايات وأسبابها النابذين لاصحابها وأربابها فأجمل حلى الملوك التصام عن سماع القدح فى ولى والتعاظم عن الوضع لعلى والهجر لمن بغى والزجر لمن نعب بمكروه أورغا والمراجعة (كامل)

كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا * الدين أمتن والسجية أكرم

خنتم ورمتم أن أخون وربما * حاولتم أن يستخف يلملم
وأردتم تضييق صدر لم يضق * والسمر في ثغر النحور تحطم
وزحفتم بمحالكم لمجرب * مازال يثبت للمحال فيهزم
أنى رجوتم غدره من جربتم * منه الوفاء وظالم من لا يظلم
أناذلكم لا البغي يثمر غرسه * عندي ولا مبني الصنيعة يهدم
كفوا وإلا فارقبوا لي بطشة * يلقى السفيه بمثلها فيحلم

فلما بلغ ابن زيدون ما راجعهم به وتحقق حسن مذهبه وعلم أن مخيلاتهم قد أخفقت وسعاياتهم ما نفقت وسهامهم تهزعت ومكائدهم تبددت وتوزعت قال يمدحه ويعرض بهم (كامل)

الدهر إن أسأل فصيح أعجم * يعطي اعتباري ما جهلت فأعلم
وإذا الفتى قدر الحوادث قدرها * ساوى لديه الشهد منها العلقم
وإذا انطوت فلا اغترار يقتضي * كنه المآل ولا توق يعصم
كم قاعد يحظى تعجل حظه * من جاهد يصل الدؤوب فيحرم
وأرى المساعي كالسيوف تبادرت * شأو المضاء فمنثن ومصمم
ولكم تسامى بالرفيع نصابه * خطرا فناصبه الوضيع الألأم
وأشد فاجئة الدواهي محسن * يسعى فيعلقه الجريمة مجرم
تلقى الحسود أصم عن جرس الرقى * ولقد يصيخ إلى الرقاة الأرقم
قل للبغاة المنبضين قسيهم * سترون من تصميه تلك الأسهم
أمررتم فرأى نجي غيوبكم * شيحان ملهوم عليها ملهم
وعبأتم للفسق ظفر سعاية * لم يعدكم إذ رد وهو مقلم
ونبذتم التقوى وراء ظهوركم * فغدا نقيضكم التقي المسلم
ما كان حلم محمد ليحيله * عن عهده دغل الضمير مذمم
ملك تطلع للخواطر غرة * زهراء زين بها الزمان الأدهم
يغشي النواظر من جهير روائه * خلق يرى ملء الصدور معظم
وسنا جبين يستبين شعاعه * يغني عن القمرين من يتوسم
خلق تود الشمس لو صيغت له * تاجا ترصع جانبيه الأنجم
فضحت محاسنه الرياض بكا الحيا * وهي عليها فاغتدت تتبسم

فالغدر

فالغدر يبعد والتواضع يدنى * والبشر يشمس والندى يتغيم
جذلان فى يوم الوغا متطلق * وجها البها و الردى متجهم
بأس كما صال الهزبر ازاءه * جود كما جاش الخضم الخضرم
نفسى فداؤك ايها الملك الذى * كل الملوك له العلاء يسلم
سدت الجميع فليس منهم منكر * ان صرت فذهم الذى لا يتأم
لاغرو أن المجد فى حكم الحجى * من أن يضاف السك صنو أعقم
ما ان يرى كخصالك الزهر التى * منها على زهر الكواكب ميسم
المحتد الزاكى السرى والسودد السامى الذوائب والفخار الاعظم
والحلم يرتخ هضبه والعلم يز * خر بحره ولظى الذكا تتضرم
دع ذكر صخر وابن صخر بعده * أنت الحليم و غيرك المتحلم
لك عفو شهم لايضيع حزامة * ولئن بطشت فبطش من لا يظلم
ان الكمال شرحت معنى لفظه * ولكان وهو المشكل المستبهم
الله قد أرضاه منك تحرج * ثقف وعقد فى التقى مستحكم
لما اعتمدت عليه كان بنصره * دأبا مؤيدك الذى لا يسلم
فتى أؤدى فرض أنعمك التى * وبلت كما يبل السحاب المسجم
امطيتنى متن السماك برتبة * علياء منكب عزها لا يزحم
وتركت حسادى عليك وكلهم * شاكى حشى يدوى وأنف يرغم
نصح العدا فى زعمهم فوقتهم * والغش فى بعض النصائح مدغم
وثناهم بثبت قناة اناته * خلقاء يصلب متنها اذ يعجم
وزهاهم نظم الهراء فكفهم * نظم عقود السحر منه تنظم
اشرعت منه الى الغواة أسنة * نفذت وقد ينبو الطرير اللهذم
فرق عوت فزأرت زأرة زاجر * راع الكليب بها السبنتى الضيغم
ياليت شعرى هل يعود سفيههم * ام قد جاه النجح ذاك الاكرم
لى منك فليذب الحسود تلظيا * لطف المكانة والمحل الاكرم
وشفوف حظ ليس يفتأ يجتلى * غض الشباب وكل غض يهرم
لم تلف صاغيتى لديك مضاعة * كلا ولا حق اصطناعى الا قدم
بل أوسعت حفظا وصدق رعاية * ذمم موثقة العرى لا تفصم

فليخرقن الارض شكر منجد * منى تناقله المحافل متهم
عطره هو المسك السطيع بطيب في * شم العقول اريجه المتنسم
فاذا غصون المكرمات تهدّلت * كان الهديل ثناءها المترنم
الفخر ثغر عن حياضك باسم * والمجد برد من وفائك معلم
فاسلم مدى الدنيا فانت جمالها * وتسوّغ النعمى فانك منعم

ولما ثل عرش الخلافة وخوى نجمها ووهى ركن الامامة وطمس رسمها وصار الملك دعوى وعادت العافية بلوى استنسر البغاث وصحت الاضغاث واستأسد الظبي في كناسه وثار كل أحد في ناسه وخلت المنابر من رقاتها وفقدت الجمع مقيمي أوقاتها وكان باديس بن حبوس بغرناطة عائثا في فريقه عادلا عن سنن العدل وطريقه يجترئ على الله غير مراقب ويجري الى ماشاء غير ملتفت للعواقب قد حجب سنانه لسانه وسبقت اساءته احسانه ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم ولا شرب الماء الا من قليب دم أحزم من كاد ومكر وأجرم من راح وابتكر وما زال متقدا في مناحيه مفتقدا النواحيه لا برام بريث ولا عجل ولا يبيت له جارا الا على وجل الى ان وكل أمره الى أحد اليهود واستكفاه وجرى في ميدان لهوه حتى استوفاه وامره اضيع من مصباح الصباح وهمه في غبوق واصطباح وبلاده مراد للفاتك وستره في يد الهاتك فسقط الخبر على المعتضد بالله ملقح الحرب ومنتج الطعن والضرب الذي صاد الطير تحت أجنحة العقبان وأخذ الفريسة من فم الثعبان فسدّد الى مالقة سهمه وسنانه وردّ اليها طرفه وبنانه وصمم اليها تصميم سابور الى الحضر وعزم عليها عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم على النضر ووجه اليها جيشه المتزاحم الافواج المتلاطم الامواج وعليه سيفه المسلّ وحتفه المحتلّ ابنه المعتمد سهام الاعادي وحمام الاسد العادي فلما أطلّ عليها اعطته صفقتها وأمطته صهوتها الا قصبتها فانها امتنعت بطائفة من السودان المغاربة لم يرضوا اسفاحها ولا أمضوا انكاحها وفي أثناء امتناعهم وخلال مجادلتهم ودفاعهم طيروا الى باديس من ذلك خبرا أصحاه من نشوته وحداه على صبوته فأخرج من حينه كتيبته التي كانت ترمي بالزبد ولا تنثني عن القنا القصد وعليها ابن النابة قائد جنده وموري زنده وقد كان اشار على المعتمد برابره بتنفيس الممتنعين ولووه عن

مساورتهم وثنوه عن مراوحتهم ومباكرتهم ومنعوه من نزالهم وأطمعوه في استنزالهم وانما كان ذلك أبقى على الاقارب واتقى على أولئك المغارب فعدل عن انتهاز فرصتهم وابراء غصتهم الى الاستراحة من تعبه والاناخة على لهوه ولعبه وتفرق أصحابه في ارتياد القنيات وطراد اللذات فما أمسى الا وقد غشيه ليلها وسال عليه سيلها وأصحابه بين صريع رحيق ومنادى من مكان سحيق فخاب سعيه وبال رأيه ونجا برأس طمرة ولجام وأوى الى أحد المعاقل أعرى من الحسام فعقد المعتضد عليه بتنفيسه لاهل القصبة واصاخته الى تلك العصبة وضربه بالعصى ونكاله تنكيل القصى فكتب اليه (بسيط مخلع)

مولاى أشكو اليك داء * أصبح قلبي به جريحا
سخطك قد زادني سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

فعفا عنه وصفح وعبق له عرف رضاه ونفح وقد كان قبل كتب اليه حين أمره بالمقام بالموضع الذي نجا اليه مسجونا يسليه ويعرض له بالبربر ويستعطفه مما حصل فيه (بسيط)

سكن فؤادك لا تذهب به الفكر * ماذا يعيد عليك البث والحذر
فان يكن قدر قد عاق عن وطر * فلا مرد لما يأتي به القدر
وان تكن خيبة في الدهر واحدة * فكم غزوت ومن أشياعك الظفر
يا فارسا تحذر الابطال صولته * صن حد عبدك فهو الصارم الذكر
قد أخلقتني صروف أنت تعلمها * وغال مورد آمالي بها كدر
فالنفس جازعة والعين دامعة * والصوت منخفض والطرف منكسر
قد حلت لونا وما بالجسم من سقم * وشبت رأسا ولم يبلغني الكبر
لم يأت عبدك ذنبا يستحق به * عتبا وها هو قد ناداك يعتذر
ما الذنب الا على قوم ذوي دغل * وفى لهم عدلك المألوف اذ غدروا
قوم نصيحتهم غش وحبهم * بغض ونفعهم ان صرفوا ضرر
يميز البغض في الالفاظ ان نطقوا * ويعرف الحقد في الالحاظ ان نظروا

ولما ابدت الفتنة وسال سيلها وانسحب على بهجة الهدنة ذيلها نازل المرابطون قرطبة وفيها ابنه المأمون وكان أشهر ملوك أوانه خبرا وأعظمهم طيرا ما اشتغل

بمعاطاة المدامة ولا توغل للعصيان شعب ندامة فأقاموا عليها شهورا وأرخوا
من محاصرتها والتضييق عليها ستورا يساورونها مساورة الاراقم ويباكرونها
بداء من الحصار فاقم والمأمون قد أوجس في نفسه خيفة وتوقع منهم داهية
مطيفة فنقل ماله وأهله الى المدور بعد أن حصنه وملأه بالعدد وشحنه وأقام
بقصر قرطبة مضطربا ولاول نبأة مصيخا ومرتقبا الى أن صبحوها يوما العدة
كانت بينهم وبين أهلها في تسنم أسوارها وتقحم انجادها وأغوارها فوقفوا
هاربين وتشوفوا راهبين وأهلها يدعون بشعارهم ويتبعون أهواء مردتهم
ودعارهم وكلهم بيدى تلومه واحجامه ويعتقده ولا لايرى اقتحامه الى ان
استسهلوا استصعابه وتوغلوا شعابه وصمموا الى القصر وقد علموا قعود
الجماعة عن الحماية له والنصر فلما أحس بهم المأمون خرج بعد قليل وحد
فليل وقد رتبت له بطريقه رصائد ونصبت له فيها مصايد علق فيها زمامه ورشق
اليه منها حمامه فانقضوا عليه انقضاض الجارح وانصبوا اليه انصباب الطير
الى المسارح فلم يكن له فيها اين يعرج ولا وجد للخلاص بابا يفرج فقطع رأسه
وحيز وخيض به النهر وأجيز ولما استقر بالمحلة رفع على سن رمح وطيف به
في جوانبها وأخيف به قلب مجانبها وبقي جسده على الارض مطروحا كأنه
لم يكن للملك روحا ولا اختال في عراصه فكي غصنا مروحا وذلك بتقدير العليم
ثم انتقلوا الى رندة احد معاقل الاندلس الممتنعة وقواعدها السامية المرتفعة
تطرد منها على بعد ملتقاها ودنو النجوم من ذراها عيون لانصبابها دوي كالرعد
القاصف والرياح العواصف ثم تكون واديا يلتوى بجوانبها التواء الشجاع
ويزيدها في التوعر والامتناع وقد تجونت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها
لباناتها وأوطارها لايتعذر لها مطلب ولايتصور فيها عدو الاعلقه ناب أو مخلب
فاناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء بها على غير وعد وفيها ابنه الراضي
لم يحفل باناختهم بازائه ولاعدها من أرزائه لامتناعه عن منازلتهم وارتفاعه
عن مطاولتهم الى أن انقضى في أمر اشبيلية ما انقضى وافضى أمر أبيه الى
ما افضى فحمل على مخاطبة ولده لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل
برا بأبيه وابقاء على أرماق ذويه بعد ان عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا
من الله وموثقا فلما وصل اليهم وحصل في أيديهم مالوا به عن الحصن

وجرعوه الردى واقطعوه الثرى حين أودى وفي ذلك يقول المعتمد يرثيهما وقد رأى قرية بائحة بشجنها نائحة بفننها على سكنها وأمامها وكرفيه طائران يرددان نغما ويغردان ترحة وترنما (طويل)

بكت أن رأت الفين ضمهما وكر * مساء وقد أخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يبوح به سر
فمالي لا أبكي أم القلب صخرة * وكم صخرة في الارض يجرى بها نهر
بكت واحد الم يشجها غير فقده * وأبكي لآلاف عديدهم كثر
بني صغير أو خليل موافق * يمزق ذا قفر ويغرق ذا بحر
ونجمان زين للزمان احتواهما * بقرطبة النكداء أو رندة القبر
عذرت اذا ان ضن جفني بقطرة * وان لومت نفسي فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي * لمثلهما فلتحزن الانجم الزهر

ولما تم في الملك أمده وأراد الله أن تخرمده وتنقرض أيامه وتتقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومظلاته بعدما نثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوارحه وأضلاعه وأخذت عليه الفروج والمضايق وثنت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بلا اضرار وأمطرته كل ديمة مدرار وهو ساه بروض ونسيم لا ه براح ومحيا وسيم زاه بفتاة تنادمه ناه عن هدم أنس هو هادمه لا يصيخ الى نبأة سمعه ولا ينيخ الا على لهو يفرق جموعه جمعه قد ولى المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوس خلاله وتقاص ظلاله وحين اشتد حصاره وعجزت عن المدافعة أنصاره ودلس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعلاته فتح باب الفرج وقد لفح شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمرة واشتعلت لهم من التغلب جمرة تأجج اضطرامها . وسهل بها ايقاد البقية واضرامها وعند ماسقط الخبر عليه خرج حاسرا من مفاضته جامحا كالمهر قبل رياضته فلحق أوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا في جنباته وظهروا على البلد من أكثر جهاته وسيفه في يده يتلمظ الطلا والهام ويتعدى بانفراج ذلك الابهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه وأغربت شمسه ولقي ثانيا فضربه وقصمه وخاض حشى ذلك الداء فحسمه فأجلوا عنه

. فأمر بالباب فسد وبني منه ما هدّ ثم انصرف وقد اراح نفسه
أبعد الله عنه الملامة ونفاها وفي ذلك يقول عند ما خلع واودع
رمما أودع (كامل مجزوء)

ان يسلب القوم العدا * ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم * أن لا تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميـ * ـص على الحشى شيء دفوع
أجلي تأخر لم يكن * بهواى ذلي والخضوع
ما سرت قط الى القتا * ل وكان من أملي الرجوع
شيم الأولى أنا منهم * والاصل تتبعه الفروع

ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب وضلوعها تحنق وتحقد وتضمر الغدر وتعقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكثر عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملقى بين جواريه مغتر بودائع ملكه وعواريه التي استرجعت منه في يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر الداخلون في البلد واوهنوا القوى والجلد خرج والموت يتسعر في ألحاظه ويتصدر من ألفاظه وحسامه يعد بمضائه ويتوقد عند انقضائه فلقيهم في رحبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رحبتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا ومازال يوالي عليهم الكر حتى أوردهم النهر ومابهم جواد وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاب ماله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك به يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وقد عزم على أقطع أمر وقال بيدي لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقسر الى قبة الاسر فقيد للحين وحان له يوم شر ما ظن أنه يحين ولما قيدت قدماه وبعدت عنه رقة الكبل ورحماه قال يخاطبه (طويل)

اليك فلو كانت قيودك أشعرت * تصرم منها كل كف ومعصم
مخافة من كل الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة أو جهنم

ولما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله وأعياه نقله قال (متقارب)

تبدلت

تبدلت من عز ظل البنود * بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدى سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحدود
فقد صار ذاك وذا أدهما * يعض بساقى عض الاسود

ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم جوانحها كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى وبكوا بدموع كالغوادى فساروا والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم وفى ذلك يقول ابن اللبانة (بسيط)

تبكى السماء بمزن رائح غاد * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * أساود لهمو فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * خف القطين وجف الزرع بالوادى
وأنت يا فارس الخيل التى جعلت * تختال فى عدد منهم واعداد
ألق السلاح وخل المشرفى فقد * أصبحت فى لهوات الضيغم العادى
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة * وكل شئ لميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا * سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وانزلوا فى متون الشهب واحتملوا * فويق دهم لتلك الخيل انداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم * فصيغ منهن اغلال لاجياد
نسيت الاغداة النهر كونهم * فى المنشآت كأموات بألحاد
والناس قد ملؤا العبرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة * وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كأنها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

ولما نقل من بلاده وأعرى من طارفه وتلاده وحمل فى السفين وأحل فى العدوة

محل الدفين تندبه منابره واعواده ولايدنو منه زواره ولاعواده بقى آسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لايخلو بؤانس ولايرى الاعرينا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم يروجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش أوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من أقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال (بسيط)

بكى المبارك فى اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد
بكت ثرياه لاغمت كواكبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادى
بكى الوحيد بكى الزاهى وقبته * والنهر والتاج كل ذله باد
ماء السماء على أبنائه درر * يالجة البحر دومى ذات أزباد

وفى ذلك يقول ابن اللبانة (بسيط)

استودع الله أرضا عندما وضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجنى النعيم وفى عليائها فلكا
فى أمره لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
نبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان فى بطحائه هلكا
ماسد موضعه للرزق سد به * طوبى لمن كان يدرى أية سلكا

وكان الحصن الزاهر من أجمل المواضع لديه وأبهاها وأحبها اليه وأشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله فى العيون واشتماله بالشجر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزرى بحلاوة الضرب مالم يكن بحلب لبنى حمدان ولا لسيف بن ذى يزن فى رأس غمدان وكان كثيرا مايدير به راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد اليه الزمان بعدوانه وسد عليه أبواب سلوانه لم يحن الا اليه ولم يتمن الا الحلول لديه فقال (طويل)

غريب بأرض المغربين أسير * سيبكى عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا * وينهل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور
أذل بنى ماء السماء زمانهم * وذل بنى ماء السماء كبير

فياليت

فياليت شعرى هل أبيتن ليلة * أمامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا * يغنى حمام أو تدن طيور
بزاهرها السامى الذرى جاده الحيا * تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسيرا أو يسيرا مناله * ألا كل ماشاء الاله يسير

وأول عيد أخذه باغمات وهو سارح وماغير الشجون له مسارح ولازى الاحالة الحول واستحالة المأمول فدخل عليه من بنيه من يسلم عليه ويهنيه وفيهم بناته وعليهن أطمار كأنها كسوف وهن أقمار يبكين عند التسايل ويبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن واقدامهن حافية وآثار نعيمهن عافية فقال (بسيط)

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد فى اغمات ماسورا
ترى بناتك فى الاطمار جائعة * يغزلن للناس مايملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لاخد الاتشكى الجدب ظاهره * وليس الامع الانفاس ممطورا
أفطرت فى العيد لاعادت اساءته * فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

وأقام بالعدوة برهة لاروع له سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن ثار أحد بنيه باركش معقلا كان مجاور الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بسائط وبطاح لايمكن معه عيش ولا يتمكن من منازلته جيش فغدا بالمكاره على أهلها وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير ابن أبى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده وشره قد تشمر وضره قد تنمر وجمره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للحزم حبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما أعد آلات نضاله وانحشرت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ فى مسالكه كل قطر فبقى محصور الايشد له الاسهم ولا ينفذ عنه الانفس أووهم وامتسك

شهوراحتى غرضه أحد الرماة فرماه بسهم أصماه فهوى فى مطلعه وخر قتيلا فى موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغييره وبقى أهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتد عنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافتة ورقت بانفاس خافتة فتبعهم من بقى ورغب فى التنعم من شقى فوصلوا الى قبضة الملمات وحصلوا فى غصة الممات فرسمهم الحيف وتقسمهم السيف ولما زأر الشبل خيفت ثورة الاسد ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وأثناءها وأحل ساحة الخطوب وفناءها وحين أركبوه أساودا وأورثوه حزنا بات له معاودا قال (كامل)

غنتك اغماتية الالحان * ثقلت على الارواح والابدان

قد كان كالثعبان رمحك فى الوغى * فغدا عليك القيد كالثعبان

متعددا يحميك كل تعدد * متعطفا لا رحمة للعانى

قلبى الى الرحمن يشكو بثه * ماخاب من يشكو الى الرحمن

يا سائلا عن شأنه ومكانه * ما كان أغنى شأنه عن شانى

هاتيك قينته وذلك قصره * من بعد أى مقاصر وقيان

ولما فقد من يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تسالمه حربه قال (طويل)

تؤمل للنفس الشجية فرحة * وتأبى الخطوب السود الا تماديا

لياليك فى زاهيك أصفى صحبتها * كما صحبت قبل الملوك اللياليا

نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ * وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت فى الثقاف مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال (بسيط)

أنباء أسرك قد طبقن آفاقا * بل قد عممن جهات الارض اقلاقا

سارت من الغرب لاتطوى لها قدم * حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا

فأحرق الفجع أكبادا وأفئدة * وأغرق الدمع آماقا واحداقا

قد ضاق صدر المعالى اذ نعيت لها * وقيل ان عليك القيد قد ضاقا

انى غلبت وكنت الدهر ذا غلب * للغالبين وللسباق سباقا
قال الخطوب أذلتنى طوارقها * وكان عزمى للاعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة * اذا انبرت لذوى الاخطار أرماقا

(وقال لى من اثق به) لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد امير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم أنه قد صار فى انشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرض بى للمحن ورضى لى أن أمتحن ووالله ما أبكى الا انكشاف من أخلفه بعدى ويحيفه بعدى ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهللت أسرته وظللته مسرته ورأيته قد استجمع وتشوف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قدر جاء عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا مقدار ما تنداح دائرة أو تلتفت مقلة حائرة حتى قال (متقارب)

كذا يهلك السيف فى جفنه * اذا هز كف طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يمين
كذا يمنع الطرف علك الشكيـ * ـم مرتقبا غمرة فى كمين
كأن الفوارس فيه ليوث * تراعى فرائسها فى عرين
ألا شرف يرحم المشرفى * مما به من سمات الوتين
الا كرم ينعش السمهرى * ويشفيه من كل داء دفين
الا حنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدرها ضمة * تبوئه صدر كف معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا وانتظموا فى سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا جفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور أمهاتهم والبنات وتلقبوا بالامارة وأركبوا السوآ نفوسهم الامارة حتى كادت تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراط تعديهم الى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله أمرهم واطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ماشاء حزنا وكربا وسجنهم باغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذ ذاك معتقل هنالك وكان فيهم طائفة شعرية مذنبة أو بريئة فرغبوا الى سجانهم أن يستريحوا الى المعتمد من أشجانهم ويخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم فى ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله يتسلى بمجالستهم ويجد أنسا بمؤانستهم ويستريح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره

ونجواه الى أن شفع فيهم وانطلقوا من وثاقهم وانفرج لهم مبهم أغلاقهم وبقى المعتمد فى مجلسه يشكى من ضيق الكبل ويبكى بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودّعين ومن بثه متوجعين فقال (طويل)

أما لانسكاب الدمع فى الخدّ راحة * لقد آن أن يفنى ويفنى به الخدّ
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتل * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن أغمات والتوت * علىّ قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود * تلوى وأما الايد والبطش فالاسد
فهنئتم النعمى ودامت لكلكم * سعادته ان كان قد خاننى سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله فى أمرى وأمركم الحمد

ومرّ عليه فى موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الايام جناح ولا عاقها عن أفراخها الاشراك ولا اعوزها البشام ولا الاراك وهى تمرح فى الجو وتسرح فى مواقع النوء فتنكد مما هو فيه من الوثاق وما دون أحبته من الرقباء والاغلاق وما يقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر فى بناته وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال (طويل)

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى * سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلى لها شكل
فاسرح فلا شمل صديع ولا الحشى * وجيع ولا عينان يبكيهما ثكل
وماذ الذ مما يعتريه وانما * وصفت الذى فى جبلة الخلق من قبل
هنيئا لها ان لم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهله أهل
وان لم تبت مثلى تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
لنفسى الى لقيا الحمام تشوف * سواى يحب العيش فى ساقه كبل
الا عصم الله القطا فى فراخها * فان فراخى خانها الماء والظل

وفى هذه الحال زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة المتقدم الذكر وهو أحد شعراء دولته المرتضعين درّها المتجعين درّها وكان المعتمد رحمه الله يميزه بالشفوف والاحسان ويجوّزه فى فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم بعدما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير

تخفق عليه الالوية وتشرق منه الاندية وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من أوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقاربه أو يضاهيه ندبه بكل مقال يلهب الاكباد ويثير فيها لوعة الحرث بن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثي اربد أو بكاء ذي الرمة بالمربد سلك فيها للاختفاء طريقا لاحبا وغدا فيها لذيول الوفاء ساحبا فمن ذلك قوله (بسيط)

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى من مناياهن غايات
والدهر في صبغة الحرباء منغمس * ألوان حلته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده * وربما قمرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلي قد كتمت * سريرة العالم العلوي أغمات
طوت مظلتها لا بل مذلتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس أنصله * هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
وكان ملء عيان العين تبصره * وللاماني في مرآه مرآت
انكرت الا التوا آت القيود به * وكيف تنكر في الروضات حيات
غلطت بين همايين عقدن له * وبينها فاذا الانواع اشتات
وقلت هن ذؤابات فكم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذا بها لثقاف المجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعدو الليث عادات
منه المهابات في الارواح آخذة * وان تكن أخذت منه المهابات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجيء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
وبدر سبع وسبع تستمد به السبع الاقاليم والسبع السموات
به وان كان أخفاه السرار سنا * قبل الصباح به تجلى الدجنات
لهفي على آل عباد فانهم * أهلة مالها في الافق هالات
تمسكت بعرى اللذات ذاتهم * يا بئس ما جنيت للذات لذات

راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها و روحات
أرض كان على أقطارها سرجا * قد أوقدتهن في الاذهان أنبات
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات
كان واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها في قبل الراح سورات
وكنت أورق في ايكانه ورقا * تهوى ولى من قريض الشعر أصوات
وكم جريت بشطى طعنتيه الى * محاسن للهوى فيهن وقفات
وربما كنت أسمو للخليج به * وفى الخليج لاهل الراح راحات
وبالغروسات لاجفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات
معاهد ليت أنى قبل فرقتها * قدمت والتاركوها ليتهم ماتوا
فجئت منها باخوان ذوى ثقة * والارض فيها من الاخوان آفات
وافيت فى آخر الصحراء طائفة * لغاتهم فى كتاب الله لغات
رغد من العيش مالى أرتقبه ولى * عند ابن أغلب أكناف بسيطات
ان لم يكن عنده كونى فلا سعة * للرزق عندى ولا للانس ساعات
هو المراد ولكن دونه خلج * رخاوة عندها بيض معلات
وان تكن رجس من فوق مذهبه * فليس تغرب فى وجهى الملمات
هنالك اوى من النعمى الى كنف * فيه ظلال وأمواه وجنات
بين الحصار وبين المرتضى عمر * ذاك الحصار من المحذور منجاة
هل يذكر المسجد المعمور شرجبه * أو العهود على الذكرى قديمات
عندى رسالات شوق عنده فعسى * مع الرياح توافيه رسالات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بالاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات وعطلت المآثر من حلاها وافرزت المفاخر من علاها ورفعت مكارم الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة فى عصره وصاب أبدا عبرة فى مصره وبعد ايام وافاه أبو بكر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى المنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحا وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم

وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخرّ على تربه ولثمه (كامل)

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عواد
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
أقبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد
قد كنت أحسب أن تبدّد أدمعى * نيران حزن أضرمت بفؤادى
فاذا بدمعى كلما أجريته * زادت عليّ حرارة الاكباد
فالعين فى التسكاب والتهتان وا لاحشاء فى الاحراق والايقاد
يا أيها القمر المنير أهكذا * يمحى ضياء النير الوقاد
أفقدت عينى مذ فقدت انارة * لحجابها فى ظلمة وسواد
ما كان ظنى قبل موتك أن أزر * قبرا يضم شوامخ الاطواد
الهضبة الشماء تحت ضريحه * والبحر ذو التيار والا زباد
عهدى بملك وهو طلق ضاحك * متهلل الصفحات للقصاد
والمال ذو شمل مذادوا الندى * يهمى وشمل الملك غير مذاد
أيام تخفق حولك الرايات فو * ق كتائب الرؤساء والاجناد
والامر أمرك والزمان مبشر * بممالك قد اذعنت وبلاد
والخيل تمرح والفوارس تنحنى * بين الصوارم والقنا المياد

وهى قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانحشر الناس اليه وأحفلوا وبكوا البكائه وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين البكاء والعجيج ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم وأقرحوا ماقيهم بفيض شجونهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لا تدع حيا ولا تألو كل نشر طيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق مناياها كل جمع وتصمى كل ذى أمر ونهى وترمى كل مشيد بوهى ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقة ولوت مجازها فى تلك الحقيقة

(ابنه الراضى بالله أبو خالد يزيد بن محمد رحمه الله)

ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء وتحدر من سلالة أكابر ورقاة أسرة ومنابر وتصرف اثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه وروضة أجفانه لا يستريح منه الا الى متن سائل

الغرّة ميمون الاسرّة يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر الملتاح عريق في السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارقال من آل أعوج أو ولد العقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم اليها وندة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد وأقلع عن الدراسة الى تدبير الرياسة ومازال يدبرها بجوده ونهاه ويورد الآمل فيها مناه حتى غدت عراقا وامتلأت اشراقا الى أن اتفق في الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء وأخفق فاستحالت بهجتها وسالت عليها من الحوادث لجتها فانتقل الى رندة معقل أشب ومنزل للسماك منتسب وأقام فيها رهين حصار ومهين حماة وأنصار ولقيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وأمكنت منه يدى مسيها فخواه رمسه وطواه عن غده أمسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مرّ من أخبار أبيه (وكان المعتمد) رحمه الله تعالى كثيرا ما رميه بملامه ويصميه بسهامه وربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بدائع القول لآلى وعقودا تسل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبتّ من كلامه في بث آلامه واستجادة عذله وملامه ماتستبدعه وتحله النفس وتودعه فمن ذلك ما قاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده (وافر)

اعيذك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا افول
حنانك ان يكن جرمى قبيحا * فان الصفح عن جرمى جميل
ألست بفرعك الزاكى وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

(وأخبرنى المعتدّ بالله) ان المعتمد أباه وجهه الى شلب واليا وكانت ملعب شبابه ومألف أحبابه التى عمر نجودها غلاما وتذكر عهودها أحلاما فقال يخاطب ابن عمار وقد توجه اليها (طويل)

الاحىّ أوطانى بشلب أبا بكر * وسلهنّ هل عهد الوصال كما أدرى
وسلم على قصر الشراجيب عن فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر

وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراق مباه لزوراء العراق ركضت فيه جياد راحاته وأومضت بروق أمانيه في ساحاته وجرى الدهر مطيعا بين بكوره وروحاته أيام لم تحلّ عنه تمائمه ولا خلت من أزاهر الشباب كمائمه وكان يعتدّها مجنى آماله ومنتهى أعماله يميل الى بهجة جنباتها وطيب نفحاتها وهباتها

والتصاف حمائلها وتقلدها بنهرها مكان حمائلها وفيها يقول ابن اللبانة
(طويل)

أماء علم المعتد بالله أنني * بحضرته في جنة شقها نهر
وما هو نهر أعشب النبت حوله * ولكنه سيف حمائله خضر

ولما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها وانسدلت رعايته على صغيرها وكبيرها
نزل المعتمد عليه مشرّفا لاوبته ومعرّفا بسموّ قدره لديه ورتبته وأقام يومه عنده
مستريحا وجرى في ميدان الانس بطلا مشيحا وكان واجدا على الراضي فجلت
الحميا أفقه ومحت غيظه عليه وحنقه وصوّرته له عين حنوّه وذكرته بعده فجنح
الى دنوّه وبينما استدعى ووافى مالت بالمعتمد نشوته وأغفى فألفاه صريعا
في منتداه طريحا في منتهى مداه فأقام تجاهه يرتقب انتباهه وفي أثناء ذلك
صنع شعرا أتقنه وجوّده فلما استيقظ أنشده (متقارب)

ألآن تعود حياة الامل * ويدنو شفاء فؤاد معل
ويورق للعز غصن ذوى * ويطلع للسعد نجم أفل
فقد وعدتني سحاب الرضا * بوابلها حين جادت بطل
أيا ملكا أمره نافذ * فمن شاء عز ومن شاء ذل
دعوت فطار بقلبي السرور * اليك وان كان منك الوجل
كما يستطيرك حب الوغى * اليها وفيها الظبا والاسل
ولا غرو أن كان منك اغتفار * وان كان منا جميعا زلل
فمثلك وهو الذي لم يزل * يعود بحلم على من جهل

ومرّت عليه هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب ألفهن أيام خلائه من
دولة وجال معهن في ميدان المنى أعظم جولة ثم انتزعوا منه بعده وأودعوا
الهوادج من بعده ووجهوا هدايا الى العدوة وألموا بها المام قريش بدار
الندوة فقال (بسيط)

مرّوا بنا أصلا من غير ميعاد * فأوقدوا نار شوقي أيّ ايقاد
وذكروني أياما لهوت بهم * فيها ففازوا بايثاري واحمادي
لا غرو أن زاد في وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

ولما وصل المعتمد لورقة أعلم أن العدوّ قد جيش اليها واحتشد ونهد نحوها وقصد

لتتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له المعتمد دون بغيته وطلع له من ثنيته وأمر الراضى بالخروج اليه فى عسكر جرّده لمحاربته وأعدّه لمصادمته ومضاربته فأظهر التمارض والتشكى وأكثر التقاعس والتلكى فرارا من المصادرة واحجاما عن المساورة وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعة أربح من المقارعة ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد ما نواه وتحقق ما لواه فأعرض عنه ونفض يده منه ووجه المعتد مع ذلك الجيش الذى لم تنشر بنوده ولم تنصر جنوده فعندما لقوا العدوّ لاذوا بالفرار وعادوا باعطاء الغرّة بدلا من الغرار وتفرّقوا فى تلك الامار يت وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت فحيف العدوّ من بقى مع المعتد واهتضمه وخضم ما فى العسكر وقضمه وغدت مضاربه مجزعوا اليه ومجرى مذاكيه وآب أخسر من بائع السدانة ومضيع الامانة فانطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله وفرضه فكتب اليه الراضى (بسيط)

لا يكرثنك خطب الحادث الجارى * فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * أن خانه حد أنياب وأظفار
لئن أتوك فمن جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضارى
عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وما عليك لهم اسعاف أقدار
لو يعلم الناس ما فى أن تدوم لهم * بكوا لانك من نوب الصباعار
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشئ غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه ولم يستمله بذلك ولا أرضاه وتمادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته سوانح السلو وعطفته عليه جوانح الحنو فكتب اليه بهزل غلب فيه كل منزع جزل وهو (كامل مجزوّ)

أَالملك فى طى الدفا تر * فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقاهر
واطعن بأطراف اليرا * ع نصرت فى ثغر المحابر

واضرب بسكين الدوا * ةمكان ماضى الحدباتر
أولست رسطاليس ان * ذكر الفلاسفة الاكابر
وكذاك ان ذكر الخليـ * ـل فأنت نحوى وشاعر
وأبو حنيفة ساقط * بالرأى حين تكون حاضر
من هرمس من سيبويـ * ـه من ابن فورك اذ تناظر
هذى المكارم قد حويـ * ـت فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر
فحجبت وجه رضاى عنـ * ـك وكنت قد تلقاه سافر
أولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله * وأطعته اذ ذاك آمر
قد كان أبصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضى مراجعا عنها بقطعة مطولة منها (كامل مجزو)

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ما تحوى الدفاتر
وفللت سكين الدوا * ة وظلت للاقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى * ضرب العساكر بالعساكر
لا ضرب أقوال بأقـ * ـوال ضعيفات مكاسر
قد كنت أحسب من سفا * هـ أنها أصل المفاخر
فاذا بها فرع لها * والجهل للانسان غادر
لا يدرك الشرف الفتى * الا بعسال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجحدت أنهم أكابر
مولاى ان تسخر فلا * عار بنا ان كنت ساخر
ضحك الموالى بالعبيـ * ـد اذا تؤمل غير ضائر
لو كنت تهوى ميتتى * لوجدتنى للعيش هاجر
ان كان لى فضل فمنـ * ـك وهل لذاك النور ساتر
أو كان لى نقص ففى * غير أن الفضل غامر

ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ما عاش ذاكر
بالبيت قد غيبته * عندها احدى المقابر
أتريد مني أن أكون * لكن غدا في الدهر نادر
هيهات ذلك مطمع * يعيي الاوائل والاواخر
لا تنس يا مولاي قو * له ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بعقوتها العساكر
أيام ظلت بها فريدا * ليس غير الله ناصر
اذ كان يغشى ناظري * لمع الاسنة والبواتر
ويصم أسماعي بها * قرع الحجارة بالحوافر
وهي الخضيض سهولة * لكن بها ثبت مخاطر
هبني أسأت كما أسا * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتي لبنوتي * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة في البوار ومعتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا المفرطية وقضوا بين الصوارم والرماح الخطية حسبما سردناه وعلى ما أوردناه واذا أراد الله انفاذ أمر سبق في علمه فلا مرد لامره ولا معقب لحكمه لا اله الا هو كمل خبر الراضي والحمد لله كثيرا

(المتوكل على الله أبو محمد عمر بن المظفر رحمه الله وعفا عنه)

ملك جند الكتائب والجنود وعقد الالوية والبنود وأمر الايام فأتمرت وطافت بكعبته الآمال واعتمرت الى لسن وفصاحة ورحب جناب للوافد وساحة ونظم يزري بالدر النظيم ونثر تسري رقته سري النسيم وأيام كأنها من حسنها جمع وليال كان فيها على الانس حضور ومجتمع راقت اشراقا وتبلجا وسالت مكارمه أنهارا وخلجا الى ان عادت الايام عليه بعهود العدوان ودبت اليه دبيبها لصاحب الايوان وانبرت اليه انبراءها لابن زهير وراء عمان فأرغمت فيه للمجد معطسا ورماه سهم الحادثات فقرطسا فدجت أيامه المشرقة وذوت غصونه المورقة ونقل هو وابناه الى حيث أمر لهم الدهر جناه فأمضى عليهم حد الحسام حكمه وأنفذ فيهم جور الايام ظلمه بحيث لم تعطف عليهم الاجوانح

الليل ولم تقف لديهم الابوارح الويل ولم يجب استغاثتهم الاعواء الذئاب أو صدى تتسعر فيه نار الاكتئاب فرويت الارض من دمائهم وتعطلت المنابر من أسمائهم وعاد صبح ملكهم عاتما وأقامت النجوم عليهم مآتما فخروا على الثرى بدورا وسعروا بالجوى صدروا وغدوا صرعى تسفى عليهم الشمال وتنتفى منهم الآمال مجدلين على وجه الارض معفرين الى يوم النشور والعرض قد توسدوا التراب بدلا من الارائك وتضرجوا بالدماء بعد التضمخ بالمسك الصائك وغدا مصرعهم من نجيعهم أحمر كأنهم ما أعملوا أبيض ولا أسمر وورث الجلباب غير أنس الجناب لا يطرقه الاسبع أو ذيب ولا يرمقه الا تخيل للقلوب مذيب وصارت فى لحومهم للسباع ولائم وعلى دمائهم من النسور حوائم وطالما وردوا للمنى مناهل ووجدوا الديار بها أواهل وركبوا الجياد وجنبوها وشهدوا الاعياد فزينوها ورقت أوامرهم بطون المهارق وتحكمت بواترهم فى الطلى والمفارق وطوقت مواهبهم الاعناق وأغضت مهابتهم الجفون والاحداق فزقوا وما حضرهم أنيس ولا أذهب ايحاشهم تأنيس وباتوا لم يطلب لهم بثار ولا انتظم شملهم بعد الانتثار أخبرنى أحد قاتليه أنه رغب فى تقديم ولديه بين يديه ليحتسبهما عند ربه ويكتسبهما حسنة تمحو بعض ذنبه وكانا كوكبى رياسته ووارثى نفاسته فتقدما للحمام وطلعا من ثنيته بدرى تمام وبدا منهما من الجلد فى ذلك الموطن الانكد ما حير قاتلهما وستر عنه مقاتلهما ثم أمر عليهما غراره وساق الردى الى تمامهما سراره وقام المتوكل عند صرعتهما مختبلا من لوعتهما ليصلى وقد أفرط فى ملامه وتشطط فى كلامه واختلط افتتاحه بسلامه فبادروه بأسنتهم فى الصلاة وناهشوه مناهشة الطير لقتيل الفلاة حتى خر لا لسجود واستلقى لغير هجود وهى الايام هذه شيمها تسىء وان همت بالاحسان ديمها أقفرت شعب ودان وعفرت ملك غمدان وأظفرت الحمام بعبدالمدان وفرقت عن مكنس رامة ظباءه ورمت ببسطام بن قيس فخر على الالاءة ومزقت ابنى بدر بجفر الهباءة وقد رثاهم الوزير أبو محمد بن عبدون عظيم ملكهم ونظيم سلكهم بقصيدة اشتملت على كل ملك قتل وأشارت الى من غدر منهم وختل تكبرها المسامع ويعتبر بها السامع وهى (بسيط)

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان أبدا مسالمة * والبيض والسمر مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه * يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها * فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالى أقال الله عثرتنا * من الليالى وخانتها يد الغير
فى كل حين لها فى كل جارحة * منا جراح وان زاغت عن البصر
تسر بالشئ لكن كى تغر به * كالايم ثار الى الجانى من الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها * لم تبق منها وسل ذكراك من خبر
هوت بدارا وفلت غرب قاتله * وكان عضبا على الاملاك ذا أثر
واسترجعت من بنى ساسان ما وهبت * ولم تدع لبنى يونان من أثر
وأتبعت أختها طسما وعاد على * عاد وجرهم منها ناقص المرر
وما أقالت ذوى الهيئات من يمن * ولا أجارت ذوى الغايات من مضر
ومزقت سبأ فى كل قاصية * فما التقى رائح منهم بمبتكر
وأنفذت فى كليب حكمها ورمت * مهلهلا بين سمع الارض والبصر
ولم ترد على الضليل صحته * ولا ثنت أسدا عن ربها حجر
ودوخت آل ذبيان واخوتهم * عبسا وعضت بنى بدر على النهر
وألحقت بعدى بالعراق على * يد ابنه أحمر العينين والشعر
وبلغت يزدجرد الصين واختزلت * عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر
ومزقت جعفرا بالبيض واختلست * من غيله حمزة الظلام للجزر
وأشرفت بخبيب فوق فارعة * وألصقت طلحة الفياض بالعفر
ولم ترد مواضى رستم وقنا * ذى حاجب عنه سعدا فى ابنة الغير
وخضبت شيب عثمان دما وخطت * الى الزبير ولم تستحى من عمر
وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن * وأمكنت من حسين راحتى شمر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر
وما رعت لابى اليقظان صحبته * ولم تزوده الا الضيح فى الغمر
وفى ابن هند وفى ابن المصطفى حسن * أتت بمعضلة الالباب والفكر
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد * وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر

وعممت بالردى فودى أبي أنس * ولم ترد الردى عنه قنا زفر
وأردت ابن زياد بالحسين فلم * يبؤ بشسع له قد طاح أو ظفر
وأنزلت مصعبا من رأس شاهقة * كانت بها مهجة المختار في وزر
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا * رعت عياذته بالبيت والحجر
ولم تدع لابي الزبان قاضبه * ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر
وأظفرت بالوليد بن اليزيد ولم * تبق الخلافة بين الكاس والوتر
حبابه حب رمان ألم بها * وأحمر قطرته نفحة القطر
ولم تعد قضب السفاح نائبة * عن رأس مروان أو أشياعه الفجر
وأسبلت دمعة الروح الامين على * دم بفخ لآل المصطفى هدر
وأشرقت جعفرا والفضل ينظره * والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر
وأخفرت في الامين العهد وانتدبت * لجعفر بابنه والاعبد الغدر
وروعت كل مأمون ومؤتمن * وأسلمت كل منصور ومنتصر
وأعثرت آل عباس لعالهم * بذيل زباء من بيض ومن سمر
وأوثقت في عراها كل معتمد * وأشرقت بقذاها كل مقتدر
ولا وفت بعهود المستعين ولا * بما تأكد للمعتز من مرر
بني المظفر والايام ما برحت * مراحلا والورى منها على سفر
سحقا ليومكم يوما ولا حملت * بمثله ليلة في مقبل العمر
من للاسرة أو من للاعنة أو * من للاسنة يهديها الى الثغر
من للبراعة أو من للبراعة أو * من للسماحة أو للنفع والضرر
أو دفع كارثة أو ردع آزفة * أو قمع حادثة تعيي على القدر
من للظبي وعوالى الخط قد عقدت * أطراف ألسنها بالعي والحصر
وطوقت بالثنايا السود بيضهم * أعجب بذلك وما منها سوى ذكر
ويح السماح وويح البأس لو سلما * وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية * تعزى اليهم سماحا لا الى المطر
ثلاثة ما رأى السعدان مثلهم * فضلا ولو عززا بالشمس والقمر
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقوا * وكل ما طار من نسر ولم يطر
ومر من كل شئ فيه أطيبه * حتى التمتع بالآصال والبكر

من الجلال الذى عمت مهابته * قلوبنا وعيون الانجم الزهر
أين الاباة الذى أرسوا قواعده * على دعائم من عزو من ظفر
أين الوفاة الذى أصفوا شرائعه * فلم يرد أحد منهم على كدر
كانوا رواسى أرض الله منذ نأوا * عنها استطارت بمن فيها ولم تقر
كانوا مصابيحها فمذ خبوا غبرت * هذى الخليقة يالله فى سدر
كانوا شجا الدهر فاستهوتهم خدع * منه باحلام عاد فى خطا الخضر
من لى ومن بهم ان أظلمت محن * ولم يكن وردها يفضى الى صدر
من لى ومن بهم ان أظلمت نوب * ولم يكن ليلها يفضى الى سحر
من لى ومن بهم ان عطلت سنن * وأخفقت ألسن الآثار والسير
ويلمه من طلوب الثار مدركه * لو كان دينا على الايام ذى عسر
على الفضائل الا الصبر بعدهم * سلام مرتقب للاجر منتظر
يرجو عسى وله فى أختها طمع * والدهر ذو عقب شتى وذو غير
قرطت آذان من فيها بفاضحة * على الحسان حصى الياقوت والدرر

(وأخبرنى الوزير أبو بكر بن القبطرنة) أنه كان مسامرا للمتوكل اذ وافاه خبر بخروج أحد أهل يابرة فارا من ابنه العباس ولحاقه بالمعتمد على الله فبينما هو يردد الوعيد ويبدى فى ذلك ويعيد اذا بكتاب العباس قد وافاه يقسم أنه ما أخرجه ولا نفاه ولا حمله على ذلك الا البطر وانه كان له فى ذلك أرب ووطر وكانت حاجة فى نفس يعقوب قضاها وارادة أنفذها وأمضاها فوقع له على رقعة قبولى لتنصلك من ذنوبك موجب لجراءتك عليها وعودتك اليها واتصل بى ما كان من خروج فلان عنك ولم تتثبت فى أمره ولا تحققت صحيح خبره حين فرعن أهله ووطنه والعجلة من النقصان وليس بحمد قبل النضج بحران وهو الذى أوجبه اعجابك بأمرك وانفرادك برأيك ومتى لم ترجع الى ما وعدت به من نفسك وصدرت به من كتبك فأنا والله أريح نفسى من شغبك وان تكن الاخرى فهو الحظ الاوفى فاختر لنفسك أى الامرين ترى ان شاء الله تعالى وبلغه أنه ذكر فى مجلس المنصور يحيى أخاه بسوء فكتب اليه (طويل)

فما بالهم لا أنعم الله بالهم * ينيطون لى ذما وقد علموا فضلى
يسيئون فى القول جهلا وضلة * وانى لأرجو أن يسوءهم فعلى

لئن كان حقا ما أذاعوا فلا مشت * الى غاية العليا من بعدها رجلى
ولم ألق أضيافى بوجه طلاقة * ولم أمنح العافين فى زمن المحل
وكيف وراحى درس كل غريبة * وورد التقى شمى وحزب العلى نقلى
ولى خلق فى السخط كالشرى طعمه * وعند الرضا أحلى جنى من جنى النحل
فيا أيها الساعى أتاه على النوى * كوين القلى مهلا رويدك بالعذل
لتطفئ نارا أضرمت فى صدورنا * فمثلك لا يقلى ومثلى لا يقلى
وقد كنت تشكينى اذا جئت شاكيا * فقل لى لمن أشكو صنيعك بى قل لى
فبادر الى الاولى والا فاننى * سأشكوك يوم الحشر للحكم العدل

(وكان) ابن الحضرمى وزيرا فاردهى واقتعد السهى وعامل الناس أسوأ معاملة وأعطاهم المقابحة عوضا عن المجاملة وأهمل الحال التى علقها بو ... ودمرها عليه وما حاطها ولما تصبر وعتا وانى من ذلك ما أنى ظهر للمتوكل قبح أفعاله واستذانه بالنجم واتصاله فأقعده عن رتبته وأبعده عن خدمته فكتب اليه يستعطفه فراجعه المتوكل ياسيدى وأكرم عددى الشاكى ما جنته يده لا يدى ومن أسأل الله التوفيق فى ذاته اذ هو معنى ذاتى قرأت كتابك المشتكى فيه صدودى واعراضى عنك غاية مجهودى ثم فلق رأيت الامر قد ضاع والاهمال قد انتشر وذاع فاشفقت من التلف وعدلت الى ما يعقب ان شاء الله بالخلف وأقبلت أستدفع مواقع أنسى وأشاهد ما ضيعته بنفسى فلم أر الا لججا قد توسطها وغمرات قد تورطها فشمرت عن الساق للجتها وخدمت النفس بمهجتها حتى خضت البحر الذى أدخلنى فيه رأيك ووطئت الساحل الذى كان يبعدنى عنه سعيك فنفسك لم وبسوء صنيعك لذ واعتصم وان مننت بجميل اعتقاد ومحض وداد فانا معترف به لا أنكره ولكن كنت كالمثل شوى أخوك حتى اذا أنضج رمد وقد أطمعت فى العدو ولبست لاهل مصرى الاستكبار والعتو واستهنت بجيرانك وتوهمت أن المروأة التزام زهوك وتعظيم شانك حتى أخرجت النفوس على وعليك فاجتذب مكروه ذلك اليك ومع ذلك فليس لك عندى الا حفظ الحاشية واكرام الغاشية (ولما) كتب الوزير أبو بكر بن القبطرنة مع بنت الحضرمى وتأخر زفافها تأخرا أرقه وأورى حرقه واتفق أن تمهض المتوكل الى أرض الروم لمنازلة أحد معاقلها ارجوعه فأقام عليه

الى أن قصه وأنهج له الظفر سعيه وأوضحه فصدر والفتنة قد أنشبت أظفارها وأعملت أسنتها وشفارها واغطشت ليلها وأجالت فى عراصه خيلها فكتب اليه ومملوكك قبل التهنئة (بسيط)

يشكو اليك الذى تطويه أضلعه * بالحضرمية من هم وتسهيد
فانسخ لى السود من أيام وحشتها * بالبيض قبل اختلاط البيض بالسود

فقال ابن أيمن اراد الشباب والمشيب وقال هو والله ما اراد الا الروم والزنج وكان باختلاطهم وانتشارهم فينا وانبساطهم ووالله لا جمعن بينهما قبل أن يتجر بأسهم الينا فيعود الشباب مشيبا وترى الولدان شيبا وترحل كل سلوة وتحل كل حبوة وتكثر الاجابات وتصبح الاعراس وهى مناحات فعاقت الفتنة عن ذلك وشغلت وتوقدت هواديها واشتعلت فلم تتكيف اعراسه ولا جرت فى ميدان المنى افراسه ولما عفر المتوكل وصرع وجرع من الردى ما جرع ارتدت آمال أبى بكر على اعقابها وانسابت اليه حيات الممات من انقابها وانتهبت أمواله وهتكت أحواله وغدت منازله وهى نزائل وتراءى له ظل عزه وهو زائل واستنسر له البغاث وعدم المستصرخ والمستغاث فقال يرثى المتوكل والفضل (طويل)

تهاوت بى الدنيا وهرت كلابها * بأسدى وجرت بيض افيالى النمل
فقلت لها عيثى جعار وجررى * فلا عمر منى قريب ولا الفضل

ثم اعرس بها بعد والحال قد جف معينها وخف قطينها وورد غمادها وفقد عمادها فأقام معها بين أحوال مكربة وآمال مضطربة الى أن حان حينها وبان بها رحيل المنايا وبينها وفيها يقول عندما عاقها عنه الحمام وعداها وثناها عنه كما يثنى عن الروضة نداها (متقارب)

أدمعا جموحا وصبرا حزونا * لقد جمع الحزن فيك الفنونا
ايا ماشيا فوقها لاهيا * تميس اختيالا وتنقد لينا
ترفع برجلك عنها رويدا * ستجعل خدك فيها المصونا
فلا تبكين لشرخ اماس * قنا تك مهما وياء وسينا
وخط على ورد كافورتيك * بمسك عذاريك لاما ونونا
ومما يثبت قولى لديك * وربما جر شأن شؤونا

مصاب حكى فى ابنة الحضرمى * مصاب صبيرة ادمى الجفونا
ولف الشباب باوراقه * واودعه الترب فضا مصونا
فانسى بها نضرة واقتبالا * وعيشا نضيرا وانسى طرونا

(وأخبرنى) الوزير أبو محمد بن عبدون أن الجدب توالى بحضرمة حتى جفت مذانبها واغبرت جوانبها وغرد المكاء فى غير روضة وخاض الناس بالباس اعظم خوضة وابدت الخمائل عبوسها وشكت الارض للسماء بوسها فاقلع المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو واظهر الخشوع واكثر السجود والركوع الى أن غيم الجو وانسجم النو وصاب الغمام وغنت الحمام وسفرت الازهار وزهت النجاد والاغوار واتفق أن وصل أبو يوسف المغنى والارض قد لبست زخارفها ورقم الغمام مطارفها وتدبجت الغيطان والربى وارجت نفحات الصبا والمتوكل مافض لتوبته ختاما ولا نفض عن قلبه منها اقتاما فكتب اليه (متقارب)

الم أبو يوسف والمطر * فياليت شعرى ماينتظر
ولست بآب وأنت الشهيد * حضور نديك فيمن حضر
ولا مطلعى وسط تلك السما * بين النجوم وبين القمر
وركض فيها جياد المدا * م محثوثة بسياط الوتر

فبعث اليه مركوبا وكتب معه (متقارب)

بعثت اليك جناحا فطر * على خفية من عيون البشر
على ذلل من نتاج البرو * ق فى ظلل من نسيج الشجر
فحسبى ممن نأى من دنا * فمن غاب كان فدا من حضر

فوصل الى القصبة المطلة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فاقام منها حيث قال عدى بن زيد يصف صنعاء (مديد)

فى قباب حول دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

ومضى لهم من السرور يوم ما مر لذى رعين ولا تصور قبل عيونهم لعين وأخبرنى انه سار الى شنترين قاصية ارض الاسلام السامية الذرى والاعلام التى لا يروعها صرف ولا يفرعها طرف لانها متوعرة المراقى معثرة للراقى متمكنة الرواسى والقواعد على ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد قد أطلت

على جنباتها اطلال العروس من منصتها واقتطعت في الجو اكثر من حصتها فتروا بالبشر قطر سالت فيه جداوله واختالت فيه خمائله فما يجول الطرف منه الا في حديقة أو بقعة أنيقة فتلقاهم ابن مغاني قاضي رندة وانزلهم عنده وأورى لهم بالمبرة زنده وقدم لهم طعاما واعتقد قبولهم منا وانعاما وعند ما طعموا اقعد القاضي بباب المجلس رقيبا لا يبرح وعين المتوكل حياءً منه لا تجول ولا تمرح فخرج أبو محمد وقد أبرمه القاضي بتثقيله وحرمه راحة رواحه ومقيله فلقي ابن خيرون منتظرا له وقد اعد لحضوره منزله فصار الى مجلس قد ابتسمت ثغور نواره وخجلت خدود ورده من زواره وابدت صدور اباريقه اسرارها وهمت عليه المحاسن ازرارها ولما حضر له وقت الانس وحينه وارحت له رياحينه وجد من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسه ويزول موحشه لا انيسه فاعلم رسوله وهو كانه لا يريمه وقد لازمه كانه غريمه فما انفصل حتى ظن ان عارض الليل قد نصل فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل بقطيع خمر وطبق ورد وكتب معهما

اليكها فاجتلها منيرة * وقد خبا حتى الشهاب الثاقب
واقفة بالباب لم يؤذن لها * الا وقد كاد ينام الحاجب
فبعضها من الحياء جامد * وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها رحمه الله وكتب اليه

قد وصلت تلك التي زففتها * بكرا وقد شابت لها ذوائب
فهب حتى نسترد ذاهبا * من انسنا ان استرد ذاهب

فركب اليه ونقل معه ما كان بالمجلس بين يديه وباتا ليلتهما لا يريمان السهر ولا يشيمان برقا الا الكأس والزهر (وأخبرني) ابن زرقون أنه حضر مجلس راح ومكنس ظباء وافراح وفيه جماعة منهم الوزير أبو بكر بن القبطرنة شيخ الفتوة ومعرض قنيات الحلاوة ومعهم سعد بن المتوكل وهو غلام ما نضا عنه الشباب برده ولا اذوى ياسمينه ولا ورده وكان الوزير أبو بكر واخواه أبو محمد وأبو الحسن مختصين بالفضل أخذه اختصاص الانوار بالكمائم والنبات بالتمائم فتذاكروا فقده وكيف أشتى عليه الزمان حقده وصفوا مصرعته واوقدوا لوعته والملام فقدر وقت دمعه وشوقت الاحاديثه سمعه فهاج شجومه وبان طربه ولهوه

وأرسل مدامعه سجالا وقال ارتجالا (كامل)

ياسعد ساعدني ولست بخيلا * وامنن بها عبرات فيض همولا

واحبس على دموع عينك ساعة * وابرد بها ما أم غليلا

ان يصبح الفضل القتيل فانني * اصبحت من وجدي به مقتولا

كم قد وقيتكم الحمام بمهجتي * وحملت شول علائكم معقولا

ومن كلامه الحر ونثره المزري بالدر ما كتب به الى المعتضد شافعا وهو عليه يشفع لي أيدك الله وجه مطالعتك ويعن لي سبب مراسلتك الا وأجد الزمان قد أقبل بعد اعراضه وأمد حبل انتقاضه وأرى المنى تلقي الى عنانها وتدنى من يدي احسانها فانك العماد الذي أعتده جبلا ألوذ بحقوه ومنهلا أكرع في صفوه ومعظما أعاطيه بقسطه وأناجيه على شحطه ولما كان فلان ابقاه الله قد سبقت به المعرفة القديمة وسلفت معه الادمة الكريمة وأثنى ثناؤه عليك بالغيب ارسالا كما هب صبا أو شمالا لزمني أن أعلمك بمكانه من الانقطاع الى جهتك والتحيز الى فئتك وان أشفع له عندك شفاعة حسنة أدرك بها كرم الشفيع ويحوز بها منك شرف العارفة والصنيع وهي منة طوقته اياها وأطلعته بروضها وربا ها ثم اعترض عليه فيها وقد شهر ملكه لها ولنواحيها ويعيذ الله نخرك أن يكون ما وهبت مرتجعا وما أوليت منتزعا وأما ارتقب لها الاسعاف والقبول كما يرتقب الظمآن الورود والوصول وان مننت أيدك الله بالمراجعة الجميلة البديعة وقرنتها بأحوالك المصونة الرفيعة اقتضيت الشكر من شاكر كنور زاهر وغمام باكر ان شاء الله تعالى * وكان ليلة مع خواصه للانس معاطيا وبمجلس كالشمس واطيا وقد تفرغ للسرور وتسوغ عيشا كالامل المزرور والمنى قد أفصحت ورقها وأومض برقها والسعد تطلع مخايله والملك يبدو زهوه وتخايله اذ ورد عليه كتاب بدخول اشبونة في طاعته وانتظامها في سلك جماعته فزاد في مسرته وبسط اسرته وأقبل على خدامه وأسبل نداه على جلسائه وندامه فقال له ابن خيرة وكان يدل بالشباب وينزل منه منزلة الاحباب لمن توليها أو من يكون واليها فقال لك فقال فاكتب لي بذلك فاستدنى الدواة والرق وكتب وما جف له قلم ولا توقف عنه كلم لم يسوغ اولياء النعم مثل الذي سوغتموه من التزام الطاعة والدخول في نهج الجماعة ولذلك

لا آلوكم ونفسى فيكم نصحا فمن اتخيره للنيابة عنى فى تدبيركم والقيام بالدقيق والجليل من أموركم وقد وليت عليكم من لم أوثر والله فيه دواعى التقريب على بواعث التجريب ولا فرات التخصيص على لوازم التمحيص وهو الوزير القائد أبو عبد الله بن خيرة ابن دربة وبعض صحبة ونشأتى شبكة وقربة وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية ما التزم الاستيفاء بعهده والوقوف بجده عند حده والمسؤل فى عونه من لا عون الا من عنده ولن أعرفكم من حميد خصاله وسديد فعاله الا بما سيبدو للعيان ويزكو مع الامتحان ويفشو من قبلكم ان شاء الله على كل لسان وقد حددت له أن يكون لناشئكم ابا ولكهلكم أخا ولذى التقوس والكبر ابنا ما أعنتموه على هذا المراد ولزوم الجواد وركوب الانقياد واما من شق العصى وبان عن الطاعة وعصى وظهر منه المراد والهوى فهو القصى منه وان مت اليه بالرحم الدنيا فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة فى جميع الاحوال يكن لكم بالبر والموالاة خير وال ان شاء الله عز وجل (وأخبرنى) الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبى أمية أنه مر فى بعض أيامه بروض مفتر المباسم معطر الرياح النواسم قد صقل الربيع حوذانه وأنطق بلبله وورشانه وألحف غصونه برودا مخضرة وجعل اشراقه للشمس ضرة وأزاهيره تتيه على الكواكب وتختال فى خلع الغمائم السواكب فارتاح الى السكون به بقية نهاره والتنعم ببنفسجه وبهاره فلما حصل من أنسه فى وسط المدى عمد الى ورقة كرنب قد بللها الندى وكتب فيها بطرف غصن يستدعى الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه ونجوم سمائه (بسيط مخلع)

أقبل أبا طالب الينا * وقع وقوع الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضر الدينا

(ولما) وافى العيد الذى لم يفرع فيه باسماتهم منبر ولا تضوع فى نواحيه منهم مسك ولا عنبر وطوت الفضل منيته وتعطلت فى ذلك الموسم ثنيته تذكر الوزير أبو محمد بن القبطرنة ايامه معه وتصور أعياده وجمعه واشراقها بجلاه وابتهاجها بعلاه وتفكر فى سقوط النسور عليه والعقبان وتمزيق الوحوش لجسمه الذى كان كغصن البان فقال (طويل)

ايا فضل لم اعجب لموتك انه * هو الدهر لا يبقى عليه ولا الدهر

ولكن لاسياف مشين عواضبا * اليك وكنت السيف حليته النصر
ويا عجبا للارض حيا ملكتها * ومت ولم يسترك من قعرها شبر
فليتك من عيني وقلبي صيانة * تؤب الى قبر اذا لم يكن قبر
ستبكي لهذا العيد بعدك فتية * زفيرهم نظم ودمعهم نثر
تؤمّل هل يبيض وجهك طالعا * فيسودّ في ألحاظها العيد والفطر
لبرعاك مني مشفق ذو حفيظة * عليك اذا لم يرعك الذئب والنسر

تم خبر المتوكل بحمد الله

(المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح رحمه الله)

ملك أقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في انتظام مجالسها واتساقها واوضح رسمها وأثبت في جبين أوانه وسمها لم تخل أيامه من مناظرة ولا عمرت الا بمذاكرة أو محاضرة الا ساعات أوقفها على المدام وعطلها من ذلك النظام وكانت دولته مشرعا للكرم ومطلعا للهمم فلاحت بها شموس وارتاحت فيها نفوس ونفقت فيها اقلام الاعلام وتدفقت بحار الكلام كاجادة ابن عمار وابداعه في قوله معتذرا من وداعه (طويل)

امعتصما بالله والحرب ترتمي * بابطالها والخيل بالخيل تلتقي
دعتني المطايا للرحيل واني * لافرق من ذكر النوى والتفرّق
واني اذا اغتربت عنك فانما * جبينك شمسي والمرية مشرقي

هذا على انكماش ولايته وقلة جبايته فان نظره لم يزد على امتداد ناظر ولم يجد الغمام منه على يانع ولا ناضر لان أكثره منابت شيح ومهامه فيح استغفر الله الاضفتي نهر بجاية الممتد كالحبل المستمد من الطل والوبل فان في جانبيه كاتساع الشبر ما يفي بانتجاع ورق ولا تبر فاقتصر هو على صمادحيته البديعة وقصبته المنيعة واشتغل بترميق اساطيله وتنميق اباطيله ولم تمتد همته الى مزاحمة ملك في ملكه ولم يزد على مراعاة أمر جواريه وفلكه ولا انتقل الا من مجلس مدارسة الى مكنس مؤانسة فكثيرا ما كان يعمر أندية اللهو ويداولها من مجلس الحافة الى البهو كلاهما سري المنظر ثري المرمر وكان له نظم أرج النفحة بهج الصفحة يصف به مجالس ايناسه ويصرفه بين ندمائه وكاسه ولم يزل كذلك الى أن نازلته المحلات وطاولته المطلات ففاضت نفسه في اثناء منازلتهم جزعا

وذهبت روحه مقسما بالانكاد موزعا ونغصت عليه منيته حتى ما كان يلتفت الا الى رهج يغشاه ولا يصيخ الا الى رجة تقلقل حشاه فاكثر القتال انما كان تحت مجلسه الذى كان به مضجعه وفيه تألمه وتوجعه ولقد أخبرنى من سمعه يقول وقد علت أصواتهم وتقلقلت لغاتهم نغص علينا كل شئ حتى الموت فبكت احدى حظاياه فرمقها بطرفه الكليل وقال وهو يتنفس الصعداء من حر الغليل (متقارب)

ترفق بدمعك لا تفنه * فبين يديك بكاء طويل

وبقى ابنه عز الدولة مختبل التلفت مرتقبا للتفلت لا يحكم تدبيرا ولا يملك من أمره قليلا ولا كثيرا قد نهل بالغصص وذهل خوفا من القنص الى أن ركب فى البحر طريقا غير يدس وساعدته الريح بنفس فامتطى ثبجه واورد غربانه لجه فكانت أطوع من غربان نوح وبلغت بأجنحة الى حيث شاء الجنوح فأصبح الناس وأطراف شراعه تلوح والطلال تبكى عليه وتنوح فازجاه الى بجاية سكانه وحباه منها موضعه ومكانه فاستقر فيها تحت رعاية المنصور بن الناصر وأوى منها الى جنات ومقاصر وتوقد له شهابه وجدد له العز ذهابه فمن بديع افعال المعتصم ان النحلى دخل المرية وعليه اسمال لا تقتضيها الآداب ولا ترتضيها الا الانتحاب والانتداب والناس قد لبسوا البياض وتصرفوا من حضرتهم فى مثل قطع الرياض والنحلى ظمآن يسعره جواده عريان لا يستره الاسواده فكتب اليه (وافر)

ايا من لا يضاف اليه ثان * ومن ورث العلى بابا فبابا
ايجمل أن تكون سواد عينى * وابصر دون ما ابغى حجابا
ويمشى الناس كلهم حماما * وامشى بينهم وحدى غرابا

فادر له حباه ووصله وحاباه وبعث اليه من البياض ما لبسه وجلل به مجلسه وكتب اليه مع ذلك (طويل)

وردت وللبل البهيم مطارف * عليك وهذى للصباح برود
وأنت لدينا ما بقيت مقرب * وعيشك سلسال الجمام برود

(وأخبرنى) الوزير أبو خالد بن بشتغير انه ركب ليتطلع بعض اقطاره ويتودع فيها بقية نهاره وقدم بين يديه من آلات أطرابه وأدوات شرابه ما اتخذه لانسه جالبا وللوعته غالبا فان احدى حظاياه المكينات عنده تركها تجود بنفسها

وترود مكان رمسها فخرج فارّا من قصتها مستريحا من غصتها فلما وضع رجله في ركابه ودمعه يغلب جلده بانسكابه خرج من أعلمه بموتها وعزاه على فوتها فأمر أن توضع في قبرها ووصى من ينظر في أمرها ولم ينصرف من وجهته ولم ينحرف عن نزهته وقال (بسيط)

لما غدا القلب مفجوعا بأسوده * وفض كل ختام من عزائمه
ركبت ظهر جوادي كي أسليه * وقلت للسيف كن لي من تمائمه

(وأخبرني الوزير المذكور) أنه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ويتلوى في نواحيه والمعتصم منشرح النفس مجتمع الانس فقال (بسيط)

انظر الى حسن هذا الماء في صببه * كأنه أرقم قد جد في هربه

فاستبدعوه وتموهوه وأولعوه فأسكب عليهم شآبيب نداه وأغرب بما أظهره من بشره وأبداه واتفق أن غني بقول النابغة (متقارب)

ولما نزلنا بجسر التاج * ولم نعرف الحي الا التماسا
أضاءت لنا النار وجها أغر * وملتبسا بالفؤاد التباسا

فاستطابه واستحسنه وجعله أبدع ما للنابغة وأحسنه وأمر ابن الحداد بمعارضته فقال على البديهة (متقارب)

اذا ما التمست الغنى بابن معن * ظفرت وأجدت منه التماسا
ومن يرج شمس العلا من نجيب * فليس يرى من رجاه شماسا

(وبلغته) عن ابن عمار هنات لم تطرق جفونه بهاسنات وقرر عنده أنه يدب اليه دبيب الضراء وينسبه الى أفن الآراء ويكشف عن عوراته ويستخف ببوادره وفوراته فضاق بها ذرعا واعتدها على ابن عمار أصلا وفرعا ونوى غاية هجره وزوى عينيه عن صباحه وفجره فكتب اليه ابن عمار فلم يلتفت الى ما كتبه وعذل مبلغه وأنبه واجتاز على المرية فما استدعاه ولا أخصب له مرعاه ولا برّه على عادته ولا رعاه فلما تمادى في تقاطعهما الامد وتوالى عليه ما يبلغه عنه الكمد كتب اليه مراجعا عن قطعة خاطبه بها (طويل)

وزهدني في الناس معرفتي بهم * وطول اختباري صاحبا بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا تسرني * مباديه الا ساءني في العواقب

ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى المصائب

فراجعه ابن عمار بهذه الابيات (طويل)

فديتك لاتزهد فثم بقية * سيرغب فيها عند وقع التجارب
وأبق على الخلصان ان لديهم * على البدء كرات بحسن العواقب
تكنفتني بالنظم والنثر جاهدا * وسقت على القول من كل جانب
وقد كان لى لوشئت رد وانما * أجز لسانى بعض تلك المواهب
ولا بد من شكوى ولو بتنفس * يبرد من حر الحشى والترائب
كتبت على رسمى وبعد نسيئة * قرأت جوابى من سطور المواكب
ثلاثة أبيات وهيهات انما * بعثت الى حربى ثلاث كتائب
وكيف يلذ العيش فى عتب سيد * ومالذلى يوما على عتب صاحب
وقبل جرت عن بعض كتبى جفوة * ألحت على وجهى بغمز الحواجب
سلكت سبيلى للزيارة قبلها * فقابلت دفعا فى صدور الركائب
وما كنت مرتادا ولكن لنفحة * تعودت من ريحان تلك الضرائب
ولولمعت لى من سمائك برقة * ركبت الى مغناك هوج الجنائب
فقبلت من يمناك أعذب مورد * وقضيت من لقياك أوكد واجب
وأبت خفيف الظهر الا من النوى * وخلفت للعافى ثقال الحقائب
سواك يعى قول الوشاة من العدا * وغيرك يقضى بالظنون الكواذب

وأقام عنده فى بعض سفراته مقاما امتد زمامه وتوالت عليه أيامه حتى أقلقته دواعى شوقه وشب صبره عن طوقه والمعتصم يقيده ببره ويعتمده بوالاة جنيه وتبره ويرعيه ماشاء من بشره ويستدعيه لبسط الانس ونشره ولما سئم الثواء وملّه وأنهله القلق وعله وحن الى حمص حنين نصيب للجفر والمحرمين ليلة النفر وهام بها هيام عمر بالثريا وحارثة بن بدر بالحميا كتب اليه يستسرحه بشعر تتمناه النفس وتقترحه وهو (كامل مجزو)

يا واضحا فضح السحا * ب بجوده فى معنى السماح
ومطابقا بأى وجو * ه الجد من طرق المزاح
أسرفت فى برّ الضيا * ف فجد قليلا بالسراح

فراجعه المعتصم (كامل مجزو)

يا فاضلا فى شكره * أصل المساء مع الصباح
هلا رفقت بمهجتى * عند التكلم بالسراح
ان السماح ببعدكم * والله ليس من السماح

(وخرج الى برجة ودلاية) وهما نظران لم يجل فى مثلهما ناظر ولم تدع حسنهما الخدود النواضر غصون تثنيها الرياح ومياه لها انسياح وحدائق تهدى الارج والعرف ومنازل تبهج النفس وتمتع الطرف فأقام فيها أياما يتدرج فى مسارحها ويتصرف فى منازهها ومسايحها وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة وأنافت عليها أى انافة وفى أثناء مقامه وخلال اتساق الانس له وانتظامه عن له ذكر احدى حظاياه فهيجه وأقلقه وأزعجه وأرقه فكتب اليها رقعة وطيرها وفيها (طويل)

وجملت ذات الطوق منى تحية * تكون على أفق المرية مجمرا

كمل ذكر المعتصم والحمد لله

* (الحاجب ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين رحمه الله تعالى) *

ورث الرياسة من ملوك عضدوا مؤازرهم وشدوا دون النساء مآزرهم ولم يتوشحوا الا بالحمائل ولا جنحوا للبأس الا فى أعنة الصبا والشمائل وركبوا الصعاب فذللوها وابتغوا اسبا النجوم حتى اعتلوها وملكوا الملك بأيد وعقلوه من النخوة بقيد وكان ذو الرياستين منتهى فخارهم وقطب مدارهم شيد بناءهم وقيد غناءهم رجلا اتخذته البسالة قلبا وضمت عليه شغافا وخلبا لا يعرف جبنا ولا خورا ولا يتلو غير سور الندى سورا وكانت دولته موقف البيان ومقذف الاعيان ترتضع فيها للمكارم اخلاف وتدار بها للامانى سلاف فوردت الآمال نداه نميرا ووجد الاجمال فى سراه سميرا الا أنه كان يتشطط على ندامه ولا يرتبط فى مجلس مدامه فربما عاد انعامه بوسا وانقلب ابتسامه عبوسا فلم تتم معه سلوة ولا فقدت فى ميدانه كبوة وقليلا ما كان يقيل ولا يناجى المذنب عنده الا الحسام الصقيل ومع هذا فانه كان غيثا للندى وليثا على العدا وبدرا فى المحفل وصدرا فى الجحفل وله نظم ونثر ما قصرا عن الغاية ولا أقصرا عن تلقى الراية وقد أثبت منهما ما يبذا تروق شموسا وتكاد تشرب كؤسا (أخبرنى الوزير) أبو عامر بن سنون انه اصطبح يوما والجو ساكى العوارف لازوردى المطارف

والروض أنيقة لباته رقيقة هباته والنور مبتل والنسيم معتل ومعه قومه وقد راقهم يومه وصلاته تصافح معتفيهم ومبراته تشافه موافيهم والراح تشعشع وماء الاماني ينشع فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه (طويل)

ضمان على الايام أن أبلغ المنى * اذا كنت فى ودّى مسرا ومعلنا

فلو تسأل الايام من هو مفرد * بودّ ابن عمار لقلت لها أنا

فان حالت الايام بيني وبينه * فكيف يطيب العيش أو يحسن الغنا

فلما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر مختل المعانى والفصول فقال أحد الحاضرين انى لأعجب من ابن عمار وكيف قعد عن هذا المضمار مع ميله الى السماع وكلفه بمثل هذا الاجتماع فقال ذوالرياستين ان الجواب تعذر فلذلك اعتذر لانه يعانى قوله ويعلله ويرويه ولا يرتجله ويقوله فى المدة الممتدة فرأى أن الوصول بلا جواب انخيال لادبه واخلال بمنازله فى الشعر ورتبه فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وهو (طويل)

هصرت لى الآمال طيبة الجنى * وسوّغتنى الاحوال مقبلة الدنا

وألبستنى النعمى أغض من الندى * وأجمل من وشى الربيع وأحسنا

وكم ليلة أحظيتنى بحضورها * فبت سميرا للسناء وللسنا

أعلل نفسى بالمكارم والعلا * وأذنى وكفى بالغناء وبالغنى

سأقرن بالتمويل ذكرك كلما * تعاورت الاسماء غيرك والكنى

لاوسعتنى قولا وطولا كلاهما * يطوّق أعناقا ويخرس ألسنا

وشرّفتنى من قطعة الروض بالتى * تناثر فيها الطبع وردا وسوسنا

تروق بجيد الملك عقدا مرصعا * وتزهى على عطفيه وشيا معينا

فدم هكذا يا فارس الدست والوغى * لتطعن بالاقلام فيها وبالقنا

(وأخبرنى الوزير الكاتب أبو جعفر بن سعدون) انه أصبح يوما بحضرته وللرذاذ رش وللربيع على وجه الارض فرش وقد صقل الغمام الازهار حتى أذهب غشها وسقاها فأروى عطشها فكتب اليه (طويل)

فديناك لا يسطيعك النظم والنثر * فأنت مليك الارض وانفصل الامر

هريناك الغمر فانهل صيبا * كما سكبت وطفاء أو فتق الزهر

وجاء الربيع الطلق يندى غضارة * فحييك منه الشمس والروض والنهر

وما منهم الا اليك انتماؤه * جبينك والجود المتمم والبشر
خلا منك دهر قد مضى بعبوسه * فلما أتت أيامك ابتسم العصر
فبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر
وقال الردى من يبتغى عندك المنى * وساعدك الاسعاد واليمن والنصر

فراجعه بقوله (طويل)

اليك فلولا أنت لم ينتظم الدر * ولا التام فى مدح نظام ولا نثر
اذا قلت لم ينطق فصيح مدرب * ولا ساغ فى سمع غناء ولا زمر
لك السبق كم روضت من عاطل الربا * وحليت من سحر وقد حرم السحر
ولما ملكت القول قسرا وعنوة * اطاعك جيش النظم وأعمر النثر
فلا نقل الا ما تقول بديهة * ولا خمر ما لم تأت من فلك الخمر

ثم توجه فيه الى روضة قد أرجت نفحاتها وتدبجت ساحاتها وتفتحت كمامها وأفصحت حمامها وتجردت جداولها كالبواتر ورمقت أزهارها بعيون فواتر فأقاموا يعملون كاسهم ويشملون ايناسهم فقال ذو الرياستين (طويل)

وروض كساه الطل وشيا مجددا * فأضحى مقيما للنفوس ومقعدا
اذا صافحته الريح خلت غصونه * رواقص فى خضر من العصف ميدا
اذا ما انسكاب الماء عاينت خلته * وقد كسرته راحة الريح مبردا
وان سكنت عنه حسبت صفاءه * حساما صقيلا صافى المتن جردا
وغنت به ورق الحمائم بيننا * غناء ينسيك القريض ومعبدا
فلا تجفون الدهر ما دام مسعدا * ومد الى ما قد حباك به يدا
وخذها مداما من غزال كأنه * اذا ما سقى بدر تحمل فرقدا

(وركب متصيدا) فى يوم غيم نضح رذاذه وجه الثرى وتلفعت الشمس بطرفه فلا ترى والارض لا تثبت حوافر الخيل فى زلاقها ولا تهش الجياد الى طلقها والافق لو مرت به دهمة الليل لغابت فى نوءه وما بانت فى جوه والمدام قد علته وآراؤها قد تولته فقام بين يديه قنص فطارده فى ميدان الجد لاهيا وسايره فى طريق الحذر ساهيا وقد تفرد من عبيده وتوحد فى بيده فسقط به فرسه سقطة أوهنت قواه وانتهت به الى ملازمة مثواه وبلغه ان أحد عداته شمت

بوقعته وسر بصرعته فقال (بسيط)

انى سقطت ولا جبن ولا خور * وليس يدفع ماقدشاءه القدر
لايشمتن حسودى ان سقطت فقد * يكبو الجواد و ينبو الصارم الذكر
هذا الكسوف يرى تأثيره أبدا * ولا يعاب به شمس ولا قمر

(وأخبرنى الكاتب أبو عبدالله بن خلصة) أنه لما دخل بيطرة بعد تخلى أبى عيسى بن لبون عنها أنشدته طائفة من الشعراء والكتاب فخرم ووصل وأدنى قوما وأبعد آخرين وأصاخ من وزيره الى أسواقرين فاشار فى جانب أبى عيسى باخلال وأصار عزته فى قبضة الاخمال والاذلال فتفرق القوم فرقا وسلكوا من التشغيب عليه طرقا وتشوفوا الى المستعين وأنفوا من الورود على غير عذب ولامعين وكان فى الجملة المنحرفة والفئة المتطلعة الى ابن هود المستشرفة الكاتب أبو الحسن بن سابق فقال (بسيط)

من كان يطلب من أصحابنا صلة * على فراق أبى عيسى بن لبون
فليس يقنعنى من بعده عوض * ولو جعلت على أموال قارون
قد كان كنزى فكف الدهر عنه يدى * والدهر يمتع بالنعمى الى حين
كأن قلبى اذا ذكرت فرقته * مقلب فوق أطراف السكاكين

فلما سمعه ابن رزين قال مطفئا للوعته ونازعا كنزعته نوعا من السياسة سكن بها أنفه وأعاد عليه الاهواء مؤتلفه (بسيط)

هبوا النا حظكم من آل لبون * كم تخلون علينا بالرياحين
لاتعذلونا فحقا أن تنافسكم * فى أكرم الناس للدنيا وللدين
ذاك الكريم الذى نيطت تمائمه * عند الفطام على علم ابن سيرين
اختارنا فتخيرناه صاحبنا * وكلنا فى أخيه غير مغبون
ان كان أنشر ذكرى فى بلادكم * لأنشرن له يحيى بن ذى النون
وكل من حوله حاظ بحظوته * يشجى الحسود بترفيع وتمكين
حتى تقول الليالى وهى صادقة * هذا السموأل فى هذى السلاطين

(وخاطب ابن طاهر) مستدعيا الى السكون لديه برسالة تدل على انافته فى الفخر دلالة النسيم على الزهر والشاطئ على النهر وتشهد له بالعلاء والمجد شهادة النار بطيب الند وكرم الزند فانه استدعاه والآذان قد صمت عن دعائه وحكمه

فى ملكه والكل قد ضن عليه بمانى وعائه وهى أنت أدام الله عزك عالم بالزمان وانقلابه عارف باعادنه واستلابه ومن عرفه حق معرفته لم تزده شدته الا معتبرا وشكرا لله وتدبرا ومازلت ألقاك بالود على البعد فاعلمك بتقدمك فى الاعيان وان لم أرك بالعيان وأستخبر الاخبار فاسمع مايقرع صفاة الكبد ويصدع بانحاء الزمان عليك وتنكره لديك الى أن ورد فلان فاستفهمته عن حالك فذكر ماأزعج وكدر ارتماضا لمثلك أن يعوزه مرام أو ينبو به مقام تجردت عن ساعد الشفاعة عند القائد الاجل أبى عبد الله فى صرف مايمكن من أملاكك فوقع الاعتذار بانه أمر محظور تقدم فيه حد محذور وأشار باجراء مايلم بالاكتفاء وأنا أعزك الله أعرض ماهو الاوفق لى والاليق بى عن عزيمة مكينة ورغبة وكيدة من الانتقال الى جهتى والانبساط فى دولتى فأقاسمك خاص ضياعى ومعلوم أملاكى ورباعى وان شق عليك الكون بجهتى لبردهوائها وبعد أنحائها فهاهى شنت مرية اقف طاعتها عليك وأصرف أمرها اليك وعندى من العون على الارتحال مايقتضيه لك رفيع الحال ولك الفضل فى مراجعتى بمايستقر عليه رأيك ويأتى به ايجابك ان شاء الله تعالى (وله يتشوق الى خليط ودعه وأجرى بعده أدمعه) (طويل)

دع الدمع يفنى الجفن ليلة ودعوا * اذا انقلبوا بالقلب لا كان مدمع
سروا كاقتداء الطير لا الصبر بعدهم * جميل ولا طول الندامة ينفع
أضيق بحمل الحادثات من النوى * وصدرى من الارض البسيطة أوسع
وان كنت خلاع العذار فاننى * لبست من العلياء ماليس يخلع
اذا سلت الالحاظ سيفا خشيته * وفى الحرب لا أخشى ولا أتوقع

(وأخبرنى الوزير) أبو عامر بن سنون انه كان معه فى منية العيون فى يوم مطرز الاديم ومجلس معز النديم والانس يغاز لهم من كل ثنية ويواصلهم بكل أمنية فسكر أحد الحاضرين سكرا مثل له ميدان الحرب وسهل عليه مستوعر الطعن والضرب فقلب مجالس الانس حربا وقتالا وطلب الطعن وحده والنزالا فقال ذو الرياستين (كامل)

نفس الذليل تعز بالجريال * فيقاتل الاقران دون قتال
كم من جبان ذى افتخار باطل * بالخمر تحسبه من الابطال

كبش الندى تخمطا وعرامة * واذا تشب الحرب شاة نزال

(وله يحن الى نازح) من أحبابه الفه أيام شبابه فاختلسه النوى من بين يديه وترك الصبابة عوضا منه لديه (كامل)

أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

ونعض تفاح النهود شفاهنا * ونرى منى الاحداق بالاحداق

ونعود أنفسنا الى أجسادنا * فلطالما شردت على الآفاق

وله (خفيف) برح السقم بى وليس صحيحا * من رأت عينه عيونا مراضا

ان للاعين المراض سهاما * صيرت أنفس الورى أغراضا

(وتجنى عليه ذو الوزارتين) أبو بكر بن عمار وتعتب ولامه وذنب فكتب ابن رزين اليه معرضا بعينيه وهو مما أبدع فيه تعريضا وتصريحا وسقاه التنديد منه صريحا (طويل)

تحقق أبا بكر ودادى وحقق * وصدق ظنونى فى وفائك واصدق

أيجمل يحيى فى كساد بهرج * وقد كان ظنى ضد ذا بل تحقق

ثنائى على مر الزمان مخلق * عليك وان أبديت بعض التخلق

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

وله فى شمعة (رمل مجزو)

رب صفراء تردت * برداء العاشقينا

مثل فعل النار فيها * تفعل الآجال فينا

(ولما) افترس ملوك الاندلس الليث وطمس رسومهم الغيث وخوصموا بالسنة الاغماد ورموا بداهية ناد بقى ذو الرياستين طالعا بافق الملك وقد أفلت نجومه محترسا من ذلك الليث الذى افترسهم هجومه يحمى دولته من انقراضها ويرمى من سعى فى انتقاضها فلم يرمه رام ولم يجسر عليه عدو متزام الى أن خطبته المنية وتخطت اليه تلك الثنية وبقى ابنه على رسمه مخطوبا له فى منابرها باسمه الى أن دبت اليه تلك الافاعى واشتملت عليه تلك المساعى فخر من عرشه وأقيم من فرشه فتبارك من لا يكيده كائد ولا يبيد ملكه وكل شئ بائد كمل ذكره

* (الرئيس الاجل أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر ٢ رحمه الله تعالى)

٢ فى نسخة زيادة هنا صاحب ... [illegible]

به بدئ البيان وختم ولديه نبت الاحسان وارتسم وعنه افترّ الزمان وابتسم
واستقرّ الملك لديه استقرار الطرس في يديه واختال التاج بمفرقه اختيال
اليراع في مهرقه وغنى المسك أن يستمدّه كما رجا القطر أن يمدّه ان جدّ رأيت
الطود وقارا وان هزل خلته يعاطيك عقارا الا أن نكباته تتابعت ولاء
وأعقبت الانتهاب جلاء فخلع عن سلطانه وماسوّغ المقام في أوطانه وكانت له
تنديدات تنفذ الجن وتدرك كالليل اذا جن يرسلها الى الغرض فتصميه
وينكي بها القرح فتدميه عدّت من هناته ومحت أكثر حسناته ودعت الى
رفضه وسعت في نقضه فبقي في قبضة ابن عمار محبوسا ولقي من دهره المبتسم
عبوسا واشتدت عليه المحن وبدت اليه تلك الاحن الى ان سعى له الوزير الاجلّ
أبو بكر بن عبد العزيز وسكن من ذلك الازيز فتسنى انطلاقه وانفرجت
اغلاقه وعندما خلص من ذلك الثقاف خلوص القناة من الثقاف جنح الى
الاستقرار ببلنسية حضرة الوزير الاجل أبي بكر جنوح الطائر المتنشل الى الوكر
فلقي السعد اليه آتيا ونزل على آل المهلب شاتيا فوجد ما أراد وأحمد المراد
ودعا أبا بكر لما شاء فأجاب وأراه من بشره الافق المنجاب فأقام بين مبرات
وألطاف وجنى لما أحبّ وقطاف الى أن دار ببلنسية ما دار وعطل العدوّ
دمره الله ذلك القطب المدار فعلقته حبالة الاسر وأتيح هيضه بالكسر ولم
يزل يكشف للعدوّ دفينه ويجدف والموج يعوق سفينه ويصرف الى أن هبت
ريحه بجرى وتسنى تسريحه فأدلج وسرى ووافى شاطبة خاليا الامن الوجد
عاريا الامن المجد وقد أتتشى من الذل فأوى الى الظل وأقام مشتملا بالخمول
مؤملا غير المأمول الى أن برئت بلنسية من آلامها فبادر الى استلامها وعاد
اليها عود الحلي الى العاطل وأنجز له قربها بعد وعد من مماطل فحل بها حلول
الهائم في وصل الحبيب المسعد وأنشد * ويجمعنا شتى على غير موعد * ولزم مطلعه
متواريا وأقام بها ثابتا لا ساريا لم يطأ رقعة أرض ولا خرج لاداء سنة ولا
فرض حتى أدرج في كفنه وأخرج الى مدفنه شهدت وفاته سنة سبع
وخمسمائة وقد نيف على التسعين وجف ماء عمره المعين وحين قضى دخل عليه
الوزير أبو العلاء بن أزرق شبيهه في التعمير وحليفه منذ خلع عن تدمير وهو
يبكي ملء عينيه ويقلب على ما فاته منه كفيه وينادي بأعلى صوته أسفا على

فوته (بسيط مخلع)

كان الذى خفت أن يكونا * انا الى الله راجعونا

فوضع على أعواده وودّع من القلب بسويدائه ومن العين بسواده وصلى عليه بيلنسية ودفن بمرسية فانقرض الكلام بانقراضه وبكت البلاغة على أغراضه وقد أثبت من نثره ماترده عذبا نميرا وترود روضا نضيرا فى ذلك رقعة كتب بها الى المعتصم بالله صاحب المرية أيام رياسته يصف العدو العائث بجزيرة الاندلس كتابى أعزك الله وقد ورد كتاب المنصور ملاذى المعتد بك أيدك الله وقد أودعه ما أودع من حيات ولم يدع مكانا للسلاة فانه للقلوب موذ وللعيون مقذ وللظهور قاصم ولعرى الحزم فاصم فليندب الاسلام نوادبه وليبك له شاهده وغائبه فقد طفئ مصباحه ووطئ ساحه وهيض عضده وغيض ثمده الى الله نفزع واليه نضرع فى طارق الخطب ومنتابه ولا حول ولا قوة الا به هو فارج الكروب وناصر الحروب وعالم الغيوب لا رب سواه وذلك أن فرديناند وقمه الله نزل على قلعة أيوب محاصر المن فيها ومغيرا على نواحيها بجموع يضيق عنها الفضاء وتتساقط لملاحظتها الاعضاء وأنه قد بنى على قصد جهاتنا ووطء جنباتنا الا أن يدرأ الله فى نحره ويحمى من شره وغرسيه دمره الله بسرقسطة كذلك وزدميرأهلكه الله بوشقة وماوالاها يشكى بما يكى والمسلمون بينهم سوام ترتع وأموالهم نهب توزع والقتل يأخذ منهم فوق مايدع فأطل الفكرة فى هذا الحزم الداخل والبلاء الشامل وأسبل العبرة وأطل العبرة والله المرجو لتلافى الاتة وكشف هذه الغمة بمنه (وله مراجعا الى المأمون) ذى المجد بن ذى النون الا ان أيدك الله عاد الشباب خير معاده وابيض الرجاء بعد سواده وترك الزمان فضل عنانه فلله الشكر المرتد باحسانه وافانى أعزك الله لك كتاب كريم كما طرز البدر النهر أو كما بلل الغيث الزهر طوقتنى به طوق الحمامة وألبستنى ظل الغمامة وأثبت لى فوق النجوم منزلة وأرانى الخطوب نائية عنى ومعتزلة فوضعته على رأسى اجلالا ولثمت كل سطوره احتفاء واحتفالا وناولنيه الوزير الكاتب أبو الحسن عبدك ونصيحك أعزه الله وبشر بدنو الدار وأشار الى مالديك كما يشار الى النهار وأخبرنى عن ذلك المجمل بغاية الامل ويعلم الله أنى ما أعتد فى لك الاشيعة ولا أرى وذلك الا دينا وشريعة فانك

الموثوق بوفائه وشرفه والمسكون الى برد أمنه وطرفه الذى لا تجد الايام الفضل متمما الا لديه ولا تعقد الاحرار الاصفاق الا عليه ولن أزال العالم بحقك ومقدارك الناظم فى سلكك واختيارك ان شاء الله تعالى (وله مراجعا) الى اقبال الدولة مهنئا برجوع أحد معاقله اليه والظفر بالمتترى فيه عليه جراحات الايام أيدك الله هدر وجناياتها قدر وليس للمرء حيلة واغا هى ألطاف الله جميلة تستنزل الاعصم من هضابه وتأخذ المتغتر بأثوابه أحمده عودا وبدأ على النعمة التى ألبسك سربالها والفتنة التى أطفأ عنك اشتعالها والرياسة التى حمى فيها جمالك وردخاتمها الى عنانك وقد تناولته للباطل يد خشناء فاستقالته يدك الحسناء فلم يكن عنده أهلا لتلك النيابة ولا رآه حليا لخنصر الحبابة والاعناق تقطعها المطامع والنفاق يستوعرفيه الطامع فأقر الله عز وجل الحال فى نصابها وأبرزها فى كمالها تتراءى بين أترابها ووضعت الحرب أوزارها وأخفت الاسود أخياسها وزآرها ومن كانت مذاهبه كذاهبك وجوانبه للسلامة كجوانبك أعطته القلوب أسرارها وأعلقته المعاقل أسوارها وانجلت عنه الظلماء وأكرم قرضه والجزاء فليهنئك الاياب والغنيمة وهما المنة العظيمة ولكن لهما من نفسك مكان ومن شكرك لله بالموهبة اسرار واعلان وأما حظى منهما فخط مسلوب أمكنه سلبه وذى مشيب عاوده شبابه وطربه ولما اقترنا لى وكانا معظم آمالى وعلمت أن بهما زوال الخلاف وبوطء الاكتاف وأن بالصدر تثلج الصدور ويبتهج السرور بادرت الى توفية الحق لك وتعرف الحال قبلك مشيعا بالدعاء فى مزيدك ضارعا فى الادامة لتأييدك فان الوقت اساءة وأنت احسانه والخبر طرف وأنت انسانه فان مننت بما سألته أفضلت وأحسنت ان شاء الله عز وجل (وله الى ناصر الدولة صاحب ميورقة) أطال الله بقاء الامير الاجل ناصر الدولة ومعز الملة منيعا حرمه رفيعا علمه ان الذى بنته الدنيا أعزك الله من مناقبك العليا فحللت منه أقاصيها وتملكت به نواصيها لجاذب اليك أحرارها وجالب الى ظلك أعيانها وأخيارها بقلوب تملكها هواها وحركها نهاها وهذا الوزير الاجل الكاتب أبو جعفر بن البنى عبدك الامل أبقاه الله صممت به الى ذرا الذهم عوال كأنها الرماح عوال يحملها السفين والعزم النافذ المكين وريح جدّ ما تلين الى حلى من البيان يتقلدها

يكاد السحر يحسدها وخلائق محمودة كأنها الخلوق تنفح مسكا ونشوق وان الوشي ماخطه وربما أزرى به أوحطه والخبر يغنيه عن الخبر ويعلمه بالعين لا بالاثر والتبر تعلمه منيف القدر والاثر فلا زلت كافيا بالاحسان منصفا من الزمان ان شاء الله تعالى (وله أيضا) أطال الله بقاء الامير الاجل ناصر الدولة ومعز الملة وأيده وأعلى يده الشفاعات أيدك الله على اقدار ملتحفيها ولكل عندك منزلة يوافيها ولما تأمل ذو الوزارتين الفاضل أبو الحسن العامري أبقاه الله مالك في الناس من الطول والايناس بما جبلت عليه من شرف السجية والهمم السنية حتى مالت اليك الاهواء وارتفع لك بالحمد اللواء قصد ذراك واعتقد اليمن في أن يراك فيملأ من زهر العلا أجفانا ومن نهر الندى جفانا ويستبدل من صد الزمان اقبالا ومن تهاون الايام ابتهالا وله قدم الوجاهة وقدم النباهة ويدل عليه بيانه كما يدل على الجواد عنانه وأرجو أن ينال بك الآمال غضة والايادى منك مبيضة فأقوم عنه على منبر الثناء خطيبا وأوقد على جمر الآلاء عودا رطيبا لا زلت للقاصدين ملاذا وللراغبين معاذا ان شاء الله تعالى (ولما حصل بعنت قوط معتقلا) قام الوزير الاجل أبو بكر بن عبد العزيز في أمره وقعد وأبرق على ابن عمار وأرعد وخاطب المعتمد فيه شافعا ووقف مناضلا عنه ومدافعا لم ينم عنه ولا أغفى ولا استناب سواه في تخلصه ولا استكفى فوقع الاتفاق على اخلاء حصن جملة وكان قريبه أبو بكر بن موسى ممتنعا فيها وكانت في صدر مرسية شجا وفي صباحها دجا قد سدت مسالكها وصدت سالكها وروعت طارقها وقطعت مرافقها فأجاب ابن طاهر الى تمكينهم من أزمتها واعطائها لهم برمتها بعد أن يحل من عقاله ويخرج من موضع اعتقاله وأعطى في ذلك عهودا وموثقا وكيدا وابن عبد العزيز قد واطأه على النكث ورخص له في الحنث ومهد له في فنائه موضعا وأحله من سمائه مطلعا فلما حصل منجاه وعلم أنه قد فاز بنجاه ركب الى بلنسية منهجه ورمى في أعينهم رهجه فلما حل بجزيرة شقر وهي أول عمل الوزير الاجل كتب اليه كتابي اليك وقد طفل بنا العشي ومال بنا اليك المطي ولها من ذكرك الحاد ومن لقائك الهاد وسنوافيك المساء فنغفر للزمان ما قد أساء ونرد ساحة الامن ونشكر عظيم ذلك المن فهذه النفس أنت مقيلها وفي برد ظلك يكون مقيلها فلله مجدك وما تأتيه

لازالت للوفاء تحييه ودانت لك الدنيا ودامت لك العليا ان شاء الله تعالى (فلما) وافت رقعته الوزير الاجل أبابكر ركب اليه في جملته وتلقاه في أعيانه وجلته وأنزله في قصر مجاور لقصره وجامله مجاملة لم تعهد في عصره وأشركه معه في نهيه وأمره وأطلعه على سره وجهره ولم ينفرد عنه بغصة ولا اختص دونه من الملك بحصة الى أن فرق بينهما مفرق الجموع ومجتث الاصول والفروع (ولما عاين) من بره ما أعظمه وبهره هانسقه منه ونظمه كتب اليه من ذا يضاهيك والى النجم مراقيك فشأوك لا يدرك وشعبك لا يسلك أقسم بالله لاعقدن على علاك من الثناء اكليلا يذر اللحظ من سناه كليلا ولاطوفنه شرق البلاد وغربها ولاحملنه عجم الرجال وعربها وكيف لا وقد نصرتني نصرا مؤزرا وصرفت عني الضيم عضبا مغفرا وألبستني البأو برداً سهما وأوليتني البر متمما ولم تزل الشعراء تسليه عن نكبته وتغنيه بالعود الى رتبته بأفصح مقال وأملح انتقال فمن ذلك قول الوزير أبي جعفر البني (طويل)

أترضى عن الدنيا فقد تتشوف * لعمر المعالى انهما بك تكلف
يقولون ليث الغاب فارق غيله * فقلت لهم أنتم له الآن أخوف
ولن ترهبوا الصمصام الا اذا غدا * لكم خارجا من غمده وهو مرهف
ستفرغ يمناه لتكتب أسطرا * يرى الموت في أثنائها كيف يدلف
اذا غضبت أقلامه قالت القنا * فديناك انا بالمقاتل أعرف
ستكشف عن سر الكتيبة مثل ما * رأيناك عن سر البلاغة تكشف
ويعتز لي هذا الزمان بجولة * على من به دون الورى كان يشرف
رويدا قليلا يا زمان فانه * يغيظك منه بالذي أنت تعرف

(ولما كان ابن عبد العزيز) الذي سهل طريق نجاته ودس له النكث أثناء مراسلته ومناجاته اعتقدها ابن عمار غدرة جرت على يديه وخديعة نسب عارها اليه ولم يزل يعمل في الاضرار به فكره ويقبح وصفه وذكره ويغري به نفوس رعيته ويريش ويبري في بليته فمن ذلك قوله يحرض أهل بلنسية على القيام عليه (كامل)

بشر بلنسية وكانت جنة * أن محمد تدلت في سواء النار
جاروا بني عبد العزيز فانهم * جرّوا اليكم أسوأ الاقدار

وزرابهم متأولين وقلدوا * ملكا يقوم على العدو بثار
هذا محمد أو بهذا أحمد * وكلاهما أهل لتلك الدار
جاء الوزير بها يكشف ذيلها * عن سوأة شوهاء وعار عار
نكث اليمين وحاد عن سنن العلا * وقضى على الاقبال بالادبار
آوى لينصر من نأى المثوى به * ودهاه خذلان من الانصار
ما كنتم الا كامة صالح * فرميتم من طاهر بقدار
هلا وخصكم بأشأم طائر * ورمى دياركم بالأحجار
برّ اليمين ولم يعرّض نفسه * ونفوسكم لمصارع الفجار
لا بدّ من مسح الجبين فانما * لطمته عذوا غير ذات سوار
هيهات يطمع في النجاة لطالب * ساع اذا دنت الكواكب سار
كيف التفلت بالخديعة من يدى * رجل الحقيقة من بنى عمار
رجل تطعمه الزمان بحالة * طرفين في الاحلاء والامرار
سلس القياد الى الجميل فان يهج * يدع الضنان كهينة التيار
طبن باغراض الامور مجرب * فطن باسرار المكائد دار
ماض اذا برزت اليه مصمم * مولى اذا التفت عليه مدار
ما زال مذ عقدت يداه ازاره * فسما فأدرك خمسة الاشبار
كشاف مظلمة وسائس أمة * نفاع أهل زمانه الضرار
عجبا لأشمط راضع ثدى الوغى * منه وطود في القنا الخطار
شرّاب أكواس المدام وتارة * شرّاب أكواس الدم الموار
جرّار أذيال القنا طنوابه * قد زاركم في الجحفل الجرار
وكأنكم بنجومه ورجومه * تهوى اليكم من سماء غبار
وأنا النصيح فان قبلتم فاتركوا * آثارها خبرا من الاخبار
قوموا الى الدار الخبيثة فانهبوا * تلك الذخائر من خبايا الدار
وتعوضوا من صفرة حبشية * بأغر وضاح الجبين نضار

(وكتب الى المنصور بن أبي عامر) يعلمه بخبر السيل الذى سال بمرسية فعفى آثارها وهدّ أسوارها واحتمل ديارها وقد كان ورد كتابه مستفهما عن خبره ومنتهى عيثه وردني أيدك الله كتابك الكريم مستفهما لما طار به اليك الخبر من السيل

الحافل الذى عظم معه الضرر وقد كنت آخذا فى الاعلام بحوادثه العظام فانه أذهل الاذهان وشغل البيان اذ أقبل علاء السهل والجبل والجنوب قد اضطجعت والعيون قد هومت للنوم أو هجعت فن ماض قد امتلبه وناج قد حربه وفازع قد أثكله وحائر لايدرى ماحتم له والبرق يجب فؤاده والودق ينسرب مزاده وقد استسلم للقدر واعتصم بالله عزوجل وليس سواه من وزر حتى أرانا آية اعجازه وبراهينه وغيض الماء لحينه وطلع الصباح على معالم قد غيرها وآكام قد حدرها لاينقضى منها عجب لناظر ولايسمع مثلها فى الزمن الغابر فالحمد لله على وافى دفعه ومتلافى غوثه ونفعه لارب غيره (وكتب اليه) مع شوذانقات وانى لما شيعته أيده الله وبت فى المحلة الكريمة معه قصدنى بائل مملوكه فى ارتياد أفرخ من الشوذانقات عند أوانها والبعث بها وقت تهيئها وامكانها فلم أفارق لها ارتقابا ولاحدرت فما جشمة عنها انتيابا ولطالما طالابا الى ان حان حين ظهورها وامتلأت منها حجور وكورها وبداسيها واكتسى عريها وجهت طبارفيقا لاستنزالها يرتقى الى ذرى أجبالها وعبيز أفرهها ويحوز أشرهها فجلب منها عددا دربت بدا فيدا الى أن تخرج منها ثلاثة أطيار كأنها شعل نار أجل كل صيد وقيده اعاقيد تقلب حوادق مقل وتنظر نظر محتبل وتسرع فى الانقضاض كالوحى والايماض وترجع الى يد وثاقها كأنها أشفقت من فراقها بمجلب دام وأبهة مقدام فناهيك بها يامولاى سعدلك ذخرها وعبد قن لك تخيرها وهى واصلة من يد حاملها تحمل رغبة ناظمها فى الباسه حلة التشريف والتنويه بالامر بقبولها والمراجعة عن وصولها ان شاء الله تعالى (وكتب الى الحاجب نظام الدولة) أطال الله بقاء الحاجب نظام الدولة سيدى المعظم وسندى المقدم المميم فى اعتلاء الجد ومضاء الحد انه سبق الى من برة أيده الله وتأنيسه ما أثقل ظهرا وعاتقا وبعث الشكر مبراوراثقا وكذا الشرف التليد يكون له السبق الجيد ووافانى أيده الله كتابه الرفيع يخدر عن الصلة لثامها وأطلع المبرة غمامها فألفى الوداد فى محاضه لم يتعرضه الزمان بأعراضه ووعيت أيده الله عن مؤديه سلمه الله ماتحمل وطبق فيه المفصل بحسن نطقه وأمارات صدقه وراجعته عنه بما يبلغ الشفاء منه وقلدته من الثناء على سيدى مايسير فى ضيائه ويتعطر

بانهائه وانى مادمت على الصفاء المقيم والى مجد مستتم * فلا برح أيده الله والسعد كانفه والعزم واقفه ان شاء الله عز وجل (ولما انحل من أسره) نوجل بين سماك ابن عبد العزيز ونسره واستراح من الشجن واوتاح ارتياح أبى محجن عاد الى عاداته من التبذير ودسما اثناء الابتداء والتصدير وأسلك ابن عبد العزيز طريقه وعلمه تسديده وتوفيقه وبلغه أن ابن عمار تختم بخاتمين أحدهما الموزعن والآخر لاذفرنش بن فردينالد فأوما فى ذلك الى ابن عبد العزيز ورمز وألمز على رسوله المعلم بذلك وغمز فلما بلغ ذلك ابن عمار أقلقه وضيق فى التماسك طلقه فكتب الى ابن عبد العزيز (كامل)

قـل للوزير وليس رأى وزير * ان يتبع التعزير بالتبـذير
ان الوزارة لو سلكت سبلها * وقفت على التعزيز والتوقير
وأرى الفكاهة جل ما تأتى به * وجمالها فى التصدير والتظفير
وصلت دعابتك التى أهديتها * فى خاتم التأمـين والتأمير
وأظنها للطاهـرى فان تكن * لخليفة التقديس والتطهير
ولعل يوما أن يصير نقشـه * فى طينة التقديم والتأخـير
وترى بلنسية وأنت مدارها * سينالها التدمير من تدمير

(وبحثته يوما وقد وقفت بباب الحنش) فقال لى من أين فأعلمته ووصفت له ساعاتيه من حسنه وتأملته فقال لى كنت اخرج اليه أكثر الليالى مع الوزير الاجل أبى بكر الى روضته التى ودت الشمس أن يكون منها طلوعها وتمنى المسك ان تضم عليه ضلوعها والزمان غلام والعيش أحلام والدنيا تحية وسلام والناس قد انتشروا فى جوانبه وقعدوا الى مذانبه وفى ساقيته الكبرى دولاب يئن كناقة الى الحوار أو كثكلى من حر الاوار وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه بكرته ورواحه ويغازل عليه حبيبه ويصرف اليه تشبيبه فخرجت اليه ليلة والمتنبى الجزيرى واقف وأمامه على آنس تهيم به المكانس وفى أذنيه قرطان كأنهما كوكبان وهو يتأود تأود غصن البان والمتنبى يقول (رمل)

معشر الناس بباب الحنش * بدر تم طالـع فى غبش
علق القرط عـلى مسمعه * من عليه آفة العين خشى
فلما رآنى أمسك * والصبح كأنه قد تنسك (وله صلة بتقديم الاحكام) فى احدى

جهاته قلدت فلانا سلمه الله النظر فى أحكام فلانة وتخيرته لها بعد ما خبرته واستخلفته عليها وقد عرفته وانتقاديته راجيا تحصينه لانه ان احتاط سلم وان أضاع أثم فليقم الحق على أركانه وليضع العدل فى ميزانه وليسو بين خصومه وليأخذ من الظالم لمظلومه وليقف فى الحكم عند اشتباهه ولينفذه عند اتجاهه ولا يقبل غير المرضى فى شهادته ولا يتعرف سوى من كان الصدق من عادته وليعلم أن الله مطلع على خفياته وسائله يوم ملاقاته لا رب غيره (وله الى صاحب قلبيرة) يستدعى منه أقلاما قد عدمت أطال الله بقاءك بهذا القطر الاقلام وبها يتخلص الكلام وهى حلية البيان وترجمان اللسان عليها تفرع شعاب الفكر وذكرها منزل فى محكم الذكر ومنابتها بلدك ويدك فيها يدك وأريد أن ترتاد لى منها سبعة كعدد الاقاليم حسنة التقليم فضية الاديم ولا يعتمد منها الاصليبها الطوال أنابيبها واذا استمدت من أنفاسها وافاك الشكر من أنفاسها ان شاء الله تعالى (وكتب الى الوزير الاجل) أبى عبد الملك بن عبد العزيز عند الحادثة بقونكة كتبت أعزك الله والحد فليل والذهن كامل بما حدث من عظيم الخرق على جميع الخلق فلتقم على الدين نوادبه فقد جب سنامه وغاربه ولتقص عليه مدامعه وعبراته فقد غشيه حمامه وغمراته وكان منيع الذرى بعيدا عن أن يلحظ أو يرى تحميه المناصل البتر والذوابل السمر والمسومة الجرد ومشيخة كأنهم من طول ما التثموا مرد فأبى القدر الا أن يفجع باشجع مدائنه ومعاقله ولا يترك له سوى سواحله وكانت لطليطلة اختا فاستلبها فجأة وبغتا وقبل ما سلب الجزيرة وسطى عقدها بالنسبة جبرها الله وأرجو أن يتلافى جميعها من نظر أمير المسلمين أيده الله ما يعيدها فيملؤها خيلا ورجالا ينفر بهم خفافا وثقالا عليهم من قواد مشيبها وشبانها وفيهم من أجنادها زنجها وعربانها (كامل)

من كل أبلج باسم يوم الوغى * يمشى الى الهيجاء مشى غضنفر

يلقى الرماح بوجهه وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر

حتى يستقال جدها العاثر ويحيا رسمها الداثر فتبتهج الارض بعد غبرتها ويكتسى الدهر بزهرتها وما قصر القائد الاعلى فى الجد والتشمير والاحتفال بالابطال المغاوير حتى بلغ بنفسه أبلغ المجهود والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ولكن نفذ حكم من له الحكم ورمى قضاؤه فما أخطأ السهم والله لا يضيع له مقامه في العام السالف وما أورد المشركين فيه من المتالف فما انقضى فتح حتى أعقبه فتح كالفجر يتبعه صبح مد الله بسطته وثبت وطأته ولا زال للصنع الجميل عن هذا الدين مراميا وله محاميا بعزته (وكتب الى القاضي ابن فورتش) كتبت أعزك الله عن ضمير اندمج على سر اعتقاد لك ذره وتبلج في أفق وداد لك بدره وسال على صفحات ثنائك مسكه وصار في راحتي سنائك ملكه ولما ظفرت بفلان جملته من تحيتي زهرا جنيا يوافيك عرفه ذكيا ويواليك أنسه نجيا ويقضي من حقك فرضا مأتيا على أن شخص جلالك لي ماثل وبين ضلوعي نازل لا يميله خاطر ولا يميسه عرض داثر ان شاء الله عز وجل (وشفع له ذو الرياستين) عند القائد الاعلى أبي عبد الله محمد بن عائشة في أن يسوغه من أملاكه ما يريشه ارتجاعه وينعشه انتجاعه فأعلمه أن أمير المسلمين حد له ألا يخوله شيأ ولا ينوله منها نفسا ولا ربا فكتب اليه يعرض عليه الوصول الى دولته والحصول في جملته فيوليه غاية اجماله ويوليه ما شاء من أعماله فكتب اليه كل المعالي أبدك الله اليك ابتسامها وفي يدك انتظامها وعليك اصفاقها ولديك اشراقها وان كتابك الرفيع وافاني فكان كالزهر الجني أو البشرى أتت بعد النعي سرى الى نفسي فأحياها وأسرى عن كرب الخطوب وجلاها وتنبه لي وقد نامت عني العيون وتهمم بي وقد أغفلني الزمن الخؤن فتملكني باجماله واستخفني باهتباله فلتأتينه بالثناء الركائب تحمله أعجازها والغوارب وأما ما وصف به أيده الله الايام من ذميم أوصافها وتقلبها واعتسافها فما جهلته ولقد بلوتها خبرا ووردتها على أعقابها صغرى فلم أخضع لجفوتها ولم أتضعضع لنبوتها وعلمت أن الدنيا قليل بقاؤها وشيك فناؤها فأعدت قول القائل (متقارب) تفانى الرجال على حبها * وما يحصلون على طائل

وعلى حالاتها فما عدمت فيها من الله صنعا لطيفا وسترا كثيفا له الحمد ما أومض بارق ولمع شارق وأما ما عرضه أيده الله من الانتقال الى ذراه والتقلب في نعماه والحلول في جنابه فكيف وأنى به وقد قيدني الهرم فما أستطيع نهضا ولا أطيق بسطا ولا قبضا ولو أمكنني لاستقبلت العمر جديدا والفضل مشهودا عندمن تقر بسوابقه العجم والعرب وتوكل خلائقه بالضمير

ونشرب جازاه الله بالحسنى وأولاه ثواب ماتولى بعزته تعالى (ولما نهضت بنت الوزير الاجل) أبي بكر بن عبد العزيز الى سرقسطة لتزف الى المستعين بالله استدعى المؤتمن أعيان الاندلس وأمجادها وأبطالها وأنجادها وكتابها ووزراءها وحجابها وأمراءها لمشاهدة زفافها فأجابوا مناديه وانحشروا لناديه وكان عرسا لم تكتحل مقلته بسرقسطة عين بوسن ولم يحتفل احتفاله فيه المأمون لبوران بنت الحسن وحشرت اليه الآمال حشرا وطابت به الاماني عرفا ونشرا وأبدت له الدنيا تهللا وبشرا ورمت فيه المسرات جمارها وفسحت لطراد المستهترين مضمارها فكتب أبو عبد الرحمن معتذرا عن الوصول اليه والحصول لديه نعمه أيده الله قد أغرقتني مدودها وأثقلتني لواحقها ووفودها ووافاني كتابه العزيز داعيا الى المشهد الاعظم والمحفل الاكرم الذي ألبس الدنيا اشراقا والمجد ابراقا فألفى الدعاء مني سميعا لاسيما وقد قلدني به الشرف والسودد والبر جميعا وسما بناظري فيه الى حيث النجوم شوابك والمعالي أرائك الا أنه أيده الله أتم نظرا وأصح تدبرا من أن يلحق بخاصته الزلل أو يوقع عليه الخلل وقد علم أن الايام تركن بالي كاسفا وخطوي واقفا فكيف يسوغ لي أن القاه بذهن كليل وفكر عليل اذن فقد أخللت بأياديه وما أجللت رفيع ناديه وأقسم القسم البر بحياته أطالها الله ما كان من وطري ان أتأخر عنه ولي فيه الآمال العريضة والقداح المفيضة وفي يدي منه مواعد زهر النظام ومواهب زرق الجمام واذا عرف أيده الله الحقيقة رأى العذر واضحا والسر لائحا وعسى أن يلاحظ سعد ويستنجز للمنى وعد وينفسح خاطر ويهتدي حائر فيقف ببابه ملازما ويجر على بساطه لاثما ان شاء الله تعالى (ودخلت بلنسية) سنة ثلاث وخمسمائة فلقيته وقد انحنى وعوض من نشاطه الخنا وهو يمسي بالعيش على الضجر ويمشي على ساق من الشجر لاتحمله المنساة من الكبر ولا يملك رأس البعير ان نفر الا أنه متع بانسانه وأقطع ماشاء من ابداع فكره ولسانه فأعاد عصري صبا وأهب ريحي صبا ودارت بيننا مراسلات أحلى من عطفات الحبيب وأشهى من رشفات اللمى الشنيب وفي أثناء ذلك استدعاني أميرها الى الالتزام وعزم فيه كل الاعتزام بعد أن أرسل مالا وملا لي بالرغائب يمينا وشمالا وجلا على آمالي شخوصا وتلاها نصوصا فأبيت وتلومت

والتوبت وفرّقت ما أعطانى وعطلت صهوة التوجيه التى أمطانى فكتب
الىّ الرئيس أبو عبد الرحمن رحمه الله انا أعزك الله عليك شحيح ولك فيما تأتيه
وتحتذيه نصيح فالزمان لا يساعد والايام تعوق وتباعد فأقصر من هذه الهمة
واقتصر من أمورك على المهمة التى تفجأ مع الاوقات ولا يلجأ فيها الى ميقات
واقتصد فى مواهبك واقصد الى العدل فى مذاهبك ولا تكلف فى الجود بسرف
ولا تقف من التبذير على شرف فلو أن البحر لك مشرب والترب مكسب
لنفذا معا ولم يسدّا موضعا ولو كان لك النجم مصعدا والفلك مقعدا لما ثنيت
الى ذلك عنانا ولا ارتضيت لهمتك مكانا وقد خطبتك الحظوة سرّا وجهرا
وبذلت لك الامرة أسنى مراتبها مهرا فازدريت زهوا وامتطيت بأوا لا تتربص
على مسديها ولا يختص باجابتك مناديها وقد كان يجب أن لا ترغب عن راغب
ولا تنكب عنه الى شغب شاغب فأين تريد تنزل وما الذى ترضى وتستجزل
وقد عرضت عليك الامانى فما تأملتها وخلعت عليك ملابسها فما اشتملتها والذى
أحضك عليه ان تكف من رسنك قليلا ومن وسنك مستطيلا ان شاء الله وأقمنا
نتجاذب أهداب المخاطبة ونصل أسباب المكاتبة ونتعاطى أحاديث كأنها
رضاب ونتراضى والايام غضاب الى أن نهضت الى ميورقة فانصرم فى التزاور
سببنا وخوى من سمائه كوكبنا فكتب الىّ يا كوكب مجد أظلمت بغروبه
منيرات الآفاق وذهب ما كنت عهدته بطلوعه من الاشراق لقد استرجعت
مسرّاتى أجمعها وأزلت عن نفسى فى السلوة طمعها فسقيا لعهدك وقل له السقيا
ويالهفى من بعدك ان قضى لى بالبقيا وانّ بى من الشوق لبعدك والكدر ما لو كان
بالفلك الدوّار لم يدر فلقد كانت غراء أيام تلاقينا والأنس يساقينا
وانها المنزلة لعيى ما يحول السلو بينها وبينى وعساها تعود فتطلع معها السعود
ان شاء الله تعالى (ودعيت يوما) الى منية المنصور بن أبى عامر ببلنسية وهى منتهى
الجمال ومزهى الصبا والشمال على وهى بنائها وسكون الحوادث برهة
فى فنائها فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه والحسن قد شرح بها عويصه
وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه وتوشحت بالازر المذهبة أثوابه يخترقه
جدول كالحسام المسلول وينساب فيه انسياب الايم فى الطلول وضفاته
بالادواح محفوفة والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة وفيه يقول على بن أحمد

أحد شعرائها وقد حله مع طائفة من و زرائها (منسرح)

قم فاسقني والرياض لابسة * وشيا من النور حاكه القطر

والشمس قد عصفرت غلائلها * والارض تندى ثيابها الخضر

في مجلس كالسماء لاح به * من وجه من قد هويته بدر

والنهر مثل المجرة حف به * من الندامى كواكب زهر

فحللت في ذلك المجلس وفيه أحدان كأنهم الولدان وهم في عيش لدن كأنهم في جنة عدن فأنخت لديهم ركائبي وعقلتها وتقلدت بهم رغائبي واعتقلتها وأقمنا نتنعم بحسنه طول ذلك اليوم ووافى الليل فذدنا عن الجفون طروق النوم وظللنا بليلة كان الصبح منها مقدود والاغصان تميس كأنها قدود والمجرة تتراءى نهرا والكواكب تخالها في الجو زهرا والثريا كأنها راحة تشير وعطارد لنا بالطرب بشير فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا فأفضنا في الحديث حتى أفضى بنا الى ذكر متنزهنا في أمس وما نلنا فيه من الانس فقال لي وما بهجة موضع قد بان قطينه وذهب واستلب الزمان بهجته وانتهب وباد فلم يبق الارسمه ومحاه الحدثان فما يكاد يلوح وسمه عهدي به عند ما فرغ من تشييده وتنوهي في تنميقه وتنضيده وقد استدعاني اليه المنصور في يوم حلت فيه الشمس بيت شرفها واكتست الارض بزخرفها فحللت به والدوح تميس معاطفه والنور يخجله قاطفه والمدام تطلع فيه وتغرب وقد حل فيه قحطان ويعرب وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع ولا يحل غير الفؤاد من مربع وهم يديرون رحيقا خلتها في كؤسها درا وعقيقا فأقمنا والشهب تغازلنا وكان الافلاك منازلنا ووهب المنصور في ذلك اليوم ما يزيد على عشرين ألفا من صلات متصلات وأقطاع ضياع ثم توجع لذلك العهد وأفصح بما بين ضلوعه من الوجد وأنشد (كامل)

سقيا لمنزلة اللوى وكثيبها * اذ لا أرى زمنا كأزماني بها

(قال وأخبرني رحمه الله) أن أبا أحمد بن جحاف لما انتزى وانتمى للرياسة واعتزى وظن بقتل القادر بالله أنه يتم له من الاستبداد ما تم للقاضي ابن عباد والقدر يضحك من ورائه ويصك له بقبح آرائه بادر لحينه بالامتداد الى حاشيته والاستطالة على غاشيته فوجه اليه من قبله رسولا فجبهه وسبه ومن وجهه وكتب الى

صاحب المظالم ابن عمه قد البس من برك أعزك الله ما لا أخلعه وحملني من شكرك ما لا أضيعه فأنا أستريح اليك استراحة المستنيم وأصرف الذنب الى الزمن المليم وان ابن عمك مد الله بسطته لما ثار ثورته التي بلغ بها السماك وظن أنه قد بذ معها الافلاك نظر الى متخازرا متشاوسا وظنني حاسدا أو منافسا ولعن الله من حسده جمالها فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها ثم تورم على أنف عزته فرماني بصروف محنته وكل ذلك أتجرعه على مضضه وأتغافل لغرضه وأطويه على بلله وما انتصر بشيء من عمله الى أن رام اليوم بسوء رأيه أن يزيد في تعسفه وبغيه فاستقبلت من الامر غريبا ما كنت أحسبه ولا بان لي سببه ولما جاءه رسولي مستفهما عبس وبسر وأدبر واستكبر فأمسكت محافظا للجانب وعاملا على الواجب لا أن هيبة أبي أحمد قبضتني ولا أن مبرته عندي اعترضتني وأنا أقسم بالله حلفة بر لو أن الأيام قذفت بكم الي وأناخكم لأوردتكم العذب من مناهلي وحملت جميعكم على عاتقي وكاهلي ولكن الله يعمر بكم أوطانكم ويحمي من الغير مكانكم ويحوط هذه السيادة الطالعة فيكم البانية لمعاليكم فلا يسوءك مقطعه وليسرك مصرعه فأمثله يعطل ولا ينتظر ولا يمهل ان شاء الله تعالى ولم أسمع له شعرا الا ما أنشدني في أبي أحمد هذا عند قتله القادر بالله يحيى ابن ذي النون رحمهم الله أجمعين (رمل مجزوء)

أيها الاخيف مهلا * فلقد جئت عويصا

اذ قتلت الملك يحيى * وتقمصت القميصا

رب يوم فيه تجزى * لم تجد عنه محيصا

(تم القسم الأول بعون الله)

القسم الثاني من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان في غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب والبلغاء

ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون رحمه الله وأسكنه دار رحمته ورضاه

زعيم الفئة القرطبية ونشأة الدولة الجهورية الذي بهر بنظامه وظهر كالبدر ليلة تمامه فجاء من القول بسحر وقلده أبهى نحر لم يصرفه الا بين ريحان وراح

ولم

ولم يطلعه الا ومعا مؤانسات وأفراح ولا تهتدي به الرؤساء والملوك ولا تردى
منه الا لحظوة كالشمس عند الدلوك فشرف بضمائعه وأرهف بدائع صنائعه
وكلفت به تلك الدولة حتى صار ملهج لسانها وحل من عينها مكان انسانها وكان
يمع أبي الوليد بن جهور تآلف أحرما بكعبته وطافا وسقياه من تصافيهما
نطافا وكان يعد ذلك حساما مصلولا ويظن أنه يردبه صعب الخطوب ذلولا الى
أن دعته همته لطلب أصاره الى الاعتقال وقصره عن الوخد والارقال فاستشفع بأبي
الوليد وتوسل واستدفع به تلك الاسنة المشرعة والاسل فثنى اليه عنان
عطفه ولا كف عنه امتنان صرفه فتحيل لنفسه حتى تسلل من حبسه ففر
فرار الطائف وسرى الى أشبيلية مسرى الخيال الطائف فوافاها غلسا قبيل
الاسراج والالجام ونجا برأس طمرة ولجام فهشت له الدولة وتاهت به الجملة
فأحد اليها فراره ولرهفت النكبة غراره وحصل عند المعتضد بالله كالسويداء
من الفؤاد واستخلصه استخلاص المعتصم بالله لابن أبي دواد وألقى بيده مقاليد
ملكه وزمامه واستكفى به نقضه وابرامه فأشرقت شمسه وأنارت وأنجدت
محاسنه وغارت ومازال يلتحف بحظوته ويقف بربوته حتى أدركه حمامه ولقى
الثرى رغامه فأجن منه التراب شمسا طالعة وزهرة يانعة وقد أثبت من مقاله
في سراحه واعتقاله ومقامه وانتقاله ماهو أرق من النسيم وأشرق من المحيا
الوسيم فمن ذلك ماقاله متغزلا (سريع)

يا قمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بي في حبك المذهب
ألزمتني الذنب الذى جئته * صدقت فاصفح أيها المذنب
وان من أغرب ماتر بي * أن عذابي فيك مستعذب

ورحل عنه من كان يهواه وفاجأه بينه ونواه فسايره قليلا وماشاه وهو يتوهم
ألم الفرقة حتى غشاه فاستعجل الوداع وفي كبده مافيها من الانصداع فأقام
يومه بحالة المفجوع وبات ليلته نافر الهجوع يردد الفكر ويجدد الذكر
فقال (رمل) ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن * زاد في تلك الخطا اذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

(وأخبرني الوزير) الفقيه أبو الحسن بن سراج رحمه الله انه في وقت قراءته أضحى فضلة الاضحى وقد ثار له الوجد بين كلف بالهم والغرام وتراءت لعينه تلك الظباء الا والبين والآرام وقد كان الفطر وافاه والشعاع قد استولى على رسم عافيته حتى عفاه فلما عاده منه ما عاد وأعياه ذلك النكد المعاد استراح الى ذكر عهده الحسن وأراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن وذكر معاهد كان يخرج اليها في العيد ويتفرج بجامع أولئك الغيد فقال (طويل)

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى ‏ ✱ ‏ فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل ‏ ✱ ‏ أخص بمخصوص الهوى ذلك السفحا
وما انفك بجوفي الرصافة مشعري ‏ ✱ ‏ دواعي بث تعقب الاسف البرحا
ويهتاج قصر الفارسي صبابة ‏ ✱ ‏ بقلبي لا تألو زناد الهوى قدحا
وليس زميما عهد مجلس ناصح ‏ ✱ ‏ فأقبل في فرط الولوع به نصحا
كأني لم أشهد لدى عين شهدة ‏ ✱ ‏ نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجني فان مشى ‏ ✱ ‏ سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته ‏ ✱ ‏ فالا يكن ميعاده العيد فالفصحا
وآصال لهو في مسناة مالك ‏ ✱ ‏ معاطاة ندمان اذا شئت أو سبحا
لدى نهر كالتسبيك من صفحاته ‏ ✱ ‏ قوارير خضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبوة ‏ ✱ ‏ أجلت المعلى في الاماني بها قدحا
ألا هل الى الزهراء أوبة نازح ‏ ✱ ‏ تقضت مبانيها مدامعه نزحا
مقاصير ملك أشرقت جنباتها ‏ ✱ ‏ فخلنا العشاء الجون أثناءها صبحا
يمثل قرطيها لي الوهم جهرة ‏ ✱ ‏ فقبتها فالكوكب الرحب فالسطحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه ‏ ✱ ‏ اذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى
هنالك الجام الزرق تندى حفافها ‏ ✱ ‏ ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شدو القيان خلالها ‏ ✱ ‏ صدى فلوات قد أطار الكرى ضبحا
ومن حملي الكاس المفدى مديرها ‏ ✱ ‏ تقحم أهوال حملت لها الرمحا
أجل ان ليلي فوق شاطئ نيطة ‏ ✱ ‏ لأقصر من ليلى بآنة والبطحا

وهذه معاهد لبني أمية قطعت بها الليالي وأياما وظلت فيها الحوادث عنهم نياما الهائمون بشرق العقاب وشاموا به برقا يبدو من نقابه وهضموا بجوفي الرصافه

وقطعوا عنه [illegible] الدهر بلا [illegible] وأصبح [illegible] الناصح وحده والأنس
مجلس ناصح وهو الزهراء وهو [illegible] صاحب الوزراء حتى [illegible]
عنها وقومهم [illegible] فظلوا أعاديهم أبدا عليه [illegible]
منها الا [illegible] وبقيت تلك المنازل [illegible] كف الغير وتعاورتها
الطير [illegible] رأس [illegible]
الجن [illegible] البطل الباسل والقرن وكذا الدنيا أحوالها خراب
وآمالها آل وسراب أهلكت أصحاب الاخضرة وأذهبتها [illegible]
عبارات وعهود (وله يتغزل بولادة) (بسيط)

يا نازحا وضمير القلب مثواه * أنستك دنياك عبدا أنت دنياه

ألهتك عنه فكاهات تلذ بها * فليس يجرى ببال منك ذكراه

علّ الليالى تبقّينى الى أمل * الدهر يعلم والايام معناه

(وكان يكلف بولادة) بنت المهدى ويهيم ويستضئ بنور محياها فى الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتيم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والألباب وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانقض عنه بسرعة الكرب فر الى الزهراء ليتوارى فى نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافقها والربيع قد خلع عليها برده ونثر سوسنه ووردة وأترع جداولها وأنطق بلابلها فارتاح ارتياح جميل بوادى القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطلقه ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضرها وشهده (بسيط)

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا

وللنسيم اعتلال فى أصائله * كأنه رق لى فاعتل اشفاقا

والروض عن مائه الفضى مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا

يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا

نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال أعناقا

كأن أعينه اذ عاينت أرقى * بكت لما بى فجال الدمع رقراقا

ورد تألق فى ضاحى منابته * فازداد منه الضحى فى العين اشراقا

سرى بنا نفحة نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفى المنى فى جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام أخلاقا
لا أسكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى أضناه ما لاقى
ياعلق الاخضر الأسنى الحبيب الى * نفسى اذا ما اقتنى الاحباب أعلاقا
كان التجارى بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه اطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

ولم تزل الايام تدنيه وتبعده وتقسو وتسعده وتقذف به الى كل نازح وتطرف أمله بعين اللاعب المازح حتى أحلته بلنسية وهلالها كأنه قد أقمر وغصن نباهته يانع قد أثمر وبنو عبد العزيز غرر ملكها ودرر سلكها يفيضون بحور الندى ويومضون فى كل منتدى فحل منهم محل الحيا فى الكؤس ووقع منهم مواقع البشائر فى النفوس وأقام بين مبرة تواصله ومسرة تغازله ومكارمة تغاديه ومجاملة كرائح القطر وغاديه فلما انفصل وحصل فيما حصل تذكر بعد برهة ذلك العيش ونور عمره قد صوح وغصن سنه قد دوح فلم يجد الاله طيبا ولم يبصر غير فننه غضا رطيبا فكتب الى ابن عبد العزيز (كامل مجزوء)

راحت فصح بها السقيم * ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبولا * فهى تعبق فى الشميم
أفضيض مسك أم بلنـ * ـسية لرياها نميم
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبد الالـ * ـه نداء مغلوب العزيم
ان عيل صبرى من فرا * قك فالعذاب به أليم
أو أتبعتك حنينها * نفسى فأنت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالسها * د سرى فبرح بالسليم
مهما ذممت فما زما * نى فى زمانك بالذميم
زمن كما لوفد الرضا * ع يشوق ذكراه الفطيم
أيام أعقد ناظرى * بذلك المرأى الوسيم

فأدى الفتوة غصة * فى ثوب أواه حليم
الله يعلم أنّ حبك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك فى * جسم فعن قلب مقيم
ثم السلام تبلغنه بقلب مهديه السليم

وفى أيام مقامه ببلنسية وتشوقه الى بلاده قال (طويل)

غريب بأرض الشرق يشكر للصبا * تحملها منه السلام الى الغرب
وما ضرّ أنفاس الصبا فى احتمالها * سلام فتى يهديه جسم الى قلب

(وفى نكبته) وقعود أبى الحزم عن اقالته من كبوته يقول يعاتبه من قصيدة وقد بلغه أنه سعى به اليه (طويل)

أبا الحزم انى فى عتابك مائل * الى جانب تأوى اليه العلا سهل
حمائم شكوى صبحتك هوادلا * تناديك من أفنانها دانى الهدل
جواد اذا استن الجياد الى مدى * تمطر فاستولى على أمد الخصل
ثوى صافنا فى مربط الهون يشتكى * بتصهاله ما نالمه من أذى الشكل
وانى لتنهانى نهاى عن التى * أشاربها الواشى ويعقلنى عقلى
أأنقض فيك المدح من بعد قوة * فلا أقتدى الا بناقضة الغزل
هى النعل زلت بى فهل أنت مكذب * لقيل الاعادى انها زلة الحسل
الا انّ ظنى بين فعليك واقف * وقوف الهوى بين القطيعة والوصل
والاجنيت الانس من وحشة النوى * وهول السرى بين المطية والرحل
وأين جواب منك ترضى به العلا * اذا سألتنى عنك ألسنة الحفل

(وله عند ثقافه) وفقد الوفاء من ألافه يخاطب أبا حفص بن برد وقد حار ولم يجد هاديا وصار رهينا الا يرجو فاديا وعلم أنّ الناس متقلبون وعلى من انقلب الدهر منقلبون لايديهم فى الشدة انحاء ولا يثنيهم عن ذى الحظوة زهو ولا انتخاء (رمل مجزو)

ما على ظنى باس * يجرح الدهر ويا سو
ربما أشرف بالمرء على الآمال ياس
ولقد ينجيك اغفا * له ويؤذيك احتراس
ولكم أجدى قعود * ولكم أكدى التماس

وكذا الحكم اذا ما * عز ناس ذل ناس
وبنو الايام أخيا * ف سراة وخساس
نلبس الدنيا ولكن * متعة ذاك اللباس
ياأبا حفص وماسا * واك فى فهم اياس
من سنا رأيك لى فى * غسق الخطب اقتباس
ووداى لك نص * لم يخالفه اقتياس
أنا حيران وللامـ * ـر وضوح والتباس
لا يكن عهدك وردا * ان عهدى لك آس
وأدر ذكرى كاسا * ماامتطت كفك كاس
فعسى أن يسمح الدهـ * ـر فقد طال الشماس
واغتنم صفو الليالى * انما العيش اختلاس
ماترى فى معشر حا * لوا عن العهد وحاسوا
ورأوا نى سامريا * يتقى منه المساس
أذؤب هامت بلحمى * فانتهاب وانتهاس
كلهم يسأل عن حا * لى وللذئب اعتساس
ان قسا الدهر فللما * ء من الصخر انبجاس
ولئن أمسيت محبو * سا فللغيث احتباس
ويفت المسك فى التر * ب فيوطا ويداس

(ولما تعذر فكاكه) وعفر فرقده وسماكه وعاودته الاوهام والفكر وخانه من أبى الحزم الصارم الذكر قال يصف مابين مسراته وكروبه ويذكر بعد طلوع أمله من غروبه ويبكى لما هو فيه من التعذير ويعذر أبا الحزم وليس لغيره من عذير ويتعزى بانحاء الدهر على الاحرار والحاحه على التمام بالسرار ويخاطب ولادة بوفاء عهده ويقيم لها البراهين على أرقه وسهده (بسيط)

ماجال بعدك لحظى فى سنا القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت ذماء النفس من أسف * الا على ليلة سرت مع القصر
فى نشوة من شباب الوصل موهمة * أن لا مسافة بين الوهن والسحر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر

يا للرزايا القد شافهت منهلها * غمراً فما أشرب المكروه بالغمر
لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * انى معنى الا مانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضى قدر * عن كشف ضرى فلا عتب على القدر
من لم أزل من تأنيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

(وله يتغزل) ويعاتب من يستعطفه ويتنزل (بسيط مخلع)

يا مستخفا بعاشقيه * ومستغشا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا * حتى أطعنا السلو فيه
الحمد لله اذ أرانى * تكذيب ما كنت تدعيه
من قبل أن يهزم التسلى * ويغلب الشوق ما يليه

(ولما عضته) أنياب الاعتقال ورضته تلك النوب الثقال وعوض بخشانة العيش من اللين وكابد قسوة خطب لا تلين تذكر عهد عيشه الرقيق ومراحه بين الرصافة والعقيق وحن الى سعد زرت عليه جيوبه واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه وتأسى بمن باتت له النوائب بمرصاد ورمته بسهام ذات اقصاد وضيم من عهد الاحص الى ذات الاصاد فقال (خفيف)

الهوى فى طلوع تلك النجوم * والمنى فى هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشى * لو يدوم السرور للمستديم
وطرما انقضى الى أن تقضى * زمن ماذمامه بالذميم
أيها المؤذنى بظلم الليالى * ليس يومى بواحد من ظلوم
ما ترى البدر ان تأملت والشمس * كما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

وله يتغزل (وافر)

أيوحشنى الزمان وأنت أنسى * ويظلم لى النهار وأنت شمسى
وأغرس فى محبتك الامانى * فأجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدراً عن وفائى * وبعت مودتى ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمى * فديتك من مكارهه بنفسى

وله أيضاً في مثل ذلك (كامل)

ولقد شكوتك بالضمير الى الهوى * ودعوت من حنق عليك فأمّنا
منيت نفسي من صفائك ضلة * ولقد تغرّ المرء بارقة المنى

(وله عن المعتضد بالله) الى صهره الموفق أبي الجيش صاحب دانية (بسيط)

عرفت عرف الصبا اذ هبّ عاطره * من أفق من أنا في قلبي أشاطره
أرى تجدّد ذكراه على شحط * وما تيقن أني الدهر ذاكره
بنأى المزار به والدار دانية * يا حبذا الفأل لو صحت زواجره
خلي أبا الجيش هل يدنو اللقاء بنا * فيشتفي منك طرف أنت ناظره
قصاره قيصر ان قام مفتخرا * لله أوله مجدا وآخره

(ولما حل) من المعتضد بالمكان الذي حل واشتكت عقد شدائده وانحل نسلت نفسه من شجونها وحنت الى صفاء ولادة وجونها وتذكرها وما تناساها وعاودته لوعتها وأساها وحن اليها حنين من حيل بينه وبين ما يشتهي وقنع باهداء تحية تبلغ اليها وتنتهي فقال يتغزل فيها ويمدح المعتضد (طويل)

أما في نسيم الريح عرف يعرّف * لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف
فنقضي أوطار المنى من زيارة * لنا كلف منها بما نتكلف
عزيز علينا أن تزار ودونها * رقاق الظبا والسمهري المثقف
وقوم عدا يبدون عن صفحاتهم * وأظهرها من ظلمة الحقد أكلف
يودون لو يثني البعاد زماعنا * وهيهات ريح الشوق من ذاك أعصف
كفانا من الوصل التحية خلسة * فيومئ طرف أو بنان مطرف
واني ليستهويني البرق صبوة * الى برق ثغران بدا كاد يخطف
وما ولعي بالراح الا توهما * لظلم لها كالراح اذ يترشف
ويذكرني العقد المرنّ جمانه * مرنات ورق في ذرا الايك تهتف
فاقبل من أهوى طوى البدر هودج * ولا ضم ريم القفر خدر مسجف
ولا قبل عباد حوى البحر مجلس * ولا حمل الطود المعظم رفرف
هو الملك الجعد الذي في ظلاله * تكف صروف الحادثات وتصرف
رويته في الحادث الادّ لحظة * وتوقيعه الجالي دجا الخطب أحرف
طلاقة وجه في مضاء كمثل ما * يروق فرند السيف والحدّ مرهف

على السيف من تلك الشهامة ميسم * وفى الروض من تلك الطلاقة زخرف
ولما قضينا ما عنانا أداؤه * وكل بما يرضيك داع فملحف
تظن الاعادى أن حزمك نائم * لقد تعد الغسل الظنون فتخلف
رأيناك فى أعلى المصلى كأنما * تطلع من محراب داود يوسف
ولما حضرنا الاذن والدهر خادم * تشير فيمضى والقضاء مصرف
وصلنا فقبلنا الندى منك فى يد * بها يتلف المال الجسيم ويخلف
الى الخير أنهلنى بشكرك نهضة * وكيف أؤدى شكر ما أنت مسلف
أعدت بهيم الحال منى غرة * يقابلها طرف الحسود فيطرف
ولولاك لم يسهل من الدهر جانب * ولا ذل منقاد ولا لان معطف

(ولما مات المعتضد) رحمه الله وارتفع فى أمره ما ارتفع وراعى المعتمد مواته التى توسل بها واستشفع وأبقاه جليسا وسميرا وسقاه الصفح سلسالا نميرا قال يرثيه ويشكر المعتمد ويذكر أنه لم يرفض سيئاته ولم يغمض عن رعى حرماته (طويل)

أعباد يا أوفى الملوك لقد سطا * عليك زمان من سجيته الغدر
فهلا عداه أن علياك حليه * وذكرك فى أردان أيامه عطر
أأنفس نفس فى الورى أقصد الردى * وأخطر علق للندى أفقد الدهر
اذا الموت أضحى قصر كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر

(ومنها)

فهل علم الشلو المقدس اننى * مسوغ حال ضل فى كنهها الفكر
وان متابى لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضا وابنك البر
وأرغم فى برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ومنظرهم شزر
ولما استوى فى الدست عاقد حبوة * وقام سماط حافل فلى الصدر

(وله عند فراره) وخروجه من سزاده وقد أقام بقرطبة متواريا يخاطب ولادة ويستنهض الاديب أبا بكر للشفاعة ويستنزل أبا الحزم بن جهور (طويل)

شحطنا وما بالدار نأى ولا شحط * وشط بمن نهوى المزار وما شطوا
أأحبابنا ألوت بحادث عهدنا * حوادث لا عهد عليها ولا شرط
لعمر كم ان الزمان الذى قضى * بشت جميع الشمل منا لمشتط
وأما الكرى مذ لم أزركم فهاجر * زيارته غب والمامه فرط

وماشوق مقتول الجوانح بالصدى * الى نطفة زرقاء أضمرها وقط
بأبرح من شوقى اليكم ودونما * أدير المنى عنه القتادة والخرط
وفى الربرب الانسى أهوى كناسه * نواجى ضميرى لا الكثيب ولا السقط
غريب فنون الحسن يرتاح درعه * متى ضاق ذرعا بالذى حازه المرط
كأن فؤادى يوم أهوى مودعا * هوى خافقا منه بحيث هوى القرط
اذا ما كتاب الوجد أشكل سطره * فمن زفرتى شكل ومن عبرتى نقط
الا هل أتى الفتيان أن فتاهم * فريسة من يعدو ونهزة من يسطو
وأن الجواد الفائت الشأو صافن * تخونه شكل وأورى به ربط
وان الحسام العضب ثاو بجفنه * وما ذم من غربيه قد ولا قط
عليك أبا بكر بكرت بهمة * لها الخطر العالى وان نالها حط
أبى بعد ما هيل التراب على أبى * ورهطى فداء حين لم يبق لى رهط
لك النعمة الخضراء تندى ظلالها * على ولا جحد لدى ولا غمط
ولولاك لم يثقب زناد قريحتى * فينتهب الظلماء من نارها سقط
ولا ألفت أيدى الربيع بدائعى * فمن خاطرى نظم ومن زهره لقط
هرمت وما للشيب وخط بمفرقى * ولكن لشيب الهم فى كبدى وخط
وطاول سوء الحال نفسى فأذكرت * من الروضة الغناء طاولها القحط
سنون من الايام خمس قطعتها * أسيرا وان لم يبد شد ولا ربط
أتت بى كما ميط الاناء عن الاذى * وأذهب ما بالثوب من درن مسط
أتدنو قطوف الجنتين لمعشر * وغايتى السدر القليل أو الخمط
وما كان ظنى ان تغرنى المنى * وللغر فى العشواء من ظنه خبط
أما وأرتنى النجم موطئ أخمصى * لقد أوطأت خدى لأخمص من يخطو
ومستبطئ العتبى اذا قلت قد أتى * رضاه تمادى العتب واتصل السخط
وما زال يدنينى فينأى قبوله * هوى سرف منه وصاغية فرط
ونظم ثنائى فى نظام ولائه * تحلت به الدنيا لآلئه وسط
على خصرها منه وشاح مفصل * وفى رأسها تاج وفى جيدها سمط
عدا سمعه عنى وأصغى الى عدا * لهم فى أديمى كلما استمكنوا عط
بلغت المدى اذ قصروا فقلوبهم * مكامن أضغان أساودها رقط

يولونى عرض الكراهة والقلى * وما دهرهم الا النفاسة والغبط
ولما انتحونى بالتى لست أهلها * ولم يمن أمثالى بأمثالها قط
فررت فان قالوا الفرار أرابه * فقد فرّ موسى حين همّ به القبط
وانى لراج ان تعود كبدئها * لى الشيمة الزهراء والخلق السبط
وحلم امرئ تعفى الذنوب لعفوه * وتمحى الخطايا مثل ما محى الخط
فما لك لا تختصنى بشفاعة * يلوح على دهرى لميسمها عَلط
يفى بنسيم العنبر الورد ريحها * اذا شعشع المسك الاحم به خلط
فان يعف المولى فنعم كريمة * تنفس عن نفس ألظ بها ضغط
وان يأب الا القبض مبسوط فضله * ففى يد مولى فوقه القبض والبسط

وله أيضا (طويل)

كأن عشىّ القطر فى شاطئ النهر * وقد زهرت فيه الازاهر كالزهر
ترش بماء الورد رشا وتنثنى * لتغلف أفواه بطيبة الخمر

(وبات ليلة) باحدى جنات اشبيلية فقال (طويل)

وليل أدمنا فيه شرب مدامة * الى أن بدا للصبح فى الليل تأثير
وجاءت نجوم الصبح تضرب فى الدجا * فولت نجوم الليل والليل مقهور
فحزنا من اللذات أطيب طيبها * ولم يعرنا هم ولا عاق تكدير
خلا أنه لو طال دامت مسرتى * ولكن ليالى الوصل فيهن تقصير

ولم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ويباح دمه دونها ويهدر لسوء أثره فى ملك قرطبة ووالبها وقبائح كان ينسبها اليه ويواليها أحقدت بنى جهور عليه وسددت أسنتهم اليه فلما يئس من لقياها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذى غشيه والامتحان الذى خشيه ويعلمها أنه ما سلا عنها بخمر ولا خبا ما بين ضلوعه لها من ملتهب جمر وهى قصيدة ضربت فى الابداع بسهم وطلعت فى كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم واولها (بسيط)

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم ايامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذجانب العيش طلق من تألفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذهصرنا غصون الانس دانية * قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لارواحنا الا رياحينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم * حزنا مع الدهر لايبلى ويبلينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربكم قد عاد يبكينا
ماحقنا أن تقروا عين ذى حسد * بنا ولاأن تسروا كاشحا فينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا * وانبت ما كان موصولا بأيدينا
وقد نكون ومايخشى تفرقنا * فاليوم نحن ومايرجى تلاقينا
لم نعتقد بعدكم الاالوفاء لكم * رأيا ولم نتقلد غيره دينا
لاتحسبوا نأيكم عنا يغيرنا * ان طال ماغير النأى المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولاانصرفت عنكم أمانينا
ولااستفدنا خليلا عنك يشغلنا * ولااتخذنا بديلا منك يسلينا
ياسارى البرق غادى القصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لوعلى البعد حيا كان يحيينا
ياروضة طال ماأجنت لواحظنا * وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا
وياحياة تملينا بزهرتها * منى ضروبا ولذات أفانينا
ويانعيما حضرنا من غضارته * فى وشى نعمى سحبنا ذيلها حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة * وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت فى صفة * فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قدغض من أجفان واشينا
ان كان قدعز فى الدنيا اللقاء ففى * مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لاغرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
انا قرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

أما هواك فلم نعدل بمنهله * شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم يجف أفق جمال أنت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك اذا حثت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومى على العهد مادمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كما دينا
فما ابتغينا خليلا منك يحبسنا * ولا استفدنا حبيبا عنك يغنينا
ولو صبا نحونا من علو مطلعه * بدر الدجا لم يكن حاشاك يصبينا
أولى وفاء وان لم تبذلى صلة * فالذكر يقنعنا والطيف يكفينا
وفى الجواب قناع لو شفعت به * بيض الايادى التى مازلت توليننا
عليك منى سلام الله مابقيت * صبابة منك نخفيها فتخفينا

(ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار رحمه الله وعفا عنه بمنه)

مقذف حصى القريض وجماره ومطلع شموسه وأقماره الذى بعث الاحسان عرفا عطرا ونفسا وأنبته فى شفاه الايام لعسا أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ثم كسى بعد اشراقا ونورا فأصبح راقى منبر وسرير ولمح ماشاء بطرف غير ضرير هيأله السعد أن عمر ربعا محيلا وصور فى صورة الحقيقة مستحيلا واصطفاه العدو فاتفق به السكون والهدو وتهالك فيه كلفا وهياما وامطره من الحظوة غماما واهتصر منه موادعة وائتلافا استدرتهما الملوك اوانه اخلافا فارتاعت منه الاقطار وطاعت له البانات والاوطار حتى رأس بتدمير وجلس مجلس الامير ثم رأى ان يتزى على موليه ويجتزى بتوليه فأخذه الله بغدره واعان على وضعه رافع قدره فحصل فى قبضة المعتمد قنيصا وعادمعنى خلاصه مبهما عويصا الى أن طوقه الحسام فما استلانه طوقا وذوقه الحمام فما استعذبه ذوقا فى قصة اشتهرت مع اخفائها وظهرت بعد عفائها فانه قتله بيده وانزله ليلا فى ملحده ولقد رأيت عظمى ساقيه قد أخرجا بعد سنين من حفر حفر فى جانب القصر المبارك واساود هما بهما ملتفة ولبلتهما مشتفة مافغرت افواهها ولا حلت التواءها فرمق الناس العبر وصدق المكذب الخبر وكان مع نقض ابرامه ورفض امامه شاعرا مطبوعا قد عمر للاحسان

منازل وربوعا وقد أثبت له ما تستهديه النفوس وترتديه الشموس فمن ذلك قوله يتغزل في غلام رومي للمؤتمن قد لبس درعا (وافر)

وأغيد من ظباء الروم عاط * بسالفتيه من دمعي فريد
قسا قلبا وسن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا وناي رضاه * وقد يبكي من الطرب الجليد
وان فتى تملكه بنقد * وأحرز رقه لفتى سعيد

(وتنزه بالدمشق) وهو قصر بقرطبة شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجروا في اتقانه الى غير امد وابدع بناؤه ونمقت ساحته وفناؤه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار انشراحهم وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق فحله أبو بكر على أثر بوسه وابتسم له به دهره بعد عبوسه والدنيا قد أعطته عفوها وسقته صفوها وبات فيه مع لمة من أتباعه ومتقبلي رباعه كلهم يحييه بكاس ويفديه بنفسه من كل بأس فطابت له ليلة في مشيده وأطربه الانس ببسيطه ونشيده فقال (خفيف)

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عنه * عنبر أشهب ومسك أحم

وله يتغزل (وافر)

رشا بزنو بنرجسه ويعطو * بسوسان ويبسم عن اقاح
تشير الى قرطاه وتصغي * خلاخله الى نغم الوشاح

(ودخل سرقسطة) فلما رأى غباوة أهلها وتكاثف جهلها وواصل منهم من لا يعلم قطعا ولا وصلا وحاضر من لا يعرف معنى ولا فصلا عكف على راحه معاقرا وعطف بها على جيش الوحشة عاقرا فبلغه أنهم نقدوا شربه وفلوا بالملام غربه قال (طويل)

نقمتم على الراح أدمن شربها * وقلتم فتى لهو وليس فتى جد
ومن ذا الذي قاد الجياد الى الوغى * سواي ومن أعطى الكثير ولم يكد
فديتكمو لو تعلموا السر انما * قليتكمو جهدي فأبعدتكم جهدي

(وأهدى الناس) في يوم عيد الى المعتمد واحتفلوا وقضوا الفرض وتنفلوا

فاقتصر هو على ثوب صوف بحر أصفر وكتب معه (كامل)

لما رأيت الناس يحتفلون في * اهداء يوم ملك جئته من بابه

فبعثت نحو الشمس شبه اهابها * وكسوت متن البحر بعض ثيابه

وكتب الى عضد الدولة يستدعى منه الكون عنده (بسيط مخلع)

يا عضد الدولة المصفى * من جوهر النبل والذكاء

ماذا ترى فى اصطباح يوم * يذهب الصحو والمساء

نسرقه من يدى زمان * لم يقسم الرزق بالسواء

وقد ظمئنا ونحن أرض * اليك يا رحمة السماء

(وأخبرنى) ذو الوزارتين الاجل أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر معه عند المؤتمن في يوم قد جادت فيه السماء بهطلها وأتبعت وبلها بطلها وأعقب رعدها برقها وانسكب دراكا ودقها والازهار قد تجلت من كمامها وتحلت بدر غمامها والاشجار تدجلى صداها وتوشحت بنداها وأكوس الراح كأنها كواكب تتوقد تديرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد اذا بفتى من فتيان المؤتمن أخرس لا يفصح مستعجم لا يكاد يبين ولا يوضح متنمر تنمر الليث متشمر تشمر البطل الباسل عند الغيث وقد أفاض على نفسه درعا تضيق بها الاسنة ذرعا وهو يريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع بعثه اليه ووجهه فكل من صده عنه نهره ونجهه حتى وصل الى مكان انفراده ووقف بازاء وساده فلما وقعت عين ابن عمار عليه أشار بيده اليه وقربه واستدناه وضمه اليه كأنه قد تبناه وحذ أن يخلع عنه ذلك الغدير وأن يكون هو الساقى المدير فأمره المؤتمن بخلعه وطاعة أمره وسمعه فنضاه عن جسمه وقام يسقى على حكمه ورسمه فلما دبت فيه الحميا وثبت غرامه ببهجة ذلك المحيا واستنزلته سورة العقار واستنزلته عن مرقب الوقار قال ارتجالا (كامل)

وهويته يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس

متأرج الحركات تندى ريحه * كالغصن هزته الصبا بتنفس

يسعى بكأس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس

يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس

اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس

جهم وان حسر اللثام فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يمرح فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وكتب الى الراضى رحمه الله (كامل)

قالوا أتى الراضى فقلت لعلها * خلعت عليه من صفات أبيه
قال جرى فعسى المؤيد واهبا * لى من رضاه ومن أمان أخيه
قالوا انعم فوضعت خدى فى الثرى * شكرا له وتيمنا ببنيه
يا أيها الراضى وان لم يلقنى * من صفحه الراضى بما أدريه
هبك احتجبت لوجه عذر بين * بذل الشفاعة أى عذر فيه
سهل على يدك الكريمة أحرفا * فيمن أسرت فتنثنى تفديه

(ولما) أزمع على الرحيل من حضرة المعتصم خرج المعتصم مودعا له فأنشده ابن عمار ارتجالا وقد كان تقدم للمعتصم اليه قطعة شعر من ثلاثة أبيات (طويل)

ألفظك أم كأس الرحيق المعتق * وخطك أم روض الربيع المنمق
ونظمك أم سلك من الدر ناصع * يروق على جيد العروس المطوق
بعثت بها يا قطعة الروض قطعة * شممت بها عرف النسيم المخلق
ثلاثة أبيات وهيهات انما * بعثت بها الجوزاء فى صفح مهرق
هى السحر أسرى فى النفوس من الهوى * وكيف يكون السحر فى لفظ منطق
أمعتصما بالله والحرب ترتمى * بأبطالها والخيل بالخيل تلتقى
دعتنى المطايا للرحيل وانى * لأفرق من ذكر النوى والتفرق
وانى وان غربت عنك فانما * جبينك شمسى والمرية مشرقى

وله يتغزل (كامل)

قالوا أضر بك الهوى فاجبتهم * يا حبذاه وحبذا اضراره
قلبى هوا اختار السقام لجسمه * زيا فخلوه ومايختاره
عيرتمونى بالنحول وانما * شرف المهند أن ترق شفاره
من قد قلبى اذ تثنى قده * وأقام عذرى اذ أطل عذاره
أم من طوى الصبح المنير نقابه * وأحاط بالليل البهيم خماره

فوحسنه لقدا تدبت لوصفه * بالجهل لولا ان حصاداره

بلدمتي أذكره هيج لوعتي * واذا قدحت الزند طار شراره

(واستدعى منه) في احدى سفراته مشروباً بموضع ليس فيه غير القتاد ومحل المرتاد فبعثه وقرن به رمانتين وتفاحتين وكتب اليهم (وافر)

خذوها مثل ما استهديتموها * عروساً لا تزف الى اللئام

ودونكمو بها ثديي فتاة * أضفت اليهما خدي غلام

(وذكرت) بهذه الحكاية ما ذكره الاصبهاني أن الحسن بن سهل استدعى من محمد بن عبد الملك مشروباً في بلاد الروم فبعث به وكتب معه (كامل مجزوء)

أرأيت مثلي صاحبا * أندى يدا وأعم جودا

يسقي النديم بقفرة * لم يسق فيها الماء عودا

وأجود حين أجود لا * حصرا بذاك ولا بليدا

خذها اليك كأنما * كسيت زجاجتها عقودا

واجعل عليك بأن تقو * م بشكرها أبدا عهودا

(ولما) ضيق المعتضد بالله على ابن عبد الله بقرمونة وسد مسالكه وسد اليه مهالكه استدعى باديس بن حبوس واستصرخه استصراخ الموثق المحبوس رجاء أن ينفس عنه غصة وينتهز في ابن عباد فرصة فلما وصل باديس ابن حبوس الى قرمونة أخرج اليه المعتضد جيشه يقدمه ابنه الظافر ويقود منه أسوداً في المغافر فلما التقى الجمعان وارتقت ثنية بغيه المعين والمعان حمل فيهم عسكر اشبيلية حملة خلعتهم عن مركزهم وأدالتهم بالذل من تعززهم فتفرقوا في تلك البسائط والربى وشربوا بسقيا الاسنة والظبى وأوقع بهم الظافر أحسن ايقاع وتركهم مضرجين في تلك البقاع وانصرف الى اشبيلية وألويته تختال في أكف الرياح وذوابله تكاد تنقصف من الارتياح فهنئ المعتضد بالله بذلك وقام ابن عمار ينشد هنالك (طويل)

ألا للمعالي ما تعيد وما تبدي * وفي الله ما تخفيه عنا وما تبدي

نوال كما اخضر العذار وفتكة * كما خجلت من دونه صفحة الخد

جنيت ثمار النصر طيبة الجنى * ولا شجر غير المثقفة الملد

وقلدت أجياد الربا رائق الحلى * ولا درر غير المطهمة الجرد

بكل فتى عارى الاشاجع لابس * الى غمرات الموت محكمة السرد
يكر فكم طعن كسامعة الفرا * يضاف الى ضرب كحاشية البرد
نجوم سماء الحرب ان يدج ليلها * يدرّبهم أفواجها فلك السعد
خميس تردّى من بنيك بمرهف * حكاك كما قدّ الشراك من الجلد
ببدر ولكن من مطالعه الوغى * وليث ولكن من براثنه الهندى
فتى ثقف بين الحمائل مقدم * جنى الموت فى كفيه أحلى من الشهد
سقيت به دينا عفاتك مخصبا * فأجنالك من روض الندى زهر الحمد
وجندته نحو الملوك محاربا * فوافاك يقتاد الملوك من الجند
ورب ظلام سار فيه الى العدا * ولا نجم الا ما تطلع من غمد
أطل على قرمونة متبلجا * مع الصبح حتى قيل كانا على وعد
فأرملها بالسيف ثم أعارها * من النار أثواب الحداد على الفقد
فيا حسن ذاك السيف فى راحة الندى * ويابرد تلك النار فى كبد المجد
لك الله ان كانت عداتك بعضها * لبعض فكل منهم جميعا الى فرد
يهودا وكانت بربرا فانتضى الظبى * وأنبتهم منها بألسنة لد
أقول وقد نادى ابن اسحق قومه * لارضك يرتاد المنية من بعد
لقد سلكت نهج السبيل الى الردى * ظباء دنت من غابة الاسد الورد
كأنى بباديس وقد حط رحله * الى الفرس الطاوى عن الفرس النهد
الى الفرس الجارى به طلق الردى * سريعا غنيا عن لجام وعن لبد
يحن الى غرناطة فوق متنه * كما حن مقصوص الجناح الى الورد
ظفرت بهم فارتح وأومض كؤسها * بروقا لها من عودها ضجة الرعد
معتقة أهدت الى الورد لونها * وجادت برياها على العنبر الوردى
فأكثر ما يلهيك عن كأسها الوغى * وعن نغمات العود نغمة مستجدى
وما الملك الا حلية بك حسنها * والا فما فضل السوار بلا زند
ولا عجب ان لم يدن بك مارق * فليس جمال الشمس فى الاعين الرمد
هنيئا ببكر فى الفتوح نكحتها * وما قبضت غير المنية من نقد
تحلت من السيف الخضيب بصفحة * وقامت من الرمح الطويل على قد
ودونكها من نسج فكرى حلة * مطرزة العطفين بالشكر والحمد

ألذ من العذب القراح على الصدى * وأطيب من وصل الهوى عقب الصدّ
وما هذه الاشعار الا مجامر * تضوّع فيها الندى قطع الند
وكنت نثرت الفضل فيّ وانما * نثرت سقيط الطل في ورق الورد
وما أنا باغ من نداك بقدر ما * يضاف لتأميلي ويعزى الى ودّى
فاقسم لو قسمت جود ذلك بيننا * على قدر التأميل فزت به وحدى
قنعت بما عندى من النعم التى * يفسرها قولى قنعت بما عندى

وقال يمدح المعتمد (طويل)

أفى كل يوم تحفة وتفقد * بفضل نوال واهتبال يؤكد
لقد فاز قدحى فى هواك وقابلت * مطالع حالى فى سمائك أسعد
تبرّعت بالمعروف قبل سؤاله * وعدت بما أوليت والعود أحمد
فأتأق حوضى من نداك تبجس * وغنّ روضى من رضاك تعهد
أماوصنيع زانى بجماله * حديث كما هب النسيم المغرّد
لقد هزّ أعطاف القوافى وهزنى * الى شكر احسان أغيب فيشهد
فان أنا لم أشكرك صادق نية * تقوم عليها آية النصح تعضد
فلا صح لى دين ولا برّ مذهب * ولا كرمت نفسى ولا طاب مولد

وقال يمدح المعتضد (متقارب)

وفيت لربك فيمن غدر * وأنصفت دينك ممن كفر
وقمت تطالب فى الناكثيـ * ـن من الحفاظ بحلو الظفر
بعاطلة من ليالى الحرو * ب أطلعت رأيك فيها قمر
ولم تتقدم بجيش الرجا * ل حتى تقدم جيش الفكر
فان يجنك الفتح ذاك الاصيل * فمن غرس تدبير ذاك الشجر
تعاطى الخوارج حتى برزت * تقوم من خدها ما صعر
وأقبلتها الخيل حمر البنو * د دهم الفوارس بيض الغرر
فكرّوا فلم يغنهم من سكر * وفرّوا فلم ينجهم من مفر
ودارت دماؤهم كالكؤس * وفاحت نفوسهم كالزهر
فعاقر سيفك حتى انحنى * وعربد رمحك حتى انكسر
وكم نبت فى حربهم عن على * وناب عن النهروان النهر

تمتع فقد ساعفتك الحياة * بريح الحديقة غب المطر
وعش في نعيم ودم في سرور * ولا سر ربك من لا يسر

(وله يخاطب بني عبد العزيز) وقد اجتاز بهم فأخرجوا اليه تضييفا وبرا مع قوم أغفال ولم يلقوه فكتب اليهم (طويل)

تناهيتمو في برنا لو سمحتمو * بوجه صديق في اللقاء وسيم
وسلسلتمو راح البشاشة بيننا * فما ضر لو ساعدتمو بنديم
سألتمس العذر الجميل عن العلا * وأحتال للفضل احتيال كريم
وأثني على روض الطلاقة بالجنى * وان لم أفز من نشره بنسيم
ضننتم بأعلاق الرجال على النوى * فلم تصلونا منهمو بزعيم
ولكن سأستعدي الوفاء وأقتضي * سماحك بالانس اقتضاء غريم

(ولما فغر) المعتمد على مرسية فمه وأراد أن يرفع بها علمه ويثبت بها قدمه ويتخذ ملاكها خوله وخدمه وجعل ابن طاهر غرضه ونبذ ذمام الوفاء له ورفضه لضيق مجاله وقلة رجاله عجم أعواده وسبر أنجاده فلم يرسهما يفوقه لعرشه ولا شهما يطوقه أمر جيشه الا ابن عمار رأيا لم ينتقده واعتقادا لم يفتقده وظنا أخلفه وقضاء ما أسلفه مجازاة لبغيه وموازاة لقبح سعيه وانتصارا من الله لمن لم يجن ذنبا ولم يثن عن مضجع الموالاة جنبا فلما وصل اليها وحصل عليها وفض ختمها وصحح لنفسه اسمها نبذ عهد المعتمد وخلعه وأنزل ذكره من منابرها بعدما أطلعه فقيض له من ابن رشيق رجل حكاه فعلا وصار لتلك العقيلة بعلا فاقتص منه اقتصاص ابن ذي يزن من الحبشان وتركه أخسر من أبي غبشان ما كان الا ريثما أوقد جمره وقلده نهيه وأمره وخرج هو الى افتقاد أقطاره وقضاء بعض أوطاره حتى ثار له ثورة الاسد الورد وامتنع له بمرسية امتناع صاحب الابلق الفرد فبقي ابن عمار ضاحيا من ظل غبطته لاحيا نفسه على غلطته ولما استبهم أمره ولم يعلم له تفسيرا وعاد جناحه الوافر مهيضا كسيرا أراد الرجوع الى المعتمد فخاف أن يوبقه غدره وعزم على القعود عنه فضاق بفقد ما عهده عنده صدره فكتب اليه (طويل)

أأسلك قصدا أم أعوج عن الركب * فقد صرت من أمري على مركب صعب
وأصبحت لا أدري أفي البعد راحتي * فأجعله حظي أم الحظ في القرب

اذا انقدت فی أمری مشیت مع الهوی * وان أتعقبه نكصت على عقبی
على أننی أدری بأنك مؤثر * على كل حال ما يزحزح من كربی
أهابك للحق الذی لك فی دمی * وأرجوك للحب الذی لك فی قلبی
أيظلم فی وجهی لذا قمر الدجی * وتنبو بكفی صفحة الصارم العضب
جنابك فمن أنت شاهد نعمه * وليس له غيرا نتصاحك من حسب
وما جئت شيأ فيه بغی لطالب * يضاف به رأی الی العجز والعجب
سوی اننی أسلمتنی لملمة * فلات بها حدّی وكسرت من غربی
وما أغرب الايام فيما قضت به * تريني بعدی عنك آنس من قربی
أما انه لولا عوا رفك التی * جرت جريان الماء فی الغصن الرطب
لما سمت نفسی ما أسوم من الاذی * ولا قلت انّ الذنب فيما جری ذنبی
سأستمنح الرحمی لديك ضراعة * وأسأل سقيا من تجاوزك العذب
فان نفحتنی من سمائك حرجف * سأهتف يا برد النسيم على قلبی

فرق له المعتمد وأشفق وأقشع نوء حقده عليه وأخفق وعزم على الصفح عنه والتجاوز وان يرفع بالاغضاء له تلك المعاوز فكتب اليه مراجعا (طويل)

لدی لك العتبی تزاح من العتب * وسعيك عندی لا يضاف الی ذنب
وأعزز علينا أن تصيبك وحشة * وأنسك ما تدريه فيك من الحب
فدع عنك سوء الظن بی وتعدّه * الی غيره فهو الممكن فی القلب
قريضك قد أبدی توحش جانب * فراجعت تأنيسا وعلمك بی حسبی
تكلفته أبغی به لك سلوة * وكيف يعانی الشعر مشترك اللب

فما أورثته هذه المراجعة الا نفارا ولا زادت قلبه من الثقة به الا خلوا واقفارا فانه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدّق توهمه الذی يعتاده فلذلك لم يقبل ما راجعه به من رفع ايحاش ولا أمن عاقبة ما عامله به من قبح وافحاش فكرّ الی سرقسطة لاحقا بالمؤتمن وساتقاله الدنيا بأيسر ثمن وانما كان يطلب ملكا يخلع ملكه على عطفيه ويجعله كنين وخفيه أو يخدعه فی اعانته على بلد يفتحه باسمه ويجريه على سنن المعتمد ورسمه فتيم المؤتمن بشقورة واغراه وأراه من تيسير مرامها ما أراه فأوطأه عقبه وأعطاه ما لا احتقبه ونهض وهو لا يشك فی النزول بها والاحتلال ولا يتوهم أن يلم بالامر طائف اعتلال

فأيقظ لها عزمه وأقام حزمه فلما وصل اليها ونزل عليها عرس بسفحها وأيقن بفتحها وخلع على من معه ووصل من عاينه أو تسمعه فلما برى فى ذلك وراش ورأيه قد فال وطاش اذا برسول صاحبها قد وافاه يعلمه ان البلد بلده وان ماله فيها الا أهله وولده وأنهى اليه رغبته فى الكون عنده وان يطلع معه عبيده المختصين به وجنده فطار اليه فى الحين وسار بزعمه الى راح ورياحين فكانت راحه قيدا لايدعه يبرح وريحانه أوهاما تجرح النفس وتقرح ما كان الآن تجاوز ذلك المعقل الذى لم يعقل ان له معتقل حتى حيز منه أصحابه وتقسموا فى كل باب ووسموا بسمت أوذباب فلما وصل اليه أوثقه بمثقل الحديد وعوضه بصلصلته من البسيط والمديد فلما أصبح كتب الى رؤساء الاندلس يسوقه وقد علم أنه ما منهم الا يتشوقه وفى ذلك يقول (سريع)

أصبحت فى السوق ينادى على * رأسى بأنواع من المال
والله لاجار على نقده * من ضمنى بالثمن الغالى

وفى مدة اعتقاله اياه لم يثن عنه حماه ولا منعه ممن يريد مطالعته ولقياه وأباح له الاستراحة الى أخدانه وأراح خاطره فى مضمار القول وميدانه فجاء بما أعجز وأطال عنان الاحسان وهو قد أوجز فمن بديع ذلك ما طالع به أبا الفضل بن حسداى يصف موضعه المعتقل فيه (كامل)

أدرك أخاك ولو بقافية * كالطل يوقظ نائم الزهر
فلقد تقاذفت الركاب به * فى غير مرماة ولا بحر
طفحت صحابته بلا سنة * وتساقطوا سكرا بلا خمر
بمعارج أدت الى جرد * حتى من الانواء والقطر
عال كأن الجن اذ مردت * جعلته مرقاة الى النسر
وحش تناكرت الوجوه به * حتى استربت بصفحة البدر
قصر تمهد بين خافقتى * نسرين من فلك ومن وكر
متحير سال الوقار على * عطفيه من كبر ومن كبر
ملكت عنان الريح راحته * فجيادها من تحته تجرى
مأوى العزيز وقد نعت فان * يهمل فقد أبليت فى العذر
ووصلت خدمة قاطع سببى * وأطعت أمر مضيع أمرى

دع ذا وصلنا غير مؤتمر * مستأثرا بالحمد والشكر
واكتب الينا انها بيد * تمحو الذى كتبت يد الدهر

(ومرّ على أبي عيسى) بن لبون فى أحد متوجهاته مستوفزا والى لباناته متحفزا فلم يثنه من المودّة ثان ولا جذبته نغم مثالث عهدها ومثان وأسرع كالماء الى الانحدار والمرء الى أيدى الاقدار فلما علم أبو عيسى أن قد تخلفته ركائبه كتب اليه يعاتبه (كامل)

ختمت بعصرك أعصر الاجواد * وعنت لذكرك ألسن الورّاد
وسبقت أملاك الزمان الى مدى * ضلوه حتى كنت أنت الهادى
وغدوت اكثرهم حسودا فى العلا * انّ الكريم طليبة الحساد
وبدا بفضلك نقص كل معاند * تتبين الاشياء بالاضداد
وقفت بفنائك العيون فلاحظت * أسد العرين به وبدر النادى
واتتك وافدة الرجال فقابلت * أمل الحريص ونجعة المرتاد
وصدرن قد حملن عنك عوارفا * أضحين كالاطواق فى الاجياد
فضل أرانا جود حاتم طيئ * ونخار كعب فى قبيل اياد
ايه أبا بكر أتظلم ساحتى * ظلما وصبح العدل عندك باد
عجبا لوعدك كيف تمسكه يد * موصولة الافعال بالاوعاد
ولسيب جودك كيف لم تسمح به * لصحيح ظنى أو صريح ودادى
انى لمعتقد اخاءك موئلى * وأرى ولاءك معقلى وسنادى
وأصول منك على الزمان بمنصل * جعل الطلى بدلا من الاغماد
فسقى محلك دانيا أو نائيا * صوب الغمام المستهلّ الغادى
ولئن رحلت لقد حللت بمنزل * من نور عينى أو سواد فؤادى

فراجعه ابن عمار بقوله (كامل)

عطلت من حلى السروج جيادى * وسلبت أعناق الرجال صعادى
وثنيت عزمى عن مسير هزنى * سعدى اليه وحثنى اسعادى
وسلبت من ثوب المروأة والنهى * نفسى تخلت عن بنى عباد
ان لم أحلك من فؤادى منزلا * ينبيك أنك مالك لقيادى
وأخص جانبك الرفيع بخدمة * تسقيك صفو أحبة وأعاد

وأرد بذكرك من ثنائى روضة * غناء حاليــــة بنور ودادى
حتى تبين أن غرسك قد دنا * لجنى وزرعك قد أتى لحصاد
ياسيدى وأنا الذى ناديته * لرضا فلى منه خير مناد
اعطاك فضل الابتداء ولو جرى * حكم لانكر أن تكون البادى
لله در عقيلة أبرزتها * من خدر فكرك فى حلى الانشاد
فرعاء عاطرة الذوائب واللمى * غيداء حالية الطلى والهادى
خلعت الى مع المساء فعارضت * صلة الحبيب أتى بلا ميعاد
خط من النظم البديع أفادنى * حظ الكرام وخطة الامجاد
وشى سخت بذلك الصناع برقه * فكسوتنيه مذهبا بأياد
يفدى الصحيفة ناظرى فبياضها * ببياضه وسوادها بسواد
أدى تحيتك الزكية طيها * كافور قرطاس ومسك مداد
ولقد نعين لو أعانت قدرة * حسن الجزاء بها وهز النادى
لكن عجزت فما استقل بنشأتى * ماء الفرات ولا ثرى بغداد
عذرا فغيك لكل طالب حجة * خصم ألد وجه عذر باد
بك فاخر القلم القصير وطاول الرمح الطويل كتابة بطراد
ولك الفصاحة أو لسيفك كلما است * تمطيت متنى منبر وجواد
ثنيت عليك حلى الوزارة مثل ما * حمل الحسام عليك ثنى نجاد
وتوجت منك القيادة بالذى * ترك الرياسة مهنة القواد
أنت الحلال الحلو رق طبيعة * وصفا مزاجا كالسحاب الغادى
من معشر تتشرف الاذوا بهم * كتشرف الايام بالاعياد
جلوا لخلوا فى الانام مكانة * كمكانة الآلاف فى الاعداد
أفديك من حر تعبد بره * شكرى وقل له الفدا والفادى
فلقد ظفرت من اقتبالك بالمنى * وبلغت أقصى غايتى ومرادى
وأرحت من تعبى بعهدك فى ندى * ظل فبت على وثير مهاد
وشددت منك يدى بعلق مظنة * ونفضتها بزعانف أنكاد
متعللين على الوفاء بعلة * ضحك الطبيب لها مع العواد
جمعوا الى ظلى فسمت جماحهم * ولقيت شدته بلين قياد

واستبطنوا حقدا وبين جوانحى * طبع يسل سخائم الاحقاد
ولكم دعى في الاخاء أعرته * جذب ابن سفيان بضبع زياد
حتى اذا رفض الوفاء رفضته * واعتضت منه بطيب الميلاد
لاذنب لى فى طرد سائمة الهوى * منه على السرح الوبيل الصادى
أناتدرضيتك فارضنى وأعدنى * ان كنت محتاجا الى الاعداد
انى لممن ان دعوت لنصرة * يوما بساطا جسة وجلاد
أذ كنت دونك للعدى حدق القنا * وخصمت عنك بألسن الاغماد
صلنى أصلك وصل فديتك بى أصل * بك واعتمدنى اتخذك عمادى
ايه وقلت الى الوفاء محركا * ايه فما خطرت بعطف جاد
ولئن بلغت الى رضاى فربما * ألفيتنى لرضاك بالمرصاد
وعلى تظاهرنا الضمان بقلة الاعداء ثم بكثرة الحساد
وزعمت تظلم ساحة ماينتا * ظلما وصبح العدل عندى باد
كلا فما التسويف من شيمى ولا * لى الجميل بعادة من عادى
لابدمن ذاك السفار وان عدت * عنه الليالى انهن عواد
سفر ان استبعدته فسأمتطى * حرصى واجعل من ثنائك زادى
خذها نتيجة منكر لودادها * برم لها قال لها متفاد
حذر من الود المخل فانما * أهدى الزيوف الى يدى نقاد

وكتب الى ذى الوزارتين أبى الحسن بن اليسع وقدآب من احدى سفراته (كامل)

أهلا بقربك لو يطول مقام * وكفى بطيفك لو يزور منام
آذنت بالعهد الجديد وانما * قرب المدى دون اللقاء هيام
وكتبت توهن للنوى أميالها * هيهات أميال النوى أعوام
لولا الصحيفة ماشكوت فانها * قد قام منها لو علمت مقام
وصلت الى مع الاصيل وانما * وصلت الى حديقة ومدام
برد من الكافور نمنم درجه * مسكا وذر عليه منه ختام
من قطعة هى قطعة الديباج أو * هى قطعة البستان وهى كلام
وكأن أسطرها غصون اراكة * ومن القوافى فوقهن حمام
نادمتها والراح يلهب كأسها * عذب اللمى ساجى الجفون غلام

وثنا كلا حسنا فعانق قدّه * ألف وعارض عارضيه لام
أبه أبا الحسن اختبرت ففل لنا * ماذا تقول اذا استشف عصام
هل حادبي من مذهب عن واجب * أو لم يقدني للجميل ذمام
أو هل تلجلج منطقي في حجة * لو كان تحت يد القضاء خصام
والسعي مشكور وفيات الغنا * مرجوة والى الضياء ظلام
ولقد جريت الى التي قلدتها * جريا تباعد عنك فيه ملام
فوردت لم تلحق بغيبك ريبة * وصدرت لم يعلق بسعيك ذام
وعلى مسفرك السلام تحية * ولقد تقل تحية وسلام

(وفي أيام خموله وعريه من مأموله) أنشد المعتضد بالله (كامل)

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهوه * وشيا وقلده نداه جوهرا
أو كالغلام زهى بورد رياضه * خجلا وتاه بآس هن معذرا
روض كأن النهر فيه معصم * صاف أطل على رداء أخضرا
وتهزه ريح الصبا فتخاله * سيف ابن عباد يبدد عسكرا
عباد المخضر نائل كفه * والجو قد لبس الرداء الاغبرا
علق الزمان الاخطر المهدى لنا * من ماله العلق النفيس الاخطرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لا يردون حتى يصدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ في الاجفان من سنة الكرى
يختار اذ يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
قداح زند المجد لا ينفك عن * نار الوغى الا الى نار القرى
لا خلق أفرى من شفار حسامه * ان كنت شبهت المواكب أسطرا
أيقنت انى من ذراه بجنة * لما سقاني من نداه الكوثرا
وعلمت حقا ان ربعى مخصب * لما سألت به الغمام الممطرا
من لا توازنه الجبال اذا احتبى * من لا تسابقه الرياح اذا جرى
ماض وصدر الرمح يكهم والظبا * تنبو وأيدى الخيل تعثر في البرى
قاد الكتائب كالكواكب فوقهم * من لامهم مثل السحاب كنهورا

من كل أبيض قد تقلد أبيضا * عضبا وأسمر قد تأبط أسمرا
ملك يروقك خلقه أو خلقه * كالروض يحسن منظرا أو مخبرا
أقسمت باسم الفضل حتى شمته * فرأيته في بردتيه مصورا
وجهلت معنى الجود حتى زرته * فقرأته في راحتيه مفسرا
فاح الثرى متعطرا بثنائه * حتى حسبنا كل ترب عنبرا
وتتوجت بالزهر صلع هضابه * حتى ظننا كل هضب قيصرا
هصرت يدى غصن الندى من كفه * وجنت به روض السرور منورا
حسبى على الصنع الذى أولاه أن * أسعى بجد أو أموت فأعذرا
يا أيها الملك الذى حاز المنى * وحباه منه بمثل حمدى أنورا
السيف أفصح من زياد خطبة * فى الحرب ان كانت يمينك منبرا
مازلت تغنى من عنى لك راجيا * نيلا وتفنى من عتا وتجبرا
حتى حللت من الرياسة محجرا * رحبا وضمت منك طرفا أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد * الا اليهود وان تسمت بربرا
أثمرت رمحك من رؤس كماتهم * لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء ملوكهم * لما علمت الحسن يلبس أحمرا
نمقتها وشيا بذكرك مذهبا * وفتقتها مسكا بحمدك أذفرا
من ذا ينافحنى وذكرك صندل * أوردته من نار فكرى مجمرا
فلئن وجدت نسيم حمدى عاطرا * فلقد وجدت نسيم برك أعطرا
والبكها كالروض زارته الصبا * وحنا عليه الطل حتى نورا

(ولم يزل المعتمد) يخيل على صاحب شقورة فى أخذ ابن عمار منه ويعطيه ماشاء عوضا عنه ويفرط فى ترفيعه ويبسط ما أحب من شفاعته ويعد بتشفيعه حتى استنزله فيه واستنزله بفرط تحفيه فدفعه الى ثقاته ولم يتق الله فيه حق تقاته وخسر دون مال أخذه عوضا غير آمال جعل أمرها اليه مفوضا ودخل ابن عمار قرطبة على قتب والعيون ترمقه وكأنها سهام ترشقه وقد كان خرج منها والجيوش تحفه وكأنه مهدى والدنيا تزفه فعجب الناس مما كان بين ورده وصدره وتعوذوا بالله من سوء قدره ولم يزل يتوسل اليه بذممه ويناشده الله فى حقن دمه ويستعطفه بكل مقال حر ويتحفه منه بأنفس در فلم يصغ الى رقاه

وجرّعه الحمام وسقاه والموت لا يتوسل اليه ولا يستشفع لديه (كامل)

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وندم المعتمد على موته وأسف أسف الايجدى على فوته حين سبق السيف العذل وقد يكون مع المستعجل الزلل ومن بديع استعطافه ومليح استلطافه الذى يلين له الحديد والخطب الشديد قوله (طويل)

سجاياك ان عافيت أندى وأسمح * وعذرك ان عاقبت أجلى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية * فأنت الى الادنى من الله أجنح
حنانيك فى أخذى برأيك لا تطع * عداتى وان أثنوا علىّ وأفصحوا
وماذا عسى الاعداء أن يتزيدوا * سوى أنّ ذنبى واضح متصحح
نعم لى ذنب غير أنّ لحلمه * صفات يزلّ الذنب عنها فيسفح
وانّ رجائى أن عندك غير ما * يخوض عدوّى اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسلفت ودّا وخدمة * يكرّان فى ليل الخطايا فيصبح
وهبنى وقد أعقبت أعمال مفسد * أما تفسد الاعمال ثمت تصلح
أقلنى بما بينى وبينك من رضا * له نحو روح الله باب مفتح
وعف على آثار جرم جنيته * بهبة رحمى منك تمحو وتصفح
ولا تلتفت رأى الوشاة وقولهم * فكل اناء بالذى فيه يرشح
سيأتيك فى أمرى حديث وقد أتى * بزوربنى عبد العزيز موشح
وما ذاك الا ما علمت فاننى * اذا ثبت لا أنفك آسو وأجرح
تخيلتهم لا درّ لله درهم * أشاروا بجاهى بالشمات وصرّحوا
وقالوا سيجزيه فلان بفعله * فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمؤيد يتقى * ولكنّ حلما للمؤيد أرجح
وبين ضلوعى من هواه تميمة * ستنفع لو أنّ الحمام مجلح
سلام عليه كيف دار به الهوى * الىّ فيدنو أو علىّ فينزح
ويهنيه ان مت السلوّ فاننى * أموت ولى شوق اليه مبرّح

ولما فرغ من قراءة القصيدة قام الى موضع ثقافه ومربع اختطافه وبيده طبرزرين كان ادفونش قد أهداه الى ابن عمار فأهداه هو الى المعتمد فلما سمع فتح الباب عليه وعلم أنه فى جملة من جاء اليه قبل الارض بين يديه فاسمع رأسه

الاوقد درّعه اتشكاسا وسقاه الحمام كاسا بضربة نظمت رأسه في الطبرزرين نظم العقد وفصمت من فؤاده عرى ذلك الحقد ثم أمر به فكفن في تلك الدماء ودفن في بقية ذلك الذماء ويدل على تولي المعتمد على الله قتله بنفسه ونقله بضربته الى رمسه قول عبد الجليل وكان اليه منقطعا ولا خلاف نعمائه مرتضعا

من ذا الذي أبليه مل مدامعي * وأقول لاشلت يمين القاتل

(ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون رحمه الله)

هو ممن رأس وماشف ووكف جوده وما كف وأعاد كاسد البدائع نافقا ولم يصدر أملا خافقا وكان كثير الرفد كلفا بالوفد وكانت عنده مشاهد تزف فيها للمنى أبكار نواهد أيام لم تطرقه النوائب ولم تشب صفوه الشوائب ودهره مسعد لا ينغص أحد راحه ولا تطرق له بالغير ساحة حتى تنبه له نائم صرفه وأنحى بنكره على عرفه فارتدت على أعقابها مقاصده ونكب عنه وافده وقاصده وكانت مربيطر مطلع شمسه وموضع انسه فأخذها ابن رزين من قبضته وأقعده بعد نهضته وخدعه بالمحال وأقطعه أنكد حال فبقي ضاحيا وغدا جوه من تلك الحظوة صاحيا وله نظم من المحاسن جلا وأعاد سامعه ثملا وقد أثبت منه ما يدل على نفاسة سبكه وجودة حبكه فمن ذلك ما قاله متوجعا لخليط بان عنه وظعن وأوغل في شعاب البعد وأمعن (وافر)

سقى أرضا ثووها كل مزن * وسايرهم سرور وارتياح
فما ألوى بهم ملل ولكن * صروف الدهر والقدر المتاح
سأبكي بعدهم حزنا عليهم * بدمع في أعنته جماح

(وأخبرني الوزير أبو عامر بن الطويل) أنه كان بقصر مربيطر بالمجلس المشرف منها والبطحاء قد لبست زخرفها ودبج الغمام مطرفها وفيها حدائق ترنو عن مقل نرجسها وتبث طيب تنفسها والجلنار قد لبس أردية الدماء والراح قد ملكت أفئدة الندماء فقال (كامل)

قم يا نديم أدر على القرقفا * أوما ترى زهر الرياض مفوفا
فتخال محبوبا مدلا ورده * وتظن نرجسها محبا مدنفا
والجلنار دماء قتلى معرك * والياسمين حباب ماء قد طفا

وله أيضا يعاتب بعض اخوانه (طويل)

لحى الله قلبى كم يحن اليكم * وقد بعتم حظى وضاع لديكم
اذا نحن أنصفنا كم من نفوسنا * ولم تنصفونا فالسلام عليكم

(وله) وقد كتب اليه الكاتب أبو الحسن راشد بن سليمان بالتمويل وقد كان عهد اليه ألا يخاطبه الا بالتسويل (كامل)

ثقلت روحك أيما تثقيل * فيما قصدت له من التمويل
هذا على أنى عهدتك خفة * كرسول برحل عند عليل

فراجعه الكاتب أبو الحسن المذكور (كامل)

لا والذى ولاك ألوية الندى * وحباك من خطط العلا بجزيل
ما حدت عن سنن الكتابة عامدا * ولو اعتمدت فعلت فعل نبيل
لكن بانى أنكرت ما عوّدت * فتبرعت بكتابة التمويل
ولرب سر كامن عند امرئ * أبداه بعض فعاله المجبول
لله رقعتك التى ضمنتها * زهر النهى من لفظك المعسول
نظم وعيشك لو غدا نثر الما * قدرته الامن التنزيل
وافى به من لو أمنت صدوده * عنى غمرت يديه بالتقبيل

(وله يرثى ذا الوزارتين) أبا محمد أخاه وقد توفى وا لورقة فى ملكه ومنتظمة فى سلكه (خفيف)

قل لصرف الحمام كم ذا التناهى * فى تلقيك لى بهذى الدواهى
كان فى عامر وأرقم ما يكـ * ـفى فهلا أبقيت عبد الاله
فيه قد كنت بعد استدفع الخطـ * ـب وأسطو على العدى وأباهى
أى شمس وافى عليها أفول * فل غربى عزائمى ونواهى

(وشرب مع الوزراء والكتاب) ببطحاء لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب عنهما فى عشية تجود بدمائها ويصوب عليها دمع سمائها والبطحاء قد خلع عليها سندسها ودنر هار جسها والشمس تنفض على الربا زعفرانها والانوار تغمض أجفانها فكتب الى ابن اليسع (بسيط)

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكب أحيانا وينحدر
والارض مصفرة بالمزن كاسية * أبصرت تبرا عليه الدر ينتثر

وله أيضا (بسيط)

يارب ليل شربنا فيه صافية * حمراء في لونها تنفي التباريحا
ترى الفراش على الأكواس ساقطة * كأنما أبصرت منها مصابيحا

(وله بعد ما نقل) عن ملكه وأخذ سلطانه من سلكه يحن الى لياليه السالفة وظلال انسه الوارفة ويتذكر لذته ويشكر اطراح الزمان له ونبذته (بسيط)

ياليت شعري وهل في ليت من أرب * هيهات لاتنقضي من ليت آراب
وأين تلك الليالي اذ تلم بنا * فيها وقد نام حراس وحجاب
أين الشموس التي كانت تطالعنا * والجو من فوقه لليل جلباب
تهدى الينا لجينا حشوه ذهب * أنامل العاج والاطراف عناب

(وله وقد أرهقته) الرزايا وألحت وهمت عليه سحائبها وسحت وبات له الاسى ملء الجوانح وعوض بالبارح من السانح فانصرمت آماله واستبهمت أعماله فأكثر التشكي من زمنه وأظهر حوى محنه وأصبح يبدى الضجر ويكاد يبكى الحجر ويندب أيامه ولياليه ويذكر عاطل عيشه وحاليه (طويل)

خليلي عوجا بي على مسقط اللوى * لعل رسوم الدار لم تتغيرا
فأسأل عن ليل تولى بانسنا * وأندب أياما تقضت وأعصرا
ليالى اذ كان الزمان مسالما * واذ كان غصن العيش فينان أخضرا
واذ كنت أسقى الراح من كف أغيد * يناولنيها رائحا ومبكرا
أعانق منه الغصن يهتز ناعما * وألثم منه البدر يطلع مقمرا
وقد ضربت أيدى الامان قبابها * علينا وكف الدهر عنا وأقصرا
فما شئت من لهو وما شئت من ددٍ * ومن مبسم يجنيك عذبا مؤشرا
وما شئت من عود يغنيك مفصحا * سماك شوق بعدما كان أقصرا
ولكنها الدنيا تخادع أهلها * تغر بصفو وهي تطوى تكدرا
لقد أوردتني بعد ذلك كله * موارد ما ألفيت عنهن مصدرا
وكم كابدت نفسي لها من ملمة * وكم بات طرفي من أساها مسهرا
خليلي ما بالي على صدق عزمتي * أرى من زمانى ونية وتعذرا
ووالله ما أدرى لاى جريمة * تجنى ولا عن أى ذنب تغيرا
ولم أل عن كسب المكارم عاجزا * ولا كنت في نيل أنيل مقصرا
لئن ساء تمزيق الزمان لدولتي * لقدردّ عن جهل كثيرا وبصرا

وأيقظ من نوم الغرارة نائما * وأكسب علما بالزمان وبالورى

(وله) يانف من المقام على مارتب له من الاجواء ويكلف بالادلاج والاسراء (طويل)

ذرونى أجب شرق البلاد وغربها * لأشفى نفسى أو أموت بدائى
فلست ككلاب السوء يرضيه مربض * وعظم ولكنى عقاب سماء
تحوم لكيما تدرك الخصب حومها * أمام أمام أو وراء وراء
وكنت اذا ما بلدة لى تنكرت * شددت الى أخرى مطى اباتى
وسرت ولا ألوى على متعذر * وصممت لا أصغى الى النصحاء
كشمس تبدت للعيون بمشرق * صباحا وفى غرب أصيل مساء

(وله) وقد أعرض عن الدنيا وخيالها ونفض يده عن حبالها (بسيط)

نفضت كفى عن الدنيا وقلت لها * اليك عنى فما فى الحق أغتبن
من كسر بيتى لى روض ومن كتبى * جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدرى به ما جرى فى الدهر من خبر * فعنده الحق مسطور ومختزن
ومامصابى سوى موتى ويدفننى * قوم ومالهم علم بمن دفنوا

(الوزير الكاتب أبو عمرو الباجى رحمه الله تعالى)

بحر لا يعتطى ثبجه ولا تخاض لججه يقذف لسانه لؤلؤه المكنون ويصرف من بدائعه الانواع والفنون فلا يجارى فى ميدان الاحسان ولا يبارى فى بلاغة براعة ولسان يقصر كل بحر عن مداه ويظهر الاعجاز فيما أظهره من البيان وأبداه لاح وسماء المعالى قد تزينت بنجومها وسمع بذكرها ولم ترم برجومها فظهر أوان الظهور وساد ولم يخش فى موضع نفاق الفضل الكساد والناس اذ ذاك أعلام والدنيا تحية وسلام فتهادته الرياسات وقادته تلك السياسات فانتقل اليهم انتقال الشمس فى مطالع السعود ومقل روض الامانى ناضر العود واستدعاه المقتدر بالله فعرف محله وأحله من الحظوة لديه ما أحله فاستحسن ملكه واستطابه وملأ بعوارفه عيابه ووطابه ولقى من أهل سرقسطة كل ضاحك بسام عاضد كالحسام يرعيه مبرته ويريه متهللة أسرته فلما رحل عنهم حن اليهم أى حنين وذاب شوقا اليهم بين أرق وأنين فقال يخاطبهم (متقارب)

سلام على صفحات الكرم * على الغرر الفارجات الغمم

على الهم الفارعات النجوم * على الايمن الغامرات الديم
سلام شج لانقلاب المزار * نوى غربة عن جوار أمم
شجى عن نزاع يذيب الدموع * بنار الجوانح لا عن ندم
وأى النداسة من مجمع * على مانوى همه أى هم
وهل يتلاون رأى اللبيب * اذا جد فى أمره واعتزم
عزمت على رحلتى عنكم * فسرت بقلب شديد الالم
أضاحك صحبى وأطوى الفجاج * وفى كبدى لاعج كالضرم
فالانس لانس ذاك الحباء * وذاك السناء وتلك الشيم
ودنيا بكم طلقة المجتلى * ودهرا بكم واضح المبتسم
وساعات أنس تجول النفو * س فيها مجال حمام الحرم
أحن اليكم ومن شاقه * تذكر عهد كمولم يلم
وان كنت مغتبطا ساحبا * ذيول الرضا فى قرار النعم
وأنشر من فضلكم ماوليت * على أنه سافر كالعلم
فاروضة الحزن ذات الفنون * اذا ما الصباح عليها بسم
وقد بلل الطل أحداقها * كأن الفريد عليها انتظم
بأطيب من نفحات الثناء * أسيرها عنكم فى الامم
أروح وأغدو بها خاطبا * لدى سامعى عرب أو عجم
لدى كل معترف تابع * اذا قلت التى الى السلم
ومن حقكم شكر آلائكم * ومن حق شانئكم أن يذم

(وله يصف) مطرا نزل بعد قحط ان الله تعالى قضايا واقعة بالعدل وعطايا جامعة للفضل ومنحا يبسطها اذا شاء ترفيها وانعاما ويقبضها اذا أراد تنبيها والهاما ويجعلها القوم صلاحا وخيرا وعلى آخرين فسادا وضيرا وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وانه بعد ما كان من امتساك الحيا وتوقف السقيا الذى ريع به الآمن واستطير له الساكن ورجفت الاكباد فزعا وذهلت الالباب جزعا وأذكت ذكاء حرها ومنعت السماء درها واكتست الارض غبرة بعد خضرة ولبست شحوبا بعد نضرة وكادت برود الارض تطوى ومدود نعم الله تزوى نشر الله تعالى رحمته وبسط نعمته

واتاح منته وأزاح محنته فبعث الرياح لواقح وأرسل الغمام سوافح بماء دفق ورواء غدق من سماء طبق استهل جفنها فدمع وسح دمعها فهمع وصاب وبلها فنقع فاستوفت الارض ريا واستكملت من نباتها أثاثا وريا فزينة الارض مشهورة وحلة الروض منشورة ومنة الرب موفورة والقلوب ناعمة بعد بوسها والوجوه ضاحكة بعد عبوسها وآثار الجزع ممحوة وسور الحمد متلوة ونحن نستزيد الواهب نعمة التوفيق ونستهديه فى قضاء الحقوق الى سواء الطريق ونستعيذ به من المنة أن تصير فتنة ومن المنحة أن تعود محنة وهو حسبنا ونعم الوكيل

(ذو الوزارتين الكاتب أبو بكر بن القصيرة رحمه الله)

غرة فى جبين الملك ودرة لا تصلح الا لذلك السلك باهت به الايام وتاهت فى يمينه الاقلام واشتملت عليه الدول اشتمال الكمام على النور وانسربت اليه الامانى انسراب الماء الى الغور وأتت الدولة اليوسفية ففازت به قداحها وأورى زنده اقتداحها فقال فيها ماشاء وأقال من عثاره الانشاء بعد خطوب أصارته طريدا وقطعت منه وريدا ومازال يرتضع أخلافها وينتجع أكنافها ويسم ببيانه غفلها ويتمم فرضها ونفلها حتى طواه ضريحه وركدت ريحه فسقط بسقوطه نجم البيان وأضحى داثر الاثر خفى العيان وقد أثبت فى هذا التصنيف من كلامه العالى المنيف ماتتخذه سميرا وتجعله على الكلام أميرا فمن ذلك رقعة راجعنى بها وافتنى أعزك الله لك أحرف كأنها الوشم فى الخدود تميس فى حلل ابداعها كالغصن الاملود وانك لسابق هذه الحلبة لايدرك غبارك فى مضمارها ولا يضاف سرارك الى أبدارها وما أنت فى أهل البلاغة الا نكتة فلكها ومعجزة تتشرف الدول بتملكها وما كان أخلقك بأن يدنيك وملك يقتنيك ولكنها الحظوظ لا تعتمد من تتجمل به وتتشرف ولا تقف الاعلى من توقف ولو اتفقت بحسب الرتب لما ضربت الاعليك قبابها ولا خلعت الا عليك أثوابها وأما ماعرضته فلا أرى انفاذه قواما ولا أرضى لك أن تترك عيون آرائك نياما ولو كففت عن هذا الخلق وانصرفت عن تلك الطرق لكان أليق بك واذهب مع حسن مذهبك فقديما أوردت الانفة أهلها موارد لم يحمدوا اصدرها والموفق من أبعدها وهجرها وسأستدرك الامر

قل قرابه وقرب الك حلول ثباته فوقف قليلا ولا تقدمه دبيرا ولا قبلا
حتى أقبال من طاعنية وأعلك عما تنبئ عليه القضية ان شاء الله (وكتب)
عن أمير المسلمين وناصر الدين أيده الله الى طائفة متعدية أما بعد يا أمة لا تعقل
رشدها ولا تجرى الى ما تقتضيه نعم الله عندها ولا تقلع عن أذى تفشيه قربا
وبعدا جهدها فانكم لا ترعون لجار ولا لغيره حرمة ولا ترقبون فى مؤمن
الا ولا ذمة قد أعياكم من صالحكم الانبر وأضلكم ضلالا لا يعد البطر
ونبذتم المعروف فيهم وراء ظهوركم وأتيتم ما ينكر مقتديا فى ذلك صغيركم بكبيركم
وخاملكم بمشهوركم ليس فيكم زاجر ولا منكم الا غوى فاجر وما نرى الا أن الله
عز وجل لشقاء سبحكم وأراد نسخكم وفضحكم فسلط عليكم الشيطان
يغركم ويغريكم ويزين لكم قبائح معاصيكم وكأنكم به قد نكص على عقبيه
عنكم وقال انى برئ منكم وتركتكم فى صفقة خاسرة لا تستقيلونها ان لم تتوبوا
فى دنيا ولا آخره وحسبنا هذا اعذارا لكم وانذارا قبلكم فتوبوا وأنيبوا
وأقلعوا وانزعوا واقتصوا من أنفسكم كل من وترتموه وأنصفوا جميع من
ظلمتموه وغششتموه ولا تستطيلوا على أحد بعد ولا يكن الى أذاه صدر ولا
ورد والا عاجلكم من عقوبتنا ما يجعلكم مثلا سائرا وحديثا غابرا فاتقوا
الله فى أنفسكم وأهليكم واياكم والاغترار فانه يورطكم فيما يرديكم ويسوقكم
الى ما يشمت بكم أعاديكم وكفى بهذا تبصرة وتذكرة ليست لكم بعدها حجة ولا
معذرة ولا توفيق الا بالله تعالى (وكتب عنه رحمه الله) الى صاحب قلعة حماد وصل
كتابك الذى أنفذته من وادى منى صادرا عن الوجهة التى استظهرت عليها
بأضدادك وأجفت بطالبك وبلادك وأخفقت فيها من مطالبك ومرادك
فوقفنا على معانيه وعرفنا المصرح به والمشار اليه فيه ووجدناك تجعل سيئك
حسنا وتنكر لنعيرها وخلافك صوابا بينا وتقضى لنفسك بفلج الخصام وتولها
الحجة البالغة فى جميع الاحكام ولم تتأول أن وراء كل حجة أدليت بها ما يدحضها
ووراء كل دعوى أبرمتها ما ينقضها وتلقاء كل شكوى محضتها ما يرضها ولولا
استنكاف الجدال واجتناب تزيد القيل والقال لقصصنا فصول كتابك أولا
فأولا وتتبعناها فيها تفصيلا وجملا وأضفنا الى كل فصل ما يبطله ويحيله عن
منحله حتى لا يدفعه دافع ولا ينبو عن قبول أدلته راء ولا سامع وما عن

نشدك الله الذى لاتقوم السماء والارض الا بأمره ألم نكن عندما نزغ الشيطان
بينك وبين فلان وتفاقم الشنآن قد توقدنا على ما كان بالحالة من اقلاق
وتأخرنا عما كانت المنصبة تستقدم اليه من بدار أو سباق ولم نمد الجهة حتى
أمدادها ولا كثرنا وفق ما كان يلزم من جماهير اعدادها ولا عنانا غير جهاد
المشركين ولا أقبلنا الا على ما يحوط حريم المسلمين رجاء ان يثوب استبصار
أو يقع اقصار وأنت خلال ذلك تحتفل وتحتشد وتقوم وتقعد وتبرق غيظا
وترعد وتستدعى ذوابات العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب فتعطيهم
ما فى خزائنك جزافا وتنفق عليهم ما كنزه أوائلك اسرافا وتمنح أهل العشرات
مئين وأهل المئين آلافا كل ذلك لتعتضد بهم وتعتمد على تعصبهم وتعتقد أنهم
يمنعونك من المحاذير ويحمونك من المقادير وتذهل عما فى الغيب من أحكام العزيز
القدير (وكتب عنه رحمه الله الى أهل مكناسة) أما بعد أصلح الله من أعمالكم
ما اختل وأصح من وجوه صلاحكم ما اعتل فقد بلغنا ما أنتم بسبيله من
التقاطع والتدابر وما ركبتم رؤسكم فيه من التنازع والتهاتر قد استوى فى ذلك
عالمكم وجاهلكم وصار شرعا سواء فيه نبيهكم وخاملكم لا تأتمرون رشدا
ولا تطيعون مرشدا ولا تأتون سددا ولا تنحون مقصدا ولا تفلحون ان لم تنزعوا
عن غوايتكم أبدا فلا يسوغ لنا ان نترككم فوضى وندعكم سدى ولا بد لنا من
أخذ قناتكم بثقاف اما ان تستقيم واما ان تنشظى قصدا فتوبوا من ذنب التباغض
بينكم والتباين واعصوا شياطين التعاقد والتشاحن وكونوا على الخير أعوانا
وفى ذات الله اخوانا ولا تجعلوا للعقوبة عليكم يدا ولا سلطانا واعلموا ان من نزغ
منكم بشر أو نفث فى فتنة بضر وقام عندنا عليه الدليل واتجه اليه السبيل
أخرجناه عنكم وأبعدناه منكم فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين ولا تتولوا عن
الموعظة وأنتم معرضون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وحسبنا
هذا وبالله التوفيق

(الوزير الكاتب أبو المطرف ابن الدباغ رحمه الله)

أحد اعلام الوزارة المتسمين بأزيائها المرتسمين فى زمام عليائها المشتهرين بالبلاغة
المقتصرين على حسن التناول فى كل اراغة الا ان الايام تعدت على آماله وأغرت
صروفها بكماله فلم تلج أمانيه حتى غربت ولا اتفقت له حال الا اضطربت وصل

الى

الى المعتمد فكلف به وألف حسن مذهبه ثم نسبت اليه معائب * وابرى لهشانى وعائب حسد اتصاله وجد فى زواله وانفصاله فانف من المقام بذلك المثوى والاحتمال لتلك البلوى فانتقل الى المتوكل وحل منه بالطف محل وألقى اليه أزمة العقد والحل ثم رأى ان يكر الى سرقسطة بلده ويقر فيها مع أهله وولده فلما وصل اليها استدعى الى احدى حدائقها فى ليلة حسبها من منح الدهر وتنسم أنسها أعطر من نفح الزهر فلما أغفى دب اليه أحد عداه فوجأ أوداجه بمداه وسقى الارض من نجيعه وتركه لا يستيقظ من هجوعه وكان كثيرا ما يتشكى فى كتبه تشكيا يدل على ضيق صدره وسمو قدره فمن ذلك رقعة كتبها الى ابن حسداى وهى كتابى وانا كما تدريه غرض للايام ترميه ولكن غير شاك من آلامها لان قلبى فى أغشية من سهامها فالنصل على مثله يقع والتألم بهذه الحالة قد ارتفع وكذلك التقريع اذا تتابع هان والخطب اذا اشتد لان والحوادث تنعكس الى أضدادها اذا تناهت فى اشتدادها وتزايدت على آمادها (وكتب فى مثل ذلك) كتابى أعزك الله وعندى من الدهر ما يهد أيسره الرواسى ويفتت الحجر القاسى ومن أجلها قلب محاسنى مساويا وانقلاب أوليائى أعاديا وقصدى بالبغضة من حيث المقة واعتمادى بالخيانة من جانب الثقة فقس بهذا على سواه وعارض به ما عداه ولا تعجب الا لشبوتى لما لم يثبت له الحلق السرد وبقائى على ما لا يبقى عليه الحجر الصلد ولا أطول عليك فقد غمر على حتى ثرائى وأوحشنى ثيابى فها أنا أتهم عيانى وأستريب من بنانى وأجنى الاساءة من غرس احسانى وقاتل الله الحطيئة فى قبره فطالما غر بقوله فى شعره (بسيط)

من يزرع الخير يحصد ما يسر به * وزارع الشر منكوس على الراس

انا والله فعلت خيرا فعدمت جوازيه وما أحمدت عوائده ومباديه وزرعته فلم أحصد الا شرا ولا اجتنيت منه الا ضرا وكذا جدى فما أصنع وقد أبى القضاء الا ان أفنى عمرى فى بوس ولا أنفك من نحوس ويا ليت بقيه قد انصرم وغائب الحمام قد قدم فعسى أن تكون بعد الممات راحة من هذا النصب وسلوة عن هذه الخطوب والنوب فدع بشاهد التشكى فالدهر ليس بمعتب من جزع وما فى الايام رجاء ولا مطمع (وله فصل من تعزية) من أى الثنايا طلعت النوائب وأى حمى رتعت فيه المصائب فواها لحشاشة الفضل

أرصدها الردى غوائله ‌ وبقية الكرم جرعليها الدهر كلا كله ‌ ويلحسرتا للبقية
المواهب كيف سعرت ‌ ولشمس المعالى كيف كورت ‌ وياجبال الحلى هضبة الحلم
كيف زلزلت ‌ وحدة الذكاء والفهم كيف فلت ‌ فانا لله على هذا بوصاياه وتسليما
لقضاياه (وله فصل) لئن كانت الايام تغيبك فالامانى تدنيك ‌ ولئن كنت محجوبا
عن الناظر فانك مصور فى الخاطر أناجيك بلسان الضمير وأعاطيك سلاف
السرور المستدير (وله) وردك كتاب غلته لطفه سماء ‌ وتوهمته ملئ حقيقته
هباء ‌ وفضضته عن أسطر فيها سواد لم يحصل لى منه مستفاد فتعوذت برب الفلق
من شر ذلك الغسق (وله الى ابن حسانى) كنت عهدتك لا تمتنع من مداعبة من
يداعبك ولا تنقبض عن مراجعة من يخاطبك فمن أين حدث هذا التعالى وما
سبب هذا التغالى عرفنى جعلت فداك ما الذى عداك ولعلك رأيت الحضرة
قد خلت من قاض فطمعت فى القضاء وجعلت تأخذ نفسك بأهبته وتترشح لرتبته
وأنت الآن لا شك تتفقه فى الاحكام وتطالع شريعة الاسلام وهبك تحليت
بهذا السمت وتهيأت لذلك الدست ما تصنع فى قصة السبت دع هذا الخلق
وارجع الى أخلاقك وعد فى أطراقك وتجاهل ما قبلك جاهل وتحامق مع الحمقاء
وأنت عاقل فلا تمتنع لذة الاسترسال ولا تتبع الدنيا بجد منك فى سائر الاحوال
فما أشبه ادبارها بالاقبال وكثرتها بالاقلال (وله يستدعى خمرا) أوصافك العطرة
ومكارمك المشتهرة تنشط سامعها من غير توطئة فى اقتضاء ما عرض من أمنية
فالراح من كلى محل لا تصل اليه سلوة ولا تعترضه جفوة الا ان معينها قد جف
وقطينها قد خف فان وجد للسباء ولو بحشاشة الحوباء فصل منها ما يوارى
قنوتى ويقوم لشكرى فان قدرك أرفع من ان تقضى حقه زاخرات البحار
ولو سالت بذوب النضار لا بصافية العقار (وله يستدعى الى مجلس أنس) يومنا يوم
تجهم محياه ودمعت عيناه وبرقعت شمسه الغيوم ونثرت حصباء لؤلؤه المنظوم
وملأ الخافقين دخان دجنه وطبق بساط الارض هملان جفنه فأعرضنا عنه
الى مجلس وجهه كالصباح المسفر وجلبابه كالرداء المحبر وحليه يشرق فى ترائبه
وندّه يعبق فى جوانبه وطلائع أنواره تظهر وكواكب ايناسه تزهر وأباريقه
تركع وتسجد وأوتاره تنشد وتغرد وبدوره تحت أنجمها الحبية وتشبثنا أناملها
مقتدية وسائر نعمائها آخذ وقاتها وأملنا ان تحث خطاك حتى يلوح سناك

ونشتفى

ونشتفى برآك (وله فصل) ورد كتابك فنور ما كان بالاعباب داجيا وحسن
مشافها عنك ومناجيا واسترد الى الخلة بهاءها وأجرى فى صفحة الصلة ماءها
وعند شدة الظما يعذب الماء وبعد مشقة السهر يطيب الاغفاء ورأيت ما وعدتنى
به من الزيارة فسرنى سرورا بعث من اطرابى وحسن لى دين التصابى فارتحت
كانما أدار على المدام مديرها وجاوب المثانى والمثالث زيرها ولا تسأل عن حال
استطالتها فهى كاسفة بالى كاشفة عن خبالى اصبح لاحن خلال ذوائبى
وتنفس فى ليل لمتى فادجى مطالع أعمالى وأرانى مصارع آمالى (وله فصل) ياليت
شعرى كيف أتغير على بعضى وامحه قطيعتى وبغضى (وله فصل) طلع علينا
هذا اليوم فكاد يمطر من الغضارة صحوه ويقبس من الانارة جوه ويحيى الرميم
اعتداله ويصبى الحليم جماله فلفتنا زهرته وضمتنا بهجته ونضرته فى روضة أرضعتها
السماء شآبيبها ونثرت عليها كواكبها ووفد عليها النعمان بشقيقه واحتل فيها
الهند بخلوقه وبكر اليها بابل برحيقه فالجمال يثنى بحسنه طرفه والنسيم يهز
لانفاسه عطفه وتمنينا ان يتبلج صبحك من خلال فروجه وتحل شمسك فى منازل
بروجه فيطلع علينا الانس بطلوعك وتهديه بوقوعك ولن نعدم نورا يحكى
شمائلك طيبا وبهجة وراحا تخالها خلالك صفاء ورقة وألحانا تثير أشجان الصب
وتبعث أطراب القلب وندى من ترتاح اليهم الشمول وتتعطر بأرجهم القبول
ويحسد الصبح عليهم الاصيل ويقصر بمجالستهم الليل الطويل

(الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم بن الجد رحمه الله تعالى)

راضع ثدى المعالى المتواضع العالى آية الاعجاز فى الصدور والاعجاز الذى
جمع طبع العراق وصنعة الحجاز وأقطع استعارته جانبى الحقيقة والمجاز فأبداها
شمسا وأهداها الاجساد معانيه نفسا اذا كتب ملأ المهارق بيانا وأرى
السحر عيانا وله أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا ولو كان نورا لكان
له السماك نجدا والمجرة غورا الى الاتسام بالوقار والحلم والافتنان فى أنواع العلم
أقام زمنا معتكفا على دواوينه كلفا بالعلم وأفانينه مشتغلا بالدراسة معتزلا
للرياسة والملك يضم ضلوعه على علائه ويرقب طلوعه فى سمائه الى ان استدعاه
أمير المسلمين فأجاب بحكم الطاعة وأناب وأراه الغناء المستعظم والمناب بكتب
تهزم الكتائب بأغراضها وتروق العيون بايماضها وقد أثبت من نثره البارع

ونظمه العذب المشارع ما هو أفتن للاسماع من مطرب السماع وألذ فى الالباب من مناجاة الاحباب (فمن ذلك رقعة) راجعني بها عن معاتبة له فى توقف مراجعة وهى لو أطعت نفسى أعزك الله بحسب هواها وحملت قواها لما خططت طرسا ولا سمعت للقلم جرسا ولمت فى حجر العطلة مستريحا ولزمت بيت العزلة حلسا طريحا ولكنى بحكم الزمان مغلوب وبحقوق الاخوان مطلوب فلا أجد بدا من اعمال الخاطر وان غدى طليحا وتناهى تبليحا والماطلع على طالع خطابك الكريم فى صورة المقتضى الغريم تعين الاداء ووجب الاعداء واتصل بالتلبية النداء وقد كنت تغافلت عن الكتاب الاول تغافل الساكن الى العذر المتأول فهزتنى من الثانى كلمات مؤلمات ولكنها فى وجه الحسن والاحسان سمات لم توجدنى الى المعذرة طريقا ولا سوغتنى فى النظرة ريقا فتكلفت هذه الاسطر تكلف المضطر حفزه ثقل البر وأنت بفضلك تقبل وجيزها ولا تبخل بان تجيزها والله يطيل بقاءك محمود النجابة ولا يخلى دعوتى لك من الاجابة (وكتب عن أمير المسلمين وناصر الدين أيده الله الى أهل اشبيلية) كتابنا أبقاكم الله وعصمكم بتقواه ويسركم من الاتفاق والائتلاف الى ما يرضاه وجنبكم من أسباب الشقاق والخلاف ما يسخطه ويأباه كتبناه من حضرة مراكش حرسها الله لست بقين من جمادى الاولى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وقد بلغنا ما تأكد بين أعيانكم من أسباب التباعد والتباين ودواعى التحاسد والتضاغن واتصال التباغض والتدابر وتمادى التقاطع والتهاجر وفى هذا على فقهائكم وصلحائكم مطعن بين ومغمز لا يرضاه مؤمن دين فهلا سعوا فى اصلاح ذات البين سعى الصالحين وجدوا فى ابطال أعمال المفسدين وبذلوا فى تأليف الآراء المختلفة وجمع الاهواء المفترقة جهد المجتهدين ورأينا والله الموفق للصواب ان نعذر اليكم بهذا الخطاب فاذا وصل اليكم وقرئ عليكم فاقمعوا الانفس الامارة بالسوء وارغبوا فى السكون والهدوء ونكبوا عن طريق البغى الذميم المشنوء واحذروا دواعى الفتن وعواقب الاحن وما يجر داء الضمائر وفساد السرائر وعمى البصائر ووخيم المصائر وأشفقوا على أديانكم وأعراضكم وثوبوا الى الصلاح فى جميع أغراضكم وأخلصوا السمع والطاعة لوالى أموركم وخليفتنا فى تدبيركم وسياسة جمهوركم أخينا الكريم علينا أبى اسحق ابرهيم أبقاه الله وأدام عزه بتقواه

واعلموا

واعلموا ان يده فكم كيدنا ومشهده كشهدنا فقفوا عندما يحضكم عليه
ويدعوكم اليه ولا تختلفوا فى أمر من الامور لديه وانقادوا أسلس انقياد لحكمه
وعزمه ولا تقيموا على نبج عناد بين حده وربعه والله تعالى يفيء بكم الى الحسنى
وييسركم الى ما فيه صلاح الدين والدنيا بقدرته وله من قصيدة (طويل)

اثن راق مرأى للحسان ومسمع * فحسناؤك الغراء أبهى وأمتع
عروس جلاها مطلع الشكر فانثنت * اليها النجوم الزاهرات تطلع
زففت بها بكرا تضوع طيبها * وما طيبها الا الثناء المضوع
لها من طراز الحسن وشى مهلل * ومن صنعة الاحسان تاج مرصع

(وله فصل فى جانب الفقيه الاجل أبى الفضل بن عياض الى ابن حمدين رحمه الله) أما
وكنف برك لمن أمك من أهل الفضل ممهد وجفن رعايتك لهم مسهد ومنزل
حمايتك بهم متعهد فكل وعر يلقونه فى سبيل قصدك مستسهل ولا يرويهم دونك
منهل ولا يضل بهم وأنت العلم المجهل وممن رأى أن يقتحم نحوك ظهرى لجة ومحجة
و يقرن فى أم كعبة فضلك بين عمرة وحجة ويرحل الى حضرتك المألوفة مهاجرا
و يعتمدها فى طلب العلم تاجرا ليجتهد فى جمعه وكسبه اجتهاد مغترب ويملأ من
بضائعه وفوائده وعاء غير سرب ومذهبه الاقتباس من أنوارك والالتباس
برهة من الدهر بجوارك والاستئناس بأسرة بشرك ومسرة جوارك فلان وله
فى الفضل مذاهب يبهرج عندها الذهب وعنده من النبل ضرائب لا يفارق زندها
اللهب وستقربه فتستغربه وتخبره فتكبره ان شاء الله وله مراجعا (طويل)

سلام كأنفاس الاحبة موهنا * سرت بشذاها العنبرى صبا نجد
سلام كايماض الغزالة بالضحى * الى الروضة الغناء غب الحيا العد
على من تحرانى بمعجز شعره * فأعجز أدنى عفوه منتهى جهدى
غزانى من حولك اللسان بلامة * مضاعفة التأليف محكمة السرد
دلاص من النظم البديع حصينة * ترد سنان النقد منثلم الحد
عليها من الاحسان والحسن رونق * كما ديس متن السيف من صدا الغمد
وفيها على الطبع الكريم دلالة * كما افترض والسقط عن كرم الزند
أباعامر لا زال ربعك عامرا * بوفد الثناء الحر والسودد الرغد
لقد سمتنى فى حومة القول خطة * لففت لها رأسى حياء من المجد

(وكتب عن أمير المسلمين الى ابن حمدين فى أمر أبى الفضل بن عياض المذكور)
وفلان أعزه الله بتقواه وأعانه على مانواه ممن له فى العلم حظ وافر ووجه سافر وعنده دواوين أغفال لم تفتح لها على الشيوخ أقفال وقصد تلك الحضرة ليقيم أودمتونها ويعانى رمد عيونها وله الينا ماتة مرعية أوجبت الاشادة بذكره والاعتناء بأمره وله عندنا مكانة حفية تقتضى مخاطبتك بخبره وانهاضك الى قضاء وطره وأنت ان شاء الله تسدد عمله وتقرب أمله وتصل أسباب العون له ان شاء الله (وله) مراجعا الى أحد الشعراء (طويل)

أماونسيم الروض طاب به فجر * وهب له من كل زاهرة نشر
تحامى له عن سره زهرة الربا * ولم تدر أن السر فى طيه نشر
ففى كل سهب من أحاديث طيبه * تمائم لم يعلق بحاملها وزر
لقد فغمتنى من شمائلك نفحة * ينافسنى فى طيب انفاسها العطر
تضوع منها العنبر الورد فانثنت * وقد أوهمتنى ان منزلها السحر
سرى الكبر فى نفسى لها ولربما * تجانف عن مسرى ضرائبى الكبر
وشبت بها معنى من الراح مطربا * فخيل لى ان ارتياحى بها سكر
أباعامر أنصف أخاك فانه * واياك فى محض الهوى الماء والخمر
أمثلك يبغى فى سمائى كوكبا * وفى جولك الشمس المنيرة والبدر
ويلتمس الحصباء فى ثعب الحصى * ومن بحرك الفياض يستخرج الدر
عجبت لمن يهوى من الصفر تومة * وقد سال فى أرجاء معدنه التبر

(وكتب عن أمير المسلمين الى أهل سبتة) بولاية الامير أبى زكريا يحيى ابن الامير أبى بكر أيده الله ورحم أباه كتابنا أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ويسركم لما يرضاه وأسبغ عليكم نعماه وقد رأينا والله بفضله يقرن جميع آرائنا بالتسديد ولا يخلينا فى كافة انحائنا من النظر الحميد أن نولى أبا زكريا يحيى بن أبى بكر محل ابننا الناشئ فى حجرنا أعزه الله وسدده فيما قلدناه اياه من مدينتى فاس وسبتة وجميع أعمالهما حرسهما الله على الرسم الذى تولاه غيره قبله فأنفذنا ذلك له لما توسمناه من مخايل النجابة قبله ووصيناه بما نرجو أن يحتذيه ويمتثله ويجرى عليه قوله وعمله ونحن من وراء اختباره والفحص عن اخباره لاننى بحول الله فى امتحانه وتجريبه والعناية بتخريجه وتدريبه والله عز وجل يحقق مخيلتنا فيه

ويوفقه

ويوفقه من سداد القول والعمل الى مايرضيه فاذا وصل اليكم خطابنا فالتزموا له السمع والطاعة والنصح والمتابعة جهد الاستطاعة وعظموا بحسب مكانه منا قدره وامتثلوا في كل عمل من أعمال الحق نهيه وأمره والله تعالى يمده بتوفيقه وهدايته ويعرفكم يمن ولايته بعزته (وكتب عنه) أيده الله ونصره الى أبي محمد عبد الله بن فاطمة رحمه الله * كتابنا أطال الله في طاعته عمرك وأعز بتقواه قدرك وشد في ما تولاه أزرك وعضد بالتوفيق والتسديد أمرك من حضرة مراكش حرسها الله وقد رأينا والله ولي التوفيق والهادي الى سواء الطريق ان نجدد عهدنا الى عمالنا عصمهم الله بالتزام أحكام الحق وايثار أسباب الرفق لما نرجوه في ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل والآجل والله تعالى ييسرنا لما يرضيه من قول وعمل بمنه وأنت أعزك الله ممن يستغني باشارة التذكرة ويكتفي بلمعة التبصرة لما تأوى اليه من السياسة والتجربة فاتخذ الحق أمامك وملك بيده زمامك وأجر عليه في القوي والضعيف أحكامك وارفع لدعوة المظلوم حجابك ولا تسد في وجه المضطهد المهضوم بابك ووطئ للرعية حاطها الله أكنافك وأبذل لها انصافك واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها واطرح كل من يحيف عليها ويؤذيها ومن سبب عليها من عمالك زيادة أو خرق في أمرها عادة أو غير رسما أو بدل حكما أو أخذ لنفسه منها درهما ظلما فاعزله عن عمله وعاقبه في بدنه وألزمه رد ما أخذ متعديا الى أهله واجعله نكالا لغيره حتى لا يقدم منهم أحد على مثل فعله ان شاء الله وهو تعالى ولي تسديدك والملي بعضدك وتأييدك لا اله غيره ولا خير الا خيره (وله عنه الى أهل غرناطة) كتابنا عصمكم الله بتقواه وبسركم لما يرضاه وجنبكم ما يسخطه ويشناه من حضرة مراكش حرسها الله يوم الجمعة التاسع عشر من شهر الصوم المعظم سنة سبع وخمسمائة وقد اتصل بنا أنكم من مطالبة فلان على أولكم وفي عنفوان عملكم وانه لا يعدم تشغيبا وتأليبا من قبلكم فالى متى تلجون في الطلب وتجدون في الغلب وتقرعون النبع بالغرب لقد آن لجمرتكم في أمره ان تطفا وللنائرة بينكم ان تهدا ولذات بينكم أن تنصلح ولوجوه المراشد قبلكم ان تنتضح فاذا وصل اليكم خطابنا هذا فاتركوا متابعة الهوى واسلكوا معه الطريقة المثلى ودعوا التنافس على حطام الدنيا وليقبل كل واحد منكم على ما يعنيه ولا يشتغل بما ينصبه ويعنيه ولا بد

لكل عمل من أجل ولكل ولاية من غاية ولن يسبق شئ أناه واذا أراد الله أمرا سناه وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون وفقكم الله لما فيه صون أديانكم واعراضكم وتسديد أنحائكم وأغراضكم بمنه

(وكتب أعزه الله) مرحبا بك أيها البر الفاتح والروض النافح فما أحسن تولجك وأعطر تأرجك لقد فتحت بالمخاطبة بابا طالما كنت له هيابا ورفعت حجابا ترك قلبي وجابا ومازلت أحوم عليه شرعة فلا أسيغ منها جرعة وأغازلها أملا فلا أطيقها الها عملا وألاحظها أمدا أذوب دونها كمدا

وفى تعب من يحسد الشمس نورها * ويجهد أن يأتى لها بضريب

الى ان وردنى خطابك الخطير مشتملا على نظم من الكلام رائق الاعلام يقرب من الافهام ويبعد نيله فى الاوهام قد أرهفت نواحيه بالتهذيب وطرزت حواشيه بكل معنى غريب وحشيت معانيه باللفظ الرائع المهيب فازددت به تهيبا ورعبا وعاينت منه مركبا صعبا وقلت التغافل عن الجواب أولى بالصواب وان ألمت بالجفاء وقابلت الوفاء باللفاء اذ ليس بلبيب من يعاوض الهيل بوشل ويناهض التشمير بفشل ويطاول الفيل بشلو منتشل ولا باريب من يقيس الشبر بالباع والمد بالصاع والجبان بالشجاع والقطوف بالوساع فمن طلب فوق طاقته افتضح ومن تعسف الخرق النازح رزح ومن سبح فى البحر كم عسى ان يسبح لاجرم أنه اقتضانى فى المراجعة صديق لنا كريم لم يلتفت الى معذرة ولاسمح بنظرة فتكلفتها بحكم عزمته تحت فادح حصر ونازح بصر فقد يكدى على عملك الخاطر ويخوى النجم الماطر وربما عاد اللسن فى بعض الاوقات ملكا والجواد كودنا وبحر القريحة ثمدا وحسام الذهن معضدا فان تفضلت بالاغضاء وسامحت فى الاقتضاء سلمت لك فى اليد البيضاء وبرزت لشكرك فى الفضاء واجتليت منك أدام الله عزك فى معنى تعذر تلاقينا عند قرب تدانينا فصولا حسانا حسبتها برهانا ورأيت بها السحر الحلال عيانا ولئن اعترض عائق الزمان دون ذلك الامل وقد عارضنا من أمم وصار أدنى من يد لفم فان نفوسنا بحمد الله فى المقاصد والاغراض متلاقية على موارد الاخلاص والامحاض والله تعالى يحفظ جواهرها من الاعراض ويصونها من الانتكاث والانتقاض بمنه وطوله انه على كل شئ قدير وبيده الامر والتدبير واما ما جلاه من صورة الود فى معرض

الجد

الجد فقد ثوى بين الجوانح محلا لا يسوم الدهر عقده حلا ولا يزال جفني في رعيه مسهدا وقلبي لصونه ممهدا ان شاء الله وأقرأ عليك يا سيدي المعظم في خلدي سلاما شريف النصاب كريم الاحساب والسلام الاتم الاعم ما طلعت الانجم وتضوع المسك الاحم على سيدنا الاعظم ورحمة الله وبركاته

(ذو الوزارتين المشرف أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم أعزه الله)

رجل الشرق سوددا وعلاء وواحده اشتمالا على الفضل واستيلاء استقل بالنقض والابرام وأوضح رسم المجاملة والاكرام فله الشفوف في المجد والخفوف الى الوفد تجتليه بساما وتنتضيه حساما ان واخاك أبرم عقد اخائه وأعفاك من زهوه وانتخائه مع أدب يزخر بحره وتتزين به لبة الزمان ونحره وسجية خلصت خلوص التبر ونفس سلمت من الخيلاء والكبر تتهاداه الدول تهادي الروض للنسيم وتفتقر اليه افتقار المصراع الى القسيم فيطلع بآفاقها طلوع الشمس وينشر سيرها الحميدة من الرمس قد أمنت غوائله وحسنت أواخره وأوائله وبنو رحيم من أعلام الشرق في القديم والحديث وعنهم يؤثر أطيب الحديث اتصلوا في الفضل اتصال الشؤبوب وانتشوا كالرمح انبوبا على انبوب وقد أثبت له ما ترتشفه ريقا وتبصر له في سماء الاحسان شروقا (فمن ذلك) قوله من قصيدة (بسيط)

نفديك من منزل بالنفس والذات * كم لي بمغناك من أيام لذات
نجني بك العيش والآمال دانية * أعوام وصل قطعناها كساعات
نسقي لديك اغتباقات مسلسلة * والدهر قد نام عنا باصطباحات
يا قبة الدهر لا زالت مجددة * تلك المعالم ما دامت مقيمات
حفظت من قبة بيضاء حف بها * نهر تفضض يجري بين دوحات
عليك مني ريحان السلام كما * حيتك مسكة دارين بنفحات
خير البنيات لا تنفك آهلة * بمن حوت وهم خير البريات
لله يوم ضربنا للمدام بها * رواق لهو بطاسات وجامات
وللبلابل ألحان مرجعة * تجيبهن غوانينا بأصوات
وللرياحين انفاس معنبرة * مع الرياح توافينا لاوقات
وللمياه ابتسام في جداولها * كما تشق جيوب فوق لبات

حدائق أحدقتها للمنى شجر * خضر وأودية حفت بروضات
جنات أنس رعى الرحمن بهجتها * حسبت نفسى منها وسط جنات
منازل لست أهوى غيرها سقيت * حيا بهم وخصت بالتحيات

(ووصل) هو وابن وضاح صهر المرتضى وابن جمال الخلافة صاحب صقلية الى أحدى جنات مرسية خلوا منها فى قبة فوق جدول مطرد وتحت أدواح طيرها غرد وأقاموا يتعاطون رحيقهم ويعمرون بالمؤانسة طريقهم اذا بالجنان وقف عليهم وقال كان بموضعكم هذا بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة وخدود غير مستورة قد رفعت عنها البراقع ومامنها نظرة الا وهى سهم واقع فاستدعى فحما وكتب فى احدى زوايا القبة (خفيف)

قادنا ودنا اليك فجئنا * بنفوس تفديك من كل بوس
فنزلنا منازلا لبدور * وحللنا مطالعا لشموس

(وله) يهنى الوزير المشرف أبا الحسن أخاه بمولود وكان أكرم من الغمام وأوقر من شمام وأصول من ليث بخفان وأغزل من ظبى بعسفان فطوى منه الحمام أوحدا أحله من الجوانح ملحدا (كامل)

خاصت اليك مع الاصيل الانور * أمنية مثل الصباح المسفر
غراء الا أنها من خاطرى * بمكان أسود ناظرى من محجرى
أرجت شذا أرجاؤها فكأنها * قد ضمخت بالخالخ من عنبر
أهدت الى مع النسيم تحية * فتقت نوافجها بمسك اذفر
فأتت كمازارتك عاطرة اللمى * بيضاء صيغت جوهرا فى جوهر
هيفاء رود ذات خصر صائم * ومعاطف لدن وردف مفطر
هزت جوانب همتى فكأنما * عجبا بها انا تبع فى حمير
ياحسن موقع ذلك الامل الذى * يزرى حلاوته بطعم السكر
نظم السرور كما نظمت لآلئا * يد الصبابة فى مقلد معصر
ورد الكتاب به فرحت كاننى * نشوان راح فى ثياب تبختر
لما فضضت ختامه فتبلجت * بيض الامانى من سواد الاسطر
قبلت من فرح به خد الثرى * شكرا ولاحظ لمن لم يشكر
ياموردا لخبر الشهى وحادى الامل القصى وهادى النبا السرى

زدنى

زدنى من الخبر الذى أوردته * يابرد ذاك على فؤاد المخبر
صفحا وعفوا للزمان فانه * ضحكت اسرة وجهه المتسمر
طلع البشير بنجم سعد لاح من * أفق العلا وبشبل ليث مخدر
لله درك أى فرع سيادة * أعطيته وقضيب دوحة مثمر
طابت أرومته وأينع فرعه * والفرع يعرف فيه طيب العنصر
أنت الجدير بكل فضل ناله * وحويته وبكل مكرمة حرى
تهنا رحيما انها قد انجبت * برحيم المحمود أسنى مذخر
نامت عيون الدهر عن جنباته * وجمت مناهله متون الضمر
وصفا له ولاخوة يتلونه * ماء الحياة لديك غير مكدر
فلأنت بدر السعد وهو هلاله * ولانت سيف المجد وهو السمهرى
أفدى البشير بمهجتى وبتالدى * وبطارفى وعذرت ان لم يعذر
بابى أبوه أخى كبيرى والذى * أسدى الى مواهبا لم تصغر
ذاك الذى علقت بعلق نفاسة * منه العلا وكانه لم يشعر
مصباح من هامت به ظلماؤه * ومنار هدى السادر المتحير
بدر ولكن ان تطلع كامل * ليث ولكن عند عزمته جرى
ندب تدل على علاه خلاله * كالسيف يدرى فضله فى الجوهر
سيف تحلى بالعلاء رياسة * وصفت جواهره لطيب المكسر
لو كانت العلياء شخصا ماثلا * لرأيته منها مكان المغفر
وكذا رحيم من نمته فانه * حاز السيادة أكبرا عن أكبر
نحن الرحيميون ان ذكر الندى * نذكر وان ذكر الخنى لم نذكر
ان أخبروك أو اختبرت علاءهم * انساك فضل الخبر طيب المخبر
قسموا الثناء مع البرية والسنا * يوما ففازوا بالقداح الايسر
شرف سقاه الفضل وسمى العلا * فتضوع أزهار الثناء الاعطر
ساداتنا سادات كل معاشر * ان خلصوا ولانت سيد معشرى
فاذا تلاحظت المكارم من فتى * مضر أشار اليك أهل المحضر
واذا جروا يوم المكر سبقتهم * وأتوا القسمة مغنم لم تحضر
واذا دهى خطب وأظلم ليله * جليت ظلمته بفضل تدبر

واذا وهبت فأنت أكرم واهب * واذا نطقت فأنت أصدق مخبر
اياك يعنى من غدا متناشدا * بتناروه على مرور الاعصر
واذا انباع كريمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشترى
كم من يد عندى له أعلت يدى * ان حصلت أو عددت لم تحصر
هو مفخرى يوم الجدال ومنصلى * يوم النزال ورايتى فى العسكر
من أين لى شكر يقاوم بعض ما * فسرته وكثيره لم أذكر
فلاستعين عليه فى شكرى له * بالاوحد القاضى الاجل الاكبر
قاضى القضاة وماجد الامجاد والحبر المعظم والامام الاشهر
ملك الملوك ونخبة الاملاك من * كاب وكل متوج فى حمير
السامى النسبين ان ذكر العلا * والمحرز الشرفين يوم المفخر
من ذروة المجد الذى حل السها * وجرى بسعد عطارد والمشترى
لولاه ماطلعت أهلة سودد * فينا ولو طلعت لنا لم تقمر
من لم يرد علياه لم يرد العلا * من لم يلذ بحريمه لم ينصر
طرزت ديباج القصيد بذكره * فأتى كما راقتك حلة عبقرى
ونشرت بعض خلاله فكأنني * بالمسك قد أذكيت عود المجمر
هو مفخر الاشعار ان ذكرت به * فاذا خلت من ذكره لم تذكر
وغدت كاجسام مضت أرواحها * فتخالها منسية لم تقبر
يا باعثا جذلى الى ومنجدى * أبدا على صرف الزمان ومظهرى
من بعد ماقضيت حق أبى أميـة ذى المعالى والسناء الابهر
هنأت نفسى ثم جئت مهنأ * أنا حاضر معكم وان لم أحضر
أنا ذاك شيمتى الوفاء واننى * لا بالملول ولست بالمتغير
واذا تنكرت الاحبة فالرضا * منى الجزاء ولست بالمتنكر
انى لاصبر عند كل عظيمة * واذا ظلمت مجاهرا لم أصبر
ودى هو الود الذى ينأى به * أولى تجرب ثم بعد تخير
مهما تقسنى بالرجال وجدتهم * مثل الحصا ووجدتنى كالجوهر
واليكها مثل العروس زففتها * سكرى تجرذ يولها بتبختر
عذراء الا اننى حملتها * عذر التأخر ليت لم أتأخر

وركبت اعناق الرجال مسارعا * وشققت كل تنوفة لم تعمر
مستهديا عطف التجاوز والرضا * مستنشقا عرف الكثيب الاعفر
فابسط بفضلك عذر وافدة العلا * وابسط لها وجه الكريم الموسر
واسمح لها لا تنتقدها انها * مع مفرط الاعجال قول مقصر
لولا تجاوزك الكريم لاصبحت * نهب المزيف عرضة المستقصر
لازلت تبقى للمعالى جامعا * مع أحمد فى ظل عيش أخضر
والسعد ينشر فوق رأسك راية * تبقى مع العليا بقاء الادهر

(وكتب اليه) الوزير الفقيه الكاتب أبو بكر الطائى معاتبا له على تركه الزيارة قطعة أولها (طويل)

الاهل أمر الدهر مثل أبى بكر * بفكر فانى لست ينفك عن فكرى

فراجعه عنها بقوله (طويل)

سلام كما حيتك عاطرة النشر * والا كما هب النسيم مع الفجر
وود كما سلسلت صافية الطلا * وعهد كما راقت خدود من الزهر
وذكر كما غنت حمامة أيكة * وشوق كما حن الحمام الى الوكر
وحن الى ذاك الجمال كما أتى * حبيب بلا وعد ووصل على هجر
تحية من يفديك من كل حادث * وقيت الردى بالنفس والاهل والوفر
ولله روض من جنابك زارنى * لففت له رأسى حياء أبا بكر
هو السحر بل أخفى من السحر رقة * وأسرى الى الاكباد من نطف الخمر
نسيت بدى مهما انسيتك معرضا * وأخمل ذكرى ان أزحتك عن ذكرى
ولا ذكرتنى ألسن الحمد ما انثنى * لسانى عن حمد لا قوالك الغر
ولكن عدتنى عنك لامتلاهيا * عواد عدت من عادة الزمن النكر
فحسن ولا تعتب بنا الظن والتمس * وعندى لك العتبى لنا أحسن العذر
أمثلى يرى عن ذلك السرو ساليا * سلوت اذا عن كل مكرمة بكر
ولو لم تكن بينى وبينك اسرة * لهمت بذاك الفضل والعلم والشعر
ولكنها قربى تعلق بالحشى * لدى لها الاخلاص فى السر والجهر
وحب مع الأيام يزداد جدة * تمكن ما بين الجوانح والصدر
ولم لا وقد أسلفت كل بديعة * من الفضل قد خطت على صفحة البدر

سقيت الملا ماء المكارم والندى * وأطلعت فى روض العلا أينع الزهر
وقلدت جيد الدهر سلك محاسن * وصغت سوار المجد فى معصم الدهر
وألبستنيها من ثنائك حلة * مطرزة العطفين بالنظم والنثر
نثرت على القول درا كأنه * سقيط رذاذ الغيث فى الورق النضر
وكم لك عندى من يد ألمعية * يقل لها بذل البقية من عمرى
ومن مدح ضمنتها كل مفخر * حبيبة الانفاس مسكية النشر
تسير بها الركبان فى كل غارب * من الارض سيرا مثل سير القطا الكدر
بانشادها تحدو الحداة ويهتدى * بها كل من قد هام فى المهمه القفر
وهل أنت الا دوحة المجد أثمرت * لنا فاجتنينا يانعا ثمر الفخر
نمالك الى العليا جهابذ سادة * نمتهم ذوو التيجان فى سالف الدهر
ومن يك من قحطان فهو ممجد * فقحطان ذو التاج المكلل بالدر
وكم لك من جد رفيع متوج * بتاجين من در وآخر من تبر
فخاتمكم رب المكارم والعلا * وحيدا كما قد قيل عن بيضة العقر
وميسرة حاز البسيطة بالقنا * وباليمنيات المهندة البتر
وثار على ملك الأمين قائما * بملك بنى العباس ناهيك من فخر
بآرائه البيض ارتقى درج العلا * وحل ذرا العليا براياته الخضر
وفى يمن أضحى الفخار فانها * حمت أحمد المختار بالبيض والسمر
ولو لم يكن للعمريين غيرها * أتتنا به الآثار عن ملتقى بدر
ويوم حنين اذ دعاهم محمد * نبى الهدى فاستؤصلت شأفة الكفر
فلا عزة ما لم تكن حميرية * ولا همة الا الى معتلى القدر
وان كانت الدنيا ارتك تجهما * فمن عادة الدنيا مطالبة الحر
وان قعدت بعض القعود فادرت * بأنك حقا واحد الدهر والعصر
وقد علمت قوم بأنك تاجها * ولو أنها حلت ذرا الانجم الزهر
فتعسا لايام تحط ذوى العلا * وتعلى حطيط النفس والقدر والنجر
فدونكها كالروض سامرة الحيا * وحياه غب المحل منسجم القطر
مقنعة خوف انتقاد لخجلة * كما أقبلت عذراء فى حلل خضر
على أنى ادرى بانى مقصر * ولكننى أرسلتها بيدى عذر

فكنت كمن يهدى الى الماء نغبة * ويقصد أرض الهاشميين بالتمر
ولابدّ من وصل الزيارة قائما * بحق العلا منى على قدم البرّ

(وغنى) له فى بعض أيام الانس شعرله لوطة بالنفس وهو (طويل)

خليلىّ سيراوا ربعا بالمناهل * وردّا تحيات الخليط المزايل
فان سأل الأحباب عنى تشوّقا * فقولا تركناه رهين البلابل

(فكان) بها من استحسنهما ورغب اليه فى ان يذيلهما فقال (طويل)

وان يتناسونى لعذر فذكرا * بأمرى ولاتدرى بذاك العواذل
لعلّ الصبا تأتى فتحيي بنفحة * فؤادى من تلقاء من هو قاتلى
فياليت أعناق الرياح تقلنى * وتنزلنى ما بين تلك المنازل

(وفى بعض) الليالى غنى له هذا الشعر (وافر مجزوء)

بدا فكأنه قمر * على ازراره طلعا
يفت المسك عن يقق الـجبين بنانه ولعا
وقد خلعت عليه الرا * ح من أثوابها خلعا

(وحضر بها) من استحسن الشعر والاعمال فرغب اليه فى تذييلها فقال (وافر مجزوء)

فاهدى من محاسنه * الى أبصارنا بدعا
فلما فتّ أكبدنا * وحازقلوبنا رجعا
ففاضت أعين أسفا * وفاضت أنفس جزعا

(وكانت بينه) وبين ذى الوزارتين أبى الحسن جعفر بن الحاج صداقة سافرة الصفاء عاطرة الارجاء نخاطبه بشعر يروق سمعه ويتعلق بالنفس وضعه وهو (طويل)

سلام كما نمت بروض ازاهر * وذكر كما نامت عيون سواهر
تحية من شطت به عنك داره * وأنت له قلب وسمع وناظر
فياسيد السادات غير مدافع * وياواحد الدنيا ولامن يفاخر
لك الشرف الاسمى الذى لاح وجهه * كما لاح وجه الصبح والصبح سافر
لئن شهرت فى المعلوات أوائل * لقد شرفت بالمأثرات أواخر
سجايا استوت منهنّ فيك بواطن * أقامت عليهنّ الدليل ظواهر
أباحسن شكرى لبرّك حافل * وذكرى وان لم أقض حقك عاطر
حرمت ندى تلك الظلال فاحرقت * فؤادى سموم للنوى رهواجر

وانى على فقد الصديق لجازع * على أن قلبى للحوادث صابر
حنانيك أغيث العلاء بجنته * أذكره عهدى فهل أنت ذاكر
فان كنت قد أخللت فالفضل باهر * وان كنت قد قصرت فالجد عاذر
اما أنه لولا خلائقك الرضا * لما كان لى عذر ولا قام ناصر
فمد يد الصفح الجميل فاننى * على كل ما توليى وأوليت شاكر

(وجرت) بينه وبين الاجل الفقيه القاضى أبى أمية ابراهيم بن عصام مدة قضائه بمرسية معاتبات واشعار ومراسلات أدخلت منها ما أسفرت له أوجه الاستحسان وقامت على طبعه شواهد الاحسان فمنها قوله من قطعة أولها (بسيط)

هى السيادة حلت منزل القمر * وأنت منها سوادا القلب والبصر
وهى الجلالة لاتدرى لها صفة * لكنها عبرة جاءت من العبر
أما المعالى فقد حطت رواحلها * لديك والخبر يغنينى عن الخبر

ومنها (بسيط)

طرزت ثوب المعالى بعد ما درست * رسومه فأتانا معلم الطرر
رقت فراقت سناء للعلى شيم * كأنها قطعت من رقة السحر
وضاع عرف ثناء ذاع ريقه * كما نشقت نسيم العنبر الذفر
لولاك ما انساب ماء المكرمات ندى * عندى ولا سفرت لى أوجه البشر
كم من يد لك فى أجيادنا كتبت * والله يعلمها فى صفحة القمر
لا تنثنى ابدا تثنى عليك بها * كأنما هى آيات من السور
يفديك كل من الاسوا سوى نفر * علمت بغيهم لا كان من نفر
يخفون ضد الذى يبدون من ملق * فلا تثقهم وكن منهم على حذر
ان الحجارة تلفى وهى خامدة * حتى اذا قدحت جاءتك بالشرر

(وله أيضا) من قطعة ذهب أولها ولم يثبت الا تغزلها (خفيف)

خص يا غيث مربع الاحباب * وتعاهد بالعهد عهد التصابى
ولتسلم على معرس سلمى * ولتصل بالرباب دار الرباب
هى روضات كل انس وطيب * ومغان سكانها أصل مابى
فكساها العلاء ثوب بهاء * وسقاها الجمال ماء الشباب
ثم طارت ألبابنا فبقينا * بين أهل الهوى بلا ألباب

وأصيبت بها القلوب فصارت * اشقانى ما آلف الاوصاب
أمرضتنى مرضى صحاح ولكن * عذابى بين الثنايا العذاب
أقسم الشوق أن يقسم قلبى * بين قوم لم يسأنوا عن مصابى
فرقة آثرت صدودى وأخرى * أخذت جد سيرها فى الذهاب
أى وجد أشكو وقد صار قلبى * رهن أيدى الصدود والاغتراب
بعت حظى من الوفاء متى ما * لم أمت حسرة على الاحباب
ولئن همت بالجمال فانى * أبدا عفت موضع الارتياب
ردعتنى عن المقابح نفس * خلقت من محاسن الآداب

(وكتب اليه أبو العباس أحمد بن حمدوس القرباني) شاكرا زيارته له وناشر الفضل صداقته معه (خفيف)

ياسريا يختال منه الوزاره * فى الحلى تارة وفى الحلى تاره
بك تزدان خطة حلت منـ * ـك على شخصها بهاء وشاره
ظهرت فيك للجلال خلال * وعلى الندب للسناء أماره
ياأبا بكر الوحيد بعصر * لم يزل جاعلا عليك مداره
زرت بالفضل والفضائل تقضى * أن توالى الى ذراك الزياره
دمت يانخبة الكرام عزيزا * ماتلا الليل فى الزمان نهاره

فراجعه (خفيف)

يازكيا غدا يشيد فخاره * مرشد العلا يشد ازاره
وحساما براحة المجد عضبا * شحذت راحة الذكاء شفاره
سامر الفضل منك روض وفاء * هصرت لى يد العلا أزهاره
وهمت ديمة الصفاء فروت * مربع الود بيننا وعماره
ياسنا مقلة الزمان أبا العبـ * ـباس ياحلى جيده يافخاره
فاذا قيل من فتى الفضل يوما * وأشاروا فانت معنى الاشارة
زارنى من سماء فكرك روض * مثل ما واصل الحبيب الزيارة
مهرق جاء فى ثياب عروس * أصبح المجد تاجه وسواره
أى شكر لأى بر يكافى * حق حر سناؤه قد أناره
ومن العى أن أراجع بالشعـ * ـر فتى لا أشق فيه غباره
غير أنى وثقت اغضاء ندب * عبر الدهر عنه أى عباره

وله (كامل)

خطت بنان الشوق بين جوانحي * مرآكَ فالتهبت من الوجد
وتحدثت نفسي بزورتك التي * قطعت بلا شك من الخلد
فتعللت بالوهم وانتعشت * سرا حشاشتها على البعد

وله (كامل)

يابغيتي قلبي لديك رهينة * فتحفظيه فربما قد ضاعا
أوقدته وتركته متضرما * بأوار حبك يستطير شعاعا
لا تسلميه فانه نزعت به * تلك الخلال الى هواك نزاعا
حاشى لمثلك أن يضيع ضراعتي * ولمثل حبي ان يكون مضاعا
انى لاقنع من وصالك بالمنى * ومن الحديث بان يكون سماعا

(وله) فى الامير الاجل أبى اسحق ابرهيم بن يوسف بن تاشفين فى شعبان سنة خمس عشرة وخمسمائة (وافر)

سقى الله الحمى صوب الولىّ * وحيا بالاراكة كل حىّ
وان ذكر العقيق فباكرته * سحائب معقبات بالروى
تروض مسقط العلمين سكبا * وتلبسه جنى الزهر الجنىّ
ولا بليت لمرسية برود * مطرزة باشتات الحلىّ
ذكرت معاهدا أقوت وكانت * أواهل بالقريب وبالقصىّ
أقول وقد غدوت حليف شجو * أعلل لوعة القلب الشجى
لأصرف عفة كفي ولحظى * عن اللحظ العليل النرجسىّ
وأخزن منطقى عن كل هجو * وأهجر كل ملسان بذىّ
ولما أن رأيت الدهر يدنى * دنيا ثم يسطو بالسنىّ
وجدت به على الايام غيظا * كما وجد اليتيم على الوصىّ
طلبت فما سقطت على خبير * يخبر عن ودود أو صفىّ
كما أنى بحثت على كريم * فما ألفيت ذا خلق رضىّ
ولولا واحد لسددت عينى * فلم تفتح على شخص سرىّ
هو الملك المعظم من ملوك * ينير بها سناالافق السنى
له همم تعالى كل حين * يفوت بها ذرى النجم العلىّ

وحسن

وحسن خلائق رقت فجاءت * كما هبّ النسيم مع العشيّ
مصون العرض مبذول العطايا * ندىّ الترب مبرور الندىّ
جواد جوده ان سيل سيل * ويأتي عرفه مثل الأتيّ
يمدّ الى العفاة يمين يمن * تلين قسوة الدهر الأبيّ
تحلى ملكه بحلى نهاه * كما ازدان المقلد بالحليّ
تدار عليه أكواس المعالي * فتأخذ من هزبر أريحيّ
يطارد بالضحى خيل الاعادى * ويأوى كل وفد بالعشيّ
لابراهيم عند الله سرّ * يدقّ علا على النظر الخفيّ
يرى غيب الامور اذا ادلهمت * بعين الرأى والفكر البديّ
ويوضح كل مشكلة فيرمى * بها فيصيب شاكلة الرميّ
درت صنهاجة ولها علاها * بانّ علاه مفتخر الندىّ
وتعلم انه السيف المحلى * لدفع الخطب أوقرع الكميّ
وكم من سيد فيهم ولكن * أتى الوادى فطمّ على القرىّ
أبا ليث الحروب ومن تردّى * رداء الفضل والخلق الرضيّ
لقد أصبحت روح العدل حقا * وأسود مقلة الملك الحفيّ
سوالك يريح من وخد المطيّ * ويقصر عن مدى الامل القصيّ
وأنت تصادم العلياء لما * غدت مرقى لكل فتى علىّ
تصاد ركل معضلة تؤد * متى هجمت بصدر السمهريّ
وتكشف كل غماء بهدى * حكى هدى النبيّ الهاشمى
أبا اسحق يا ابن أمير ملك * يقصر عنه ملك التبعيّ
ليوسف مفخر يروى ويتلى * كما يتلى الحديث عن النبيّ
ركبت مناهج التقوى ففاقت * أمورك كل أمر معتلىّ
وسرت بسيرة العمرين عدلا * ولم تقعد مضاء عن علىّ
ابا ملك الملوك ادىّ قول * فوطئ لى على كنف وطىّ
وحسن فضل أخلاق كرام * اذا حيت فعن مسك ذكىّ
لك الفضل الذى أوليتنيه * فأشكره ولى حق الولىّ
وأمرى مظلم بالشرق حتى * تبلجه لدى المولى العلىّ

وهذا أوقت خدمة كل أمر * فسبب بى الى السبب الحظى
ومهما دار قول نمقته * رجال لا تضاف الى سرى
فلا تسمع لمشاء بنم * ودع أقوال همازغوى
دعى فى الصفاء وليس يعطى * بقدر الحب والود الخفى
وليت قلوبنا شقت فتدرى * بها فضل الخؤن من الوفى
ويهنى المجد غزو نلت فيه * جسيم الاجر بالسعى الزكى
كلامى قاده ودى فأهدى * اليك قصيدة مثل الهدى
فخذها كالعروس تفوت طبعا * ويا ويل الشجى من الخلى

(وله) فيه من قصيدة وجهها اليه فى عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة (بسيط)

لدى سرالك لعدو الجرد تصميم * وفى عداك لبيض الهند تحطيم
وللمكارم لا زالت مخيمة * بساحة الدولة العلياء تخييم
ثوى بربعك مل الارض منتظما * من المآثر منثور ومنظوم
آيات عدلك تتلى وهى معتبر * سر لكم فى ضمير الدهر مكتوم
لله فيك حديث سوف يوضحه * وللمعالى على علياك تحويم

(ومنها)

تدبير ملكك بالتأييد مفتتح * مالم يكن هكذا ملك فمذموم
قسطت عدلك بين الناس فاعتدلوا * وللممالك تقسيط وتقسيم
لله فضلك مايلقاك مكتئب * الا انثنى وهو مسرور ومعصوم
قضى الاله وجود منك يغمرنا * بان مالك بين الخلق مقسوم
لما سريت الى حمص وقد ظمئت * اسرى اليها سحاب منك مركوم
ووافت الريح تستتقى الغمام بها * مهما تهب فللانواء تغييم
كانما المحل والانواء تكنفه * جيشان ذا هازم يلفى ومهزوم
لما اكتسى الدهر وشيا من ازاهره * ومبرم المحل منبت ومفصوم
عاد الزمان ربيعا عند ما طلعت * منى لها فى سماء الفضل تعظيم
رق النسيم ورقت كل غادية * فالافق طلق وبرد الارض مرقوم

(ومنها)

قيدتنى بأياد منك طائلة * شتى فمنهن مجهول ومعلوم
كم منة لك عندى لا ينوء بها * شكرى على انه بالمسك مختوم

من لى بذا الذ لو وافقك تجذبنى * السبعة الشهب والسبع الأقاليم

(ومنها)

يحف بى منك اعلاء وتكرمة * بمنطقة الجوزاء مخزوم

من حق من هجر الاوطان من سعة * وقاده نحوكم حب وتتيم

ان يعتلى ويرى فى النجم منزله * يحفه منك تكريم وتنعيم

(ومنها)

بينى وبين النوى دخل فان صدعت * شملى فعندى تفويض وتسليم

وان تكن نثرت سلكى نوى قذف * فان سلك رجائى فيك منظوم

سقيا لعهد خليط لست اذكره * الاحننت كما قد حنت الهيم

مهما تنسمت من تلقائه نفسا * شوقا تحدر من عينى تسنيم

فالنفس من بعده بجزله صفة * ميم وواو وجيم بعدها جيم

عسى الليالى بسعد الملك تنظمنا * ان أنصف الدهر والانصاف معدوم

(الوزير الكاتب أبو محمد بن القاسم رحمه الله)

رجل زهت به السياسة والتدبير وجبل دونه يلملم وثبير ووقار لا يستفز ولو دارت عليه العقار اذا كتب باهت البدر رقعته وقرطست أفئدة المعانى نزعته وضعته الدولة فى مفرقها وأطلعته فى مشرقها فأظهر جمالها وعطر صباها وشمالها فسهل لراجيها حزنها وصاب بأحسن السير مزنها واتضح بشرها ونفح بعرف الامانى نشرها وجادت يده بالحيا وعادت به أيام الفضل بن يحيى الاأن الايام اتقته فما أبقته وخشيه مكرها فغشيه نكرها فتخلت عنه الدولة تخلى العقد عن عنق الحسناء وأعرضت عنه اعراض النسيم عن الروضة الغناء وانها العالمة بسنائه الهائمة بغنائه ولكن الزمان لا يريد شفوفا ولا يرى أن يكون بالفضائل محفوفا ويقيم مقام درياق سفوفا وهو اليوم قد انقبض عن أنواع الناس وأجناسهم واستوحش من ايناسهم وأنس بنتائج أفكاره وهام بعيون العلم وابكاره وكلف بفنونه وتصرف من سهوله الى حزونه ونبذ الدنيا نبذ النواة وانتبذ من ملابسة الغواة وصرف وجهه تجاه البر والتقوى وترك ربع الحظوة عافيا قد أقوى وعلم ان الله به حفى وانه لصفى حين أعلقه بأسبابه وصرفه عن باب الملك الى بابه وقد أثبت من نثره المنتخب ونظمه المستحلى المستعذب

ماتعاطيه مدامة ولا بداية مقدامة (فمن ذلك) ماراجعني به عن رقعة كتبتها اليه
مودعا ووصفت فيها النجوم عذيري من ساحر بيان وناثر جمان ومظاهر ابداع
واحسان ما كفاه أن اعتام الجواهر اعتياما وجلاها في أبهج مطالعها نثرا
ونظاما حتى حشر الكواكب والافلاك وجندها نحوي كتائب من هنا وهنالك
وقدما جل لواء النباهة وأعجز أدواء البداهة فكيف بمن كل حتى عن الروية
ورفض الخطابة رفضا غير ذي مثنوية وليس الغمر كالنزر ورويدك أبا النصر
فاسميت فتحا لتفتح علينا أبواب المعجزات ولا مليت سروا لترتقي علينا الى الانجم
الزاهرات فتأتي بها قبيلا وتريدمنا أن نسومها كما سعت قودا وتذليلا واني
لنا أن نساجل احتكاما أو نباسل اقداما من أقدم حتى على القمرين وتحكم
حتى في انتقال الفرقدين وقص قوادم النسرين ثم ورد المجرة وقد تسلسلت
غدرانها وتفتح في جاماتها اقحوانها وهنالك اعتقد التخييم واجد المراد التكريم
حتى اذا رفع قبابه ومد كما أحب أطنابه سبر الدهناء وصمم المضاء فاقتحم
على العذراء رواقها وفصم عن الجوزاء نطاقها وتغلغل في تلك الارجاء
واستباح ماشاء أن يستبيحه من نجوم السماء ثم ما أقنعه أن بهر بادلاله حتى
ذعرها بجياد أقواله وغمرها باطراد سلساله فكم ثم خيل وسيل لاجلهما شمر عن
سوق التوأمين ذيل وتعلق برجل السفينة سهيل هنالك سلم المسالم وأسلم
المعارض والمقاوم فعاد الاسد وان لبس الزبرة ليلا واتخذ الهلال مخلبا وانما
انتهض تحت صبا أعنته وقبض على شبا أسنته وما الشجاع وان هال مقتحما
وفغر على الدواهي فما وقد أطرق عما رآه وما وجد مساغا نأباه وما الرامي وقد
أقعس عن مرامه ووجئت لبته بسهامه أو السماك وقد قطر دفينا وغودر
بذابله طعينا وما الفوارس وقد جللت سربتها عجاجة ومسحت حليتها زجاجة
ولذلك قطب زحل واضطرب المريخ في نار وجده واشتعل ووجل المشتري
فامتقع لونه وضياؤه وشعشع بالصفرة بياضه ولالاؤه وتاهت الزهرة بين ذل
الجمال وذل الاستبسال فلذلك ما تتقدم تارة وتتأخر وتغيب ونة ثم تظهر
وأما عطارد فلاذ بكناسه ورد بضاعته في أكياسه وتحجبت الشمس بالغمام
واعتصم بمغفر به قمر التمام هذه حال النجوم معك فكيف بمن يتعاطى أن يشرع
في قول مشرعك أو يطلع في ثنية فضل مطلعك وقد أدني وشك اقتضائك

واقتضابك

واقتضابك وبعد من اغضابك فاعتمدت على اغضائك نخذ السائح من عفوى وتجاوز عن مقتى وصفوى ثم متعنى بفكرى فقد رجع قليلا ودع لى ذهنى عسى أن يتودع قليلا وأنى وقد أضله من بينك الشغل الشاغل ووقعه من قربك الظل الزائل ولا أنس بعدك الا فى تخيل معاهدك وتذكر مصادرك النبيلة ومواردك فسر فى أمن السلامة محافظا وتوجه فى ضمن الكرامة مشاغفا بالاوهام ملاحظا رعاك الشفيق ورشتك وقدمت على الشفق من متمنك والمرضى من أملك بمن الله وفضله وأقرأ عليك سلاما يلتزمك فى مقامك وسفرك ويصحبك سرى امامك وتاويا على أثرك ورحمة الله وبركته (ولما اشتهرت) المخاطبة والجواب وبهر الابداع منهما والاغراب وتهاداها كل ذكى وتعاطاها وتوسد خدنباهته أبردى أرطاها كتب اليه الاجل الفقيه الحافظ أبو الفضل بن عياض فى ذلك قد وقفت أعزكما الله على بدائعكما الغريبة ومنازعكما البعيدة القريبة ورأيت ترقيكما من الزهر الى الزهر وتنقلكما الى الدرارى بعد الدر فأبحتما حمى النجوم وقذفتماها من ثواقب أفهامكما بالرجوم وتركتماها بعد الطلاقة ذات وجوم فالسما بسيطها غارة شعواء لها ماعوت أكلب العواء هنالك افترست الفوارس ولم تغن عن السماك الداعس وغودرت النثرة نثارا وأغشى لا لاؤها انقعامثارا كأن لم يكن قبلها ثارا وأشعرت الشعريان ذعرا قطعت له احداهما أواصر الاخرى فأخذت بالحزم منها العبور وبدرت خيلكما وسيلكما بالعبور وحذرت اللحاق عن ان تعوق عن منحى العيوق فخلفت أختها تندب عهد الوفاء وتجهد جهدها فى الاختفاء وكان الثريا حين ثرتم بقطينها اتفكتم بيمينها فجذذتم بنانها وبذلتم للمتصيب امانها فعندها استسهل سهيل الفرار فأبعد بمينه القرار وولى الدبران اثره مدبرا وذكر البعاد فوقف متحيرا وعادت العوائد بشامها وألقت الجوزاء للأمانة بنطاقها ونظامها فهلا أعزكما الله سكنا الدهماء فقد ذعرتما حتى نجوم السماء فغادرتماها بين برق وفرق وغرق أو حرق فتزحزحا فى مجدكما قليلا واجعلا بعدكما للناس الى البيان سبيلا فقد أخذتما بآفاق المعانى والبدائع لكما قراها والنجوم الطوالع (فكتب اليه مراجعا عنها) بمثل نباهتك سارت الاخبار وفيك وفى بداهتك اعتبار لقد نلت فيها كل طائل وقلت فلم تترك مقالا لقائل وعززت بثالث

هو الجميع وبرزت فأين من شأوك الصاحب والبديع جلاء بيان في خفاء معان هذا أثبت للسهى جلالا وأشاد فيه لذوى النهى أمثالا وذاك رفع للافخار لواء وألقى على شمس النهار بهجة وضياء أقسم بسبقك ومقدم حقك لئن أفحمت عما نطقت لقد أفهمت عن أى صبوح رققت ومهما أبهمت تفسيرا فدونك منه شيأ يسيرا لما اعتمدنا نحن ذلك المظهر فما أبعدنا هنالك الاثر بل اقتصدنا في الاصعاد وقدنا من تلك النيرات كل سلس القياد حتى اذا اشمأز طلقها فعز أبلقها وصبحنا مواردها فاقتحمنا ما ردها وثنينا عنان الكريمة وارتضينا ايابا ببعض الغنيمة هبت أنت هبوب زيد الفوارس وقربت تقريب الاسد المداعس تومض في وجوم وتتعض للنجوم فاستخرجتها من أيدينا وأزعجتها عن نواحينا ثم صيرت اليك شملها وكنت أحق بها وأهلها ومن هنالك وصلت سرالك فصحت الفيالق وفتحت المغالق وتسنمت تلك الحصون وأقسمت لتخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون فأذعن لشروطك الشرطان وازدحمت بالبطين حلقتا البطان وثار بالثريا ثبور وعصفت بالدبران دبور وهكذا استعرضت المنازل واستهضم جميعها الخطب النازل ثم تيامنت نحو الجنوب فواها للمعاصم والجنوب (بسيط)

لم يبق غير طريد غير منفلت * وموثق في حبال القد مسلوب

استخرجت السفينة من لججها وجالت الناقة بهودجها وغودرت العقرب يخفق فؤادها وذعرت النعائم فخاب اصدارها وايرادها ولما مسحت تلك الآفاق فانخنت فيها وشددت الوثاق وعطفت الشمال واتبعت أسباب الشمال فلا مطلع الا ألقى اليك باليمين واستدارت حوله الفكة فسميت قصعة المساكين وانتهيت الى القطب فكان عليه المدار وتبوأته ففيه من جلالتك افتخار ثم أزحت صعادك وأرحت ممسك الاعنة جيادك ونعمت بدار منك محلال ثم ماغمت عن ذى اكبارلك واجلال تتمه بسحر الكلام وتجشمه أن يستقل استقلالك بالاعلام واذلا يتعاطى مضمارك ولا يشق غبارك فدونك ما قبلى من بضاعة مزجاة واليك منى معطى طاعة وطالب نجاة ان شاء الله عز وجل (وكتب) الى الوزير الكاتب أبى بكر بن عبد العزيز مجاوبا عن كتاب خاطبه به مسليا عن نكبته (متقارب)

ولو

ولولم أفل شباة الخطوب * بحد كحد ظبي الصارم
ولم ألق من جندها ما لقيت * بصبر لا بطا لها هازم
ولم أعتبر حادثات الزمان * بخبير خبير بها عالم
لكان خطابك لى ذكرة * تنبه من سنة النائم
وردأ برد صعاب الامور * على عقب الصاغر الراغم

فكيف وقد توعت النائبات اصغارا واقتبت حوبها اعصارا ولم أستعن فى شئ منها بمخلوق ولا فوّضت فى جميعها الا لاعدل فاتح وأحفظ موثوق أسأله أن يجعلها كفارة للسيئات وطهارة من درن الخطيئات بمنه وكرمه وانّ خطاب السيد وصل غبّ ما تجافى ومطل فكان الحبيب المقبل حقه أن يستمال ويستنزل ولا عتب عليه فيما فعل وقد علمت انه أبطا برهة متصلة فما أخطأ حفاظا بظهر الغيب وصلة وانما نهنه عن مقتضى نظره لينبه بفحوى تأخره على انّ العوائد أحمد من الباديات والفوائد فى النتائج لا فى المقدّمات كما ختم الطعام بالحلواء بل كما نسخ الظلام بالضياء وبعث محمد آخر الانبياء وانّ احتفاءه لمقدور وحق قدره ووفاءه لجدير بالمبالغة فى شكره ولقد بلغت مكارمته مداها وسلت مساهمته عما اقتضاها وقد آن أن ندع من ذكرى نهب صيح فى حجراته واستبيح من جهاته وخطب قد صرّف الله عداءه وكشف بفضله غماءه ولكن حديثا ما حديث سحر جلوته مقالا وسموت به الى المهج حالا فحالا يخترق الحجب الى صميمها ويرقق الآداب فى تقاسيمها ويخيل بالمعجزات عيانها ويستميل الى غرائب المبتدعات أذهانها أبابل فى ضمن أقلامك وما أنزل على الملكين فى وزن كلامك أم هو البيان لا غطاء دونه وما أحقه أن يكونه فالسحر الاجلال ولا تذر ثنية للعقول الا أطلعتها بأهدى مقال وان قسمك الجلّ لقدرك وحمك المتناهى فى برك تصفح ثناءك مجدا وطولا واستوضح اخاءك عقدا وقولا وأعطاك صفقة يمينه على المودة والاكبار وولاك صفوة يقينه صادقة الاعلان والاسرار فلن تزال بتوفيق الله تجده حيث تنشده وتعهده على أبرّ ما تعتقده ان شاء الله (ولما) نفذ فى أمره ما نفذ وانفصل عن أمير المسلمين وانتبذ خبره فى بلاد المغرب فاختار سلا واعتقد انه يأنس فيها ويسلى بمجاورة بنى القاسم الذين غدوا بدور سمائها وصدور أسمائها فلما حلها انقبض عنه

أبو العباس انقباضا نعى عليه أقبح نعى ونسب فيه الى قلة الوفاء والرعى وكان بينهما أيام وزارته مودة محمودة التواخى مشدودة الاواخى واشتملت اذ ذاك على أبى العباس مساع ادجت مطلعه وحنت على الوجد أضلعه فجذب فيها أبو محمد بضبعه وألقاه بين بصر العضد وسمعه فلما وردت مشيت اليه ونقمت عليه صدوده وايحاشه لمن كان ودوده وعرفته بحرماته وأوقفته على مواته فاعتذر بما يخاف من أمير المسلمين ويحذر وكتب اليه (بسيط)

واحسرتا لصديق ماله عوض * ان قلت من هولا يلقاك معترض
ألقاه بالنفس لا بالجسم من حذر * لعله ما رأيت الحر ينقبض

فكتب اليه أبو محمد مراجعا (بسيط)

شر الجياد اذا أجريت منقبض * ماللوجيه على الميدان معترض
أنى تضاهيه فرسان الكلام ومن * غباره فى هواديهن ما نفضوا
جرت على مستو من طبعه كلم * هى المشارب لكن مالها فرض
كأن منشدها نشوان من طرب * أو بلبل من سقيط الطل ينتفض
تحية من أبى العباس زاربها * طيف من العذر فى اثنائها عرض
لا بالجلى فتستوفى حقيقته * ويستبان بعين ما بها غمض
لكن أغض عليه جفن ذى مقة * كما يسد مسد الجوهر العرض
يا من يعز علينا أن نعاتبه * الا عتاب محب ليس يمتعض
ناشدتك الله والانصاف مكرمة * أما الوفاء بحسن الود مفترض
هب المزار لمعنى الريب مرتفع * ماللوداد بظهر الغيب منخفض
أما لكل نبيه فى العلا حيل * تقضى الحقوق بها والمرء منقبض
كن كيف شئت فمن دأبى محافظة * على الذمام وعهد ليس ينتقض
وهمة لم تضق ذرعا بحادثة * ان الكريم على العلات ينتهض
والحر حر وصنع الله منتظر * والذكر يبقى وعمر المرء ينقرض

(الوزير الكاتب أبو عامر بن أرقم رحمه الله تعالى)

فريد الوقت وابن فريده وعميد الكلام وابن عميده كان الوزير الكاتب أبو الأصبغ أبوه قد أربى على أهل أوانه واستقر بكتابة زمانه فنبت أبو عامر فى تربة العلم ونشأ فى حجره وشدا بين سحر البيان ونحره ثم لم يزل على كد الطلب وتعبه

أصبر من عود قد عضت جنباه بمخلبه حتى ارتوى من صافى الادب ونميره واحتجن من مصوحه ونضيره فجمع حفظه بين الغريب الحوشى والمولد الرياضى وله شعر ونثر يشهدان بسعة باعه ورحب ذراعه ويشهدان أنه يغرف من ثجاج ويدع مخاره يعمه فى عجاج (فمن ذلك) قوله يمدح الامير عبد الله بن مزدلى (بسيط)

سريت والليل من مسراك فى وهل * مبرأ العزم من أين ومن كسل
وسرت فى جحفل يهدى فوارسه * سناك تحت الدجى والعارض الهطل
والبدر محتجب لم تدر أنجمه * أغاب عن سرر أم غاب عن خجل
هوت أعاديك من سار يؤرقه * ركض الجواد وحمل اللامة الفضل
اذ الملوك نيام فى مضاجعهم * مستحسنون بهاء الحلى والحلل
لله صومك برا يوم فطرهم * وما توخيت من وجه ومن عمل
نحرت فيه الكماة الصيد محتسبا * وحسب غيرك نحر الشاء والابل
اذ اصرير المدارى هزهم طربا * ألهاك عنه صرير البيض والاسل
وان ثنتهم عن الاقدام عاذلة * مضيت قدما ولم تأذن الى العذل
كم ضم ذا العيد من لاه به غزل * وأنت تنشد أهل اللهو والغزل
فى الخيل والخافقات البيض لى شغل * ليس الصبابة والصهباء من شغلى
طلات يومك لم تنقع به ظمئا * وظل رمحك فى عل وفى نهل
وكلما رامت الروم الفرار أتت * من كل أوب وضمتها يد الاجل
فصار مقبلهم نهبا ومدبرهم * وعاد غانمهم من جملة النفل
فكم فككت من الاغلال عن عنق * وكم سددت بهذا الفتح من خلل
أنت الامير الذى للمجد همته * وللمسالك يحميها وللدول
وللمواهب أو للعظ اغلة * مالم تحن الى الخطية الذبل
لمزدلى لواء كان يرفعه * مناسب كالضحا والشمس فى الحمل
الجابرين صدوع المعتفى لهم * والكاسرين الظبا فى هامة البطل
والعادلين عن الدنيا ونضرتها * والسالكين على الاهدى من السبل
خير التبابع والاذواء من يمن * الغالبين على الآفاق والملل
يسود فى آخر الاعصار آخرهم * وساد أولهم فى الاعصر الاول
ياأيها الملك المرهوب صولته * والمرتجى غوثه فى الحادث الجلل

من كابد العدم لم يكمل له أمل * والعدم من أقطع الاشياء بالامل
لولاه لم تبت الاشعار مرسلة * عنى وحقك لا نقضيه بالرسل
فاصفح لعبدك يامولاى مغتفرا * ما كان من خطا أو منطق خطل
بقيت للدين والدنيا تحوطهما * اذا حلا الغمض فى الاجفان للمقل

(وكتب الى الوزير الكاتب أبى جعفر بن مسعدة) سيدى الاعلى وعلق الاغلى وذخرى الاجلى أطال الله بقاءك محسود الجناب محمود المقام والمناب من كرم دام عزك خيمه وشرف حديثه وقديمه أمطر قبل ان يستبرق وأثمر قبل ان يستورق وأقبل دون ان يستقبل واحتمل قبل ان يستحمل سجية نفس توّاقة الى الحسنى نزاعة الى الاعلى من النحاز والاسنى وكانت لك أعزك الله فى جاى مجالس ومشاهد ومصادر وموارد وصلت بها جناحى ومددت أوضاحى ونبهت من ذكر البيت فأثقلت ظهرى وأوجبت على الشكر دهرى وما تأخرت عن حضرتك لامحالة عزتك وقاضيا حق مبرتك الاعن حال لا تعين على الترحال فعذرا عذرا وغفرا غفرا وعندى ودّ كماء المزن وثناء كروض الحزن جزاك الله ياسيدى جزاء الواصل وقد قطع الالمام المواصر وخولت الايام الناصر ولست أجدد الرغبة اليك فى شئ من أمرى جار على الكريمتين يديك قبل الهزفريت وقبل النزول بساحتك قريت وان مننت بالمراجعة شفعت المكارمة بالمكارمة وأتبعت المساهمة بالمساهمة وتطوّلت ان شاء الله والسلام العاطر الناضر عليك ورحمة الله (وكتب الى أحد اخوانه شافعا لرجل يعرف بالزريزير) ياسيدى الاعلى وعلق الاغلى وشهابى الاجلى ومن ابقاه الله والامكنة بمساعيه فسيحة والالسنة بمعاليه فصيحة موصله وصل الله جذلك حيوان يصفر كل أوان ويسفر بين الاخوان رقيق الحاشية أنيق الشاشية يعتمد على كدواء ويستمع بجدواء ينظر من عين كأنها عين ويلقط بمنقار كأنه من قار أطبق على لسانه تخاله اغريضة فى ثوب احريضة يسلى المحزون بالمقطع والموزون وينفس عن المكظوم بالمنثور والمنظوم مسكى الطيلسان تولد بين الطائر والانسان كما سمعت بسمع الفلاة وعمرو بن السعلاة قطع من منابت الربيع الى منازل الصقيع ومن مطالع الزيتون الى مواقع السحاب الهتون فصادف من الجليد ما يذهب قوى الجليد ومن

البرد مالايدفعه ريش ولابرد والحدائق قدغمضت أحداقها وانحسرت أوراقها والبطاح قدقيدت الفور بحبائل الكافور وأوقعت الصرد فى شباك الصرد فنى البائس بمالم يعهده كاوسم بالزرزور ولم يشهده ولما فال رأيه وأخفق أوكادسعيه التفت الى عطفة أشمط والى أديمة أرقط فساح ثم سوّى الجناح وقدنكرمزاجه ونسى ألحانه وأهزاجه ولاشك انه واقع بشنائك وراشف من انائك آمل حسن ثنائك واعتنائك وأنت بارق ذلك العارض ورائد ذلك الانف البارض تهيئ له حبا يجزيك عنه ثناء جميلا رحبا وقد تحفظ ياسيدى رسائل عذاب تسام بها أهل الآداب سوء العذاب ويدعى البطىء منهم الى الاهذاب (بسيط)

وابن اللبون اذا مالزفى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

واذا ألقى كتابى اليك يفسر هذه الجملة عليك لازلت منافسا فى العلوم آسيا للاحوال والكلوم ان شاء الله عزوجل وهو المستعان والسلام عليك ورحمة الله (ومن كلامه) فى مقامة انشأها فى الامير تميم بن يوسف أيده الله ووصلها بالقرطبية أولها قال فلان بن فلان ولما اجتليت مانصه واستوفيت ماقصه قلت أحق منزل بترك فحثت الى الرواحل لاطوى المراحل آمل كعبة الآمال وقبلة الامال فبينا أنا أسير وقدلظى الهجير ولاقعيد ولاناطح الاالآكام والاباطح ولاسانح ولابارح الاالآل والبارح اذ رفع لى شخص يقربه ذميل ونص واذا فتى عليه برة تشهدله بالعزة يركب وجناء كأنها سبيكة لجين قد أخلصتها يد القين ويجنب دهماء تسبح سبحا وكانما بالليل يبارى صبحا فلما دنا وقف فطرف ووضع من لثامه وأوجز فى سلامه فرددت كمايرد العجل وتوقعت فوته فقلت من الرجل فقال (كامل)

انى امرؤ لايعترى خلقى * دنس يفنده ولا أفن

من منقر فى بيت مكرمة * والاصل ينبت حوله الغصن

فصحاء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن

لايفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

قلت فى كل عود نار واستمجد المرخ والعفار لله أنت فما أصون جارك وأكرم نجارك لم تدب الضراء ولم تمش الخمراء فالتفت نحوى عرضا قائلا النبع يقرع

بعضه بعضا ثم أداه الاهتبال الى السؤال فقال أين أمك وما همك قلت غرناطة فقال حيث الامة المشفقة المناطة والسدى والندى والاتجاد والانجاد والاصراخ والانجاد والغور والنجاد أكرمت فارتبط قلت وما عملك بها قال هي المطلع واليها بحول الله المرجع قلت دنا مرادك وأجنى مرادك وتمثلت فقلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها ففهم النزعة فقال سل عما بدالك على الخبير سقطت (طويل)

فأقبلت في الساعين أسأل عنهم * سؤالك بالشيء الذي أنت جاهله

قلت فسطاطها فقال قصور تقرلها ارم بالقصور وسور أعين الحوادث عنه صور كأنه الثغر المبتسم والسلك المنتظم ومن شعره فيها (متقارب)

فتى الخيل يقتادها ذبلا * خفافا تبارى القنا الذابلا
ترى كل أجرد سامى التليل * تحسبه غصنا مائلا
وجرداء ان أوجست صارخا * تذكرك الظبية الخاذلا
اذا شنهن بأرض العدا * يصير عاليها سافلا
ولم أدر بدر تمام سواه * يسمونه الاسد الباسلا
أقام العجاج سماء عليه * وأقسم أن لا يرى آفلا
ولم نصرف الهول همانه * ومن يصرف القدر النازلا

* (الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان رحمه الله تعالى) *

من بلغت همته السماء وجلت أسرته الظلماء له الرتب المكينة وعليه الوقار والسكينة أخدم يراعه العوالى واستخدم الاحرار والموالى وأقام بدولة آل ذى النون وأقعد وتبوأ سماكها واقتعد فسما به قدرها وهمى بسببه قطرها وحسنت سيرها وأمنت غيرها وحمدت أيامها ووردت جمام الاماني خيامها وله أدب غض المقاطف رطب المعاطف ان نثر فالنجوم في أفلاكها أو نظم فالجواهر في أسلاكها قد أخذ بمجامع القلوب كله وأغذ في طرق الابداع قله وقد أثبت له ما تستهديه زهرا وترتديه بردا محبرا (فمن ذلك) قوله يخاطب أبا عيسى بن لبون (وافر)

أباعيسى أتذكر حين كنا * على هام الكواكب نازلينا
ندوس بخيلنا زهر الثريا * ونوردها المجرة ان ظمينا

ونتزل جبهة الاسد اعتسافا * اذا ما البدر مرّ بها كمينا
ونطرق هودج العذراء وهنا * فندخله عليها آمنينا
اذا عنت لنا الجوزا مددنا * لحل نطاقها منا يمينا
وان عرضت لنا كف الثريا * سلبناها الخلاخل والبدينا
اذا ما غار من ددنا سهيل * على الشعرى نخلت به حنونا
تجاوزنا العبور الى العميصا * ولم نرهب شجاعهم المبينا

(وله) مراجعا الى الحاجب ذى الرياستين أبى مروان بن رزين رحمه الله (بسيط)

يا ابن الملوك أتتنى عنك معجزة * تنأى وان قربت فى عين رائيها
يشتق سامعها من جيبه طربا * ويسمع الصخرة الصماء راويها
لو أن هاروت هم لاحت لناظره * لقال ما السحر الا بعض ما فيها
سماءة هى لا بل روضة رشفت * ماء الغمامة فاخضرت حواشيها

ومن بديعه الحسن ومطبوعه المستحسن هذه القطعة يخاطب بها القادر بالله يحيى بن ذى النون رحمه الله (كامل)

خطبت بسبق فى الزمان براءة * سجدت الى كفى وصلى المنصل
أولست من وطئ السماء تأودا * وسما فقد سفل السماك الاعزل
أغشى العوالى والمعالى بأسها * وأقول فى الخطب البهيم فأفصل
ومتى أعد لبلا لنهار صحيفة * وضحت كواكبه عليه تهلل
واذا أجلت جياد فكرى فى مدى * سبقت فكبر حاسدون وهللوا
رمدت عيون الحاسدين أما ترى * قمر العلا والمجد ليلة يكمل
ما الذنب عندهم ودونك فاخبرن * الا هوى بالمكرمات موكل
همم الى صرف العلا مصروفة * وحجى أقام وقد تزحزح يذبل
وبلاغة بلغت بآفاق الدنا * وغدت تحية من يقيم ويرحل
ولئن يضع فضلى ويذهب نقصهم * صعدا فأرجح كفة من يسفل
فلأغشين الحادثات بصارم * خدم غراره حريق مشعل
وبصيرة تذر العقول لوائحا * فكأنها فى كشفهن سجنجل
ومشرب كالنار ان يذهب به * حضر وان يسكن فماء سلسل
نهد اذا استنهضته للملة * أعطاك عفوا عدوه ما تسأل

قيد الاوابد والنواظران بدا * قلت الجواد أم الحبيب المقبل
ومفاضة زغف كأن قتيرها * ماء الغدير جرت عليه الشمأل
تردالعوالى منه شرعة حتفها * وتعب فيه مناصل فتفلل
وعزائم بيض الوجوه كأنها * سرج توقد أو زمان مقبل
شيم عمرن ربوع مجد قد خلت * فأضاء معتكر وأخصب ممحل

(وكتب) الى الوزير أبى محمد بن القاسم كتبت وما عندى من الود أصفى من الراح وأضوأ من سقط الزند عند الاقتداح وليس فيما أدعيه من ذلك لبس كيف وهو ما تجزى به نفس انفس فان شككت فيه فسل ما تنطوى لى جوانحك عليه أو اتهمته فارجع الى ما أرجع عند اشتباه الامر اليه تجده عذبا قراحا سائل الغرة تياحا ولم لا يكون ذلك وبيننا أذمة تجل أن تحصى بالحساب بيض الوجوه كريمة الاحساب لو كانت نسيما لكانت بليلا أو كانت زمانا لم تكن الا سحرا أو أصيلا (فراجعه أبو محمد برقعة فيها) كتبت عن ود لا أقول كصفو الراح فان فيها جناحا ولا كسقط الزند فربما كان شحاحا ولكن أقول أصفى من ماء الغمام وأضوأ من القمر متوفى التمام (فراجعه عنها) كتبت أدام الله عزك عن ود كماء الورد نفحة وعهد كصفائه صفحة ولا أقول أصفى من صوب الغمام فقد يكون معه الشرق ولا أضوأ من قمر التمام فقد يدركه النقص و يمحق وليس ما وقع فيه الاعتراض مختصا بصفو الراح ولا بسقط الزند عند الاقتداح فان أمور العالم هذه سبيلها وجياد الكلام تجول كيف شاء مجيلها وانما نقول ما قيل ونتبع ما أجاد التحصيل وحسن التأويل فنستعير ما استعاروا ونسير من التمليح فى القول الى ما ساروا وبين أنا لم نرد من الراح الجناح ولا من الزند الشحاح ولا من ماء الورد ما فيه من مادة الزكام ولا زيادة فى بعض الاسقام (وله متغزلا) وهو مما تبوأ فيه الاحسان منزلا (بسيط)

ياضرة الشمس قلبى منك فى وهج * لو كان بالنار لم تسكن ذرى حجر
أبيت أسهر لا أغفى فان سنحت * اغفاءة فكمثل اللمح بالبصر
اذا رأيت الدجى تعلو غواربها * والنجم فى قيده حيران لم يسر
أقول ما بال بازى الصبح ليس له * وقع وما لغراب الليل لم يطر
فان سمحت بوصل أو بخلت به * شكوت ليلى من طول ومن قصر

لا أفقد النجم أرعاه وارقبه * في الوصل منك وفي الهجران من قمر

(وله فصل من رقعة) عمادي الاعلى أعزه الله شهاب اذا أظلم أفق ووفاء اذا ضاع عند كريم حق لا جرم انه للسرو منار ولمسيل الصفو قرار به أنار ما أظلم واستكمل ما نقص من بهاء أدب واستتم هذا ولم يبلغ أشده ولا استوفى فيها كمال حده فكيف اذا أثمر زهره وأبدر قمره وتجاوز في الانتهاء رتبة وحاز الى الطبع الكريم دربة قسما ليحرزن المعالي وليخدمن اليراع العوالي وان أبى ذلك آب أو نبا فيه عن فهم الحقيقة ناب ومجمله أنا ان لم أراجعه عما نبه به أسعدى واثقب بتواخي الفضل منه ازندى فلان القلم جمح في ميدان ما شرع والكلم تعلق بافنان ما اخترع فكان كالزهرة قطفت من رياضه والنغبة ارتشفت من حياضه ومحال ان أدعي معه صناعته أو أهدي اليه بضاعته وله متغزلا (كامل)

نفسي فداك وعدتني بزيارة * فظللت أرقبها الى الامساء
حتى رأيت قسيم وجهك طالعا * لم تنتقصه غضاضة استحياء
فعلمت أنك قد حجبت وأنه * لوراء وجهك ما سرى بسماء

(وله) الى أبي أمية ابراهيم بن عصام يعرّض بأحد الملوك رحمهم الله (منسرح)

امر ربقاضي القضاة ان له * حقا على كل مسلم يجب
وقل له ان ما سمعت به * عن سر من راء كله كذب
قد غرّني مثل ما غررت به * فجئته يستحثني الطرب
حتى اذا ما انتهيت صرت الى * سراب قفر من دونه حجب
وملة للسماح ناسخة * لها نبيّ الهه الذهب

(وله) الى أبي أمية وقد كتب اليه عين زمانه فوقعت نقطة على العين فتوهمها واعتقدها وعدّدها وانتقدها (كامل)

لا تلزمني ما جنته براعة * طمست بريقتها عيون ثنائي
حقدت على لزامها فتحولت * أفعى تمج سمامها بسخاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر براعة واناء

(ذو الوزارتين أبو الحسن بن الحاج رحمه الله)

شيخ الجلالة وفتاها ومبدأ الفضائل ومنتهاها مع كرم كانسجام الامطار وشيم

كالنسيم المعطار أقام زمناعلى المدامة معتكفا ولثغور البطالة مرتشفا لايغدو الا ثملا ولايروح الا بنشوة مشتملا وجوده أبداهاطل وجيده الامن المعالى عاطل ثم فاء عن تلك الساحة واختار تعب النسك على تلك الراحة فراح حليف خشوع وأصبح بين سجود وركوع وله شعر له فى النفس شروق وكان الحسن منه مسروق وقد أثبت منه أنواعا يضم عليها الاستحسان جوانح واضلاعا ويحلها من تجويده منازل ورباعا (أخبرنى الوزير) أبو عامر بن بشتغير أنه حضر معه فى مجلس ابن لبون فى يوم صرف عنه الزمان صرفه وغمض فيه الحدثان طرفه وزفت اليه الامانى أبكارها وأطلعت عليه شموسها وأقمارها وهزت فيه المدام أعطاف ندامه وصار السعد من خدامه وذو الوزارتين أبو الحسن بن الحاج قد نسك وعف وأمسك عن الشهوات وكف ولم تبق فيه للطرب الا بقية لاتقبل انسا ولا تستحسن من أجناس اللهو جنسا فحياه فتى وسيم بكاس متمسكا عليه ومتواقعا وطامعا أن يخرق من توبته ما غدا له راقعا وأطمعه بفتور لحظ حسب أنه يفتنه وتثور فيه فتنه فأعرض عنه اعراض زاهد غير كلف بالمحاسن ولا واجد وقال (كامل)

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبذل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أومى الى بكاسه فرددتها * ودنا فشفعها بلحظة مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع
لذهبت من تلك السبيل بمذهبى * فيما مضى ونزعت فيه منزعى

وله فى أبى أمية بن عصام (كامل)

لى صاحب عميت على شؤنه * حركاته مجهولة وسكونه
يرتاب بالامر الجلى توهما * واذا تيقن نازعته ظنونه
مازلت أحفظه على شرفى به * كالشيب تكرهه وأنت تصونه

وله فى ذلك اليه (منسرح)

أسهر عينى ونام فى جذل * مدرك حظ سعى الى أجل
دنياه مقصورة عليه فما * يطويها طائر لذى أمل
قد لفقت بالمحال فاجتمعت * من خدع جمة ومن حيل

كم محنة قد بليت منه بها * وهو يرى انها يد قبلى

وله فى ذلك (وافر)

أخ لى كنت آمنه غرورا * يُسرّ بما أساء به سرورا
هو السم الذعاف لشاربيه * وأن ابدى لك الارى المشورا
ويوسعنى اذى فأزيد حلما * كما جذ الذبال فزاد نورا

وله فى الغزل (خفيف)

من عذيرى من فاتر ذى جفون * صلن فى صولة القدير الضعيف
علق مجد علقته وقديما * همت بالحسن فى النصاب الشريف
يطلع الشمس فى المساء ويهدى * زاهر الورد فى زمان الخريف
يامديرا من سحر عينيه خمرا * آناما آدرت جد نزيف
علل المستهام منك بوعد * واليك الخيار فى التسويف

وله فى مثل ذلك (سريع)

آه لما ضمت عليه الجيوب * من زفرات وقلوب تذوب
جاء بى الحب الى مصرعى * فى طرق سالكها لا يؤوب
واستلبت عقلى خمصانة * نابت مناب الشمس عند الوجوب
يسحرنى منها اذا كلمت * وجه مليح ولسان خلوب
تقول ان أشكو اليها الهوى * سبحان من ألف بين القلوب

وله فى مثل ذلك (طويل)

أزورك مشتاقا وأرجع مغرما * وأفتح بابا للصبابة مبهما
أمدعى السقم الذى آدجله * عزيز علينا أن تصح وتسقما
منعت محيا منك أيسر لحظة * تبل غليل الشوق أو تنقع الظما
وما ردّ ذاك السجف حين رميته * عن القلب سهما من هواك مصمما
هوى لم تعن عين عليه بنظرة * ولم يك الا سمعة وتوهما
وملتقطات من حديث كأنما * نثرن به سلك الجمان المنظما
دعون اليك القلب بعد نزوعه * فأسرع لما لم يجد متلوما

وله الى القاضى أبى أمية (طويل)

تقلص ظل منك وازور جانب * وأحرز حظى من رضاك الاجانب

وأصبح طرفا من صفائك مشربى * وأى صفاء لم تشبه الاشائب
رويدا فلى قلب على الخطب جامد * ولكن على عتب الاحبة ذائب
وحسبك اقرارى بما أنا منكر * وانى مما لست أعلم تائب
أعد نظرا فى سالف العهد انه * لأوكد مما تقتضيه المناسب
ولا تعقب العتبى بعتب فانما * محاسنها فى أن تتم العواقب
وأغلب ظنى أن عندك غيرما * ترجمه تلك الظنون الكواذب
لك الخير هل رأى من الصفح ثابت * لديك وهل عهد من السمح آيب
يحث ركابى أننى بك هائم * ويثنى عنانى اننى لك هائب
وان سؤتنى بالسخط فى غير معظم * فها أنا منك اليوم نحولك هارب

(وله الى ذى الوزارتين أبى بكر بن رحيم) فى محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة (منسرح)

يادوحة ما يريمها ثمر * وروضة كل نبتها زهر
يا مزنة لا تغب نافعة * والمزن فى طول صوبه ضرر
يا منهلا قد صفا فلا كدر * يصد عن ورده ولا خطر
يا عصرة المرتجين لا عصر * يوجد فى حادث ولا اسر
برك ذاك الخفى أثقلنى * وحمل ما لا أطيقه خطر
فلتعفنى من نداك تتبعه * حسبك ما لقيت يا عمر
قد ذهبت جملة الوفاء فما * فى الناس خبرلها ولا خبر
وصرت فى معشر حقودهم * تبدو اذا كلموك أو نظروا
بنى رحيم ركبتم سننا * فى المجد لا يقتفى له أثر
كل أفانين بركم عجب * وكل أيام دهركم غرر

وله (كامل مجزوّ)

عجبا لمن طلب الحما * مد وهو يمنع ما لديه
ولباسط آماله * فى المجد لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويحمدنى عليه

(وله رمل)

كل من تهوى صديق محض * لك مالاتتقي أو ترتجي
فاذا حاولت نصرا أو جدا * لم تقف الا بباب مرتج

وله يتغزل (طويل)

وبيضاء ينبو اللحظ عند التفاتها * وهل تستطيع العين تنظر فى الشمس
وهبت لها نفسا على كريمة * وقد علمت ان الضنانه بالنفس
أعالج منها السخط فى حالة الرضا * ولا أعدم الايحاش فى ساعة الانس

وله مع تفاح أهداه (وافر)

بعثت بها ولا آلوك حمدا * هدية ذى اصطناع واعتلاق
خدود أحبة وافين صبا * وعدن على ارتماض واحتراق
فحمر بعضها خجل التلاقى * وصفر بعضها وجل الفراق

وله فى زرزور (كامل)

يارب أعجم صاح لقنته * طرف الحديث فصار أفصح ناطق
جون الاهاب أعير فوه صفرة * كالليل طرزه وميض البارق
حكم من التدبير أعجزت الورى * ورأى بها المخلوق لطف الخالق

وله يعاتب المعتمد بن عباد لما أجرى مرتبه على يد ابن ماض (وافر)

عدمت بصيرتى وسداد رأيى * ولوعا بالحديث المستفاض
وصرت مؤملا أملا لحص * وورود الهيم مسفرة الحياض
وردناها فألفينا أمورا * مصرفة على رأى ابن ماض
كأن رئيسها الاعلى يتيم * يدور عليه منه حكم قاض
وان من الغرائب أن مثلى * يحل بهم فيرحل غير راض

وله عند انفصاله من اشبيلية (طويل)

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف فى آل عباد
أقمت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وله (بسيط)

كم بالمغارب من اشلاء محترم * وعاثر الجد مصبور على الهون
أبناء معن وعباد ومسلمة * والحميريين باديس وذى النون
واحوالهم فى هضاب العزابية * وأصبحوا بين مقبور ومسجون

وله (طويل)

كفى حزناً أن المشارع جمة * وعندي اليها غلة وأوام

ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وله يتغزل في معذر (متقارب)

اباجعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد

وقد كان ينبت زهر الرياض * فاصبح ينبت شوك القتاد

ابن لي متى كان بدر السما * يدرك بالكون أو بالفساد

وهل كنت في الملك من عبد شمس * فأخفى عليك ظهور السواد

وله يتغزل (كامل)

ومعذر رقت محاسن وجهه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق

لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه صباغها الاحداق

(ابنه ذو الوزارتين أبو محمد رحمه الله تعالى)

له بدائع ما أنست الاعطاف مستعذبات الجنى والقطاف تتنسم ازاهر كمام وتتوسمها بدر غمام وترودها روضة ممطورة وتراها على الاعجاز مجبولة مفطورة وتخالها كواعب في خيام الافهام مقصورة وتنسيها اليك افنانا بأيدي الاذهان مهصورة مع تفاوت معلواته وتهافت أدواته وكرمه المنسجم الغمائم وهممه السامية مذ نيطت عليه التمائم فمن ذلك رقعة خاطبني بها ياسيدي ابا النصر أعلى العصر منى الوزارة وسنى الامارة كيف أساجلك في الادب وانت تملا الدلو الى عقد الكرب وأنا امتاح من وشل وأستنجد بفشل وأستعين بنفس قد شعب الدهر اجتماعها وقصر باعها وأخملها عظيمة كريمة عند ما أظهر سواها لئيمة ذميمة وهي الايام جرتها الكرام ولا أبعد وأنت الماجد الاصيد تخالفك فيما تعد والدول تتقول لو حلى عاطل أجيادنا وتولى تصريف انجادنا وجيادنا لكان اشراقنا بروق كما طلعت البروق فهي تعترف والحظ لا ينصف وعساها تلين ولعل لى اسعادها يبين فتستنجز للحظوة وعدا ونرد لنداء الماء عدا ان شاء الله (ووافيت بالمنية) صادرا عن سرقسطة فكتب الى مستدعيا فسرت الى مجلس منضد بالآس مشيد بالايناس معزز الجلاس معطر الانفاس فتنا ندير الانس وتتعاطاه وقد وسد السرور خدودنا ابردى ارطاه فلما كان

من

من الغد كتب الى * واحدى أبا النصر مثنى الوزارة كيف استسقى لموضع احتلالك وحسبه صوب نوالك وامترى الغمام لمنازلك وكفاها فيض أناملك ترسل من نوافلها دررا وتنظم فى لبات الزمان من محاسنها دررا قسما الولا وقفة حنت عليها من وداعك عطفة انتهزتها مولعا بجلالك صبا وقد يؤخذ العلق الممنع غصبا ما لاح للانس علم ولا سكن لنوالك ألم فانما ألمعت بساعات قربك الماعا ملأت بها عيونا وأسماعا ومددت فيها للادب والبحث باعا وساعا لم تقتح جفنها حتى جعلت تسلمها وداعا فلئن رحلت فان هذه نفوس تشيع وقلوب تذوب فتدمع وما هى أبا نصر الا بديهة خاطر فى التعرض لك مخاطر ارجو لكف شباة نقدك عنها فضل ودك ولمأمول اغضائك باهر علائك فلا زالت حلالك رائقة وعلالك شائقة ان شاء الله

(الوزير الكاتب أبو محمد بن عبدون رحمه الله تعالى)

منتمى الاعيان ومنتهى البيان المطاول لسحبان والمعارض لصعصعة بن صوحان الذى أطلع الكلام زاهرا ونزع فيه منزعا باهرا نخبة العلاء وبقية أهل الاملاء الشامخ الرتبة العالى الهضبة الذى فاق الافراد والافذاذ ومشى فى طرق الابداع الوخد والاغذاذ وراقت رقة ما يحويه العراق وبغداذ له الادب الرائق البهج والمذهب العاطر الاريج فاز بمقاد الانتقاد وأمسك عن عنان الافتنان وقد أثبت له من البدائع الروائع ما هو أصفى من ماء الوقائع وأبهى من الشمس فى المطالع حللت يابرة فأنزلنى واليها بقصرها ومكننى من جنى الامانى وهصرها فأقت ليلى أجر على المجرة ذيلى وتطارد فى ميدان السرور خيلى فلما كان من الغد باكرنى الوزير أبو محمد مسلما ومن تنكبى عنه متألما ثم عطف على القائد عاتبا عليه فى كونى لديه ثم انصرف وقد أخذنى من يديه فحللت عنده فى رحب وهمت على من البر أمطار سحب فى مجلس كان الدرارى فيه مصفوفة أو كان الشمس اليه مزفوفة فلما حان انصرافى وكثر تطلعى الى قيامى واستشرافى ركب معى الى حديقة نضرة مجاورة للحضرة فأنخنا عليها أيدى عيسنا ونلنا منها ما شئنا من تأنيسنا فلما امتطيت عزمى وسددت الى غرض الرحلة سهمى أنشدنى (طويل)

سلام يناجى منه زهر الربا عرف * فلا سمع الا ودّ لو أنه أنف

حنيني الى تلك السجايا فانها * لآثار أعيان المساعي التي أقفو
دليلي اذا ماضل في المجد كوكبي * وان لم يعقه لا غروب ولا كسف
نأى لا نأى عهد التواصل بيننا * فجدّ به رسم التواصل لا يعفو
وأطلعه يستام العقول كأنما * يلاحظنا من كل حرف له طرف
تقابلنا منه السطور بواسما * أثغر تفترّ عن لمى الخبرام حرف
معان وألفاظ كمارق زاهر * من الروض أو دارت معتقة صرف
تحل حبا الاحلام هزا كأنما * لسامعها في كل جارحة عطف
يودّ بجدع الانف شانيك أنها * لناظره كحل وفي اذنه شنف
فأنت الذي لولاه مافاه لي فم * ولا هجست نفس ولا كتبت كف
نصيري أبا نصر على الدهر لا النوى * فمنك لنا نصر وأنت لنا كهف
رحلت ولا شسعي ولا مركبي معي * فلا حافر يقضي ودادي ولا خف
ولست على التشييع ان سرت قادرا * فلا عيشة تصفو ولا ريشة تضفو
عزيز على الدنيا وداعك لي غدا * فلا أدمع تهمي ولا أضلع تهفو
سأشكو اليك البين حسبي وباله * ولو غيره ماضاق عدل ولا صرف
اقلني بلى أشكو اليك لياليا * مضت وعلى اظفارها من دمي وكف
وان حبيبا بنت عنه لعاطل * وان عرينا غاب عنك لمنتف

وله (متقارب)

سقاها الحيا من مغان فساح * فكم لي بها من معان فصاح
وحلي أكاليل تلك الربا * ووشي معاطف تلك البطاح
فما أنس لا انس عهدي بها * وجرّي فيها ذيول المراح
ونومي على حبرات الرياض * يجاذب بردي مرّ الرياح
بحيث لم أعط النهى طاعة * ولم أصغ سمعا الى لحي لاح
وليل كرجعة طرف المريب * لم أدرك شفقا من صباح

وله (وافر)

أخلائي وفي قرب الصدور * ظبا تمضي على قمم الدهور
وقد ضمت جوانحنا قلوبا * أبت غير القبور أو القصور
اذا الكرماء باتت تحت ضيم * فما فضل الكبير على الصغير

فقبل أبي الدنية قيس عبس * ولم يصغي الى قول العشير

وله (متقارب)

وما أنس ليلتنا والعنا * فقد مزج الكل منا بكل
الى ان تقوس ظهر الظلام * واشمط عارضه واكتهل
ومس رقيق رداء النسيم * على عاتق الليل بعض البلل

وله (كامل)

هل تذكر العهد الذى لم أنسه * ومودتى مخدومة بصفاء
ومبيتنا فى نهر حمص والحبا * قد حل عقد حبابها بالصهباء
ودموع طل الليل تخلق أعينا * ترنو الينا من عيون الماء

وله (طويل)

وما أنس بين النهر والقصر وقفة * نشدت بها ما ضل من شارد الحب
رميت بعينى رمية جحت بها * فلم انتهى الا ومجروحها قلبى

وله (وافر) أقول لصاحبى قم لا بأمر * تنبه ان شانك غير شان
لعل الصبح قد وافى وقامت * على الليل النوائح بالاذان

وله (طويل)

مررت على الايام من كل جانب * أصعد فيها تارة وأصوب
ينبرنى الثغران صبح وصارم * ويكتمنى القلبان ليل وغيهب
وقد لفظتنى الارض الا تنوفة * يحدثنى فيها العيان فيكذب

وله والقسم الاول للمتوكل بن الافطس (مجتث)

الشعر خطة خسف * لكل طالب عرف
للشيخ عيبة عيب * وللفتى طرف ظرف

(وكتب) الى مراجعا قد رمانى على فوت من بيانى بيانك وقد تولى احسانى وارجحن احسانك بعينين من النظم والنثر نجلاوتين لو رمقهما النوء الثريا لتهلل برقها واستهل ودقها وفصلين من در وياقوت بل أصلين من سحر هاروت وماروت اذا لحت النثر قلت لو نظم هذا الفسد واذا تصفحت النظم قلت لو نثر هذا التبدد ولئن أشرعت الى من البيان رمحا فيه نصلان ما من طرف به الا عاليه ركب فيه سنان قاض ولا من شفرتية الافاريه لا يثبت لها جنان ماض

وقابلتني من كتائب الكتابة ومقانب الخطابة بطفيلها وبابنه عامر قائد خيلها وبابي براء ملاعب أسنتها وبابن الصماء صاحب أعنتها ودريدها عن نقيبه وزفرها كثرة تعدد منه وكتيبه فالى أي لامة تستدر ماحك وعلى أي هامة تجرد صفاحك هل تجد الامن يمر بين يديك في شخص ضئيل وينظر اليك من طرف كليل وهل تحس الاضلوعا من ساكنيها اقفارا أو دموعا من التأسف على التخلف حوارا ولا تستعد الابالتسليم لسبقك والتعظيم لحقك انصارا بأدنى لمحة من شررمنك أو نظيم فيرد من الاوهام والافهام كل لفحة ولوكانت من نار ابراهيم وتركد من البصائر والخواطر كل نفحة ولوكانت من الريح العقيم دع ذا وعد القول في هرم هذا الزمان معلي همم الاعيان جمال الدين والدنيا الرئيس الاسنى أبي يحيى وأقسم بمساعيه العظام وأياديه الجسام المحلية لاعناق الكرام المزرية باطواق الحمام لقد نشرت عليه ثوب احسان تقصر عنه صنعة قس وسحبان وانه لا بصر بكرامة الضيفان من زرقاء اليمامة بعسكر حسان واما ذلك المصحف المبدل للمعاني والاغراض المقابل لما لا يفهمه بالاعتراض فالحساب لما طن الذباب اذا طن لا يتساوى به بصفيره العصفور فكيف يجاوبه بزئيره الليث الهصور ولولا عريت الزمان بذكره وتلويث الاوانى بقبائحه ونكره لا ريتك من خطله وزلله ما يضحك الثكلى ويستدرك به الجاحظ باب النوكى دع عنك رواحل الضليل والاشتغال بالاباطيل من الاقاويل بل ألحق الله ثانية ابن أبي سلمى بخيار أهل ملته فلقد انتفع السلف والخلف بحكمته ونادى عليه بلسان لزمان فأسمع من كانت له اذنان وكانه ما عنى غير ذلك الانسان وان كان في غير هذا الاوان (طويل)

وذي خطل في القول يحسب أنه * مصيب فما يلمم به فهو قائله
عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

وفي القطر الذي انت فيه أدام الله بسطة ناصره وحاميه ووصل عزة حاضره وباديه شرف قديم وسلف كريم وآداب وعلوم وألباب وحلوم وأودية يجتابها الفضل والطول عذاب واندية ينتابها القول والفعل رحاب وعليك سلام الله مالاح شهاب ووكف سحاب

(الوزراء بنو القبطرنية من أهل بطليوس)

هم للمجد كالاثافي وما منهم الاموفور القوادم والخوافي ان ظهروا زهروا

وان

وان تجمعوا تضوّعوا وان نطقوا صدقوا ماؤهم صفو وكل واحد منهم لصاحبه كفو أنارت بهم نجوم المعالى وشموسها ودانت لهم أرواحها ونفوسها ولهم النظم الصافى الزجاجة المضمحل العجاجة وقد أثبت منه ماينفح عطرا ويسفح قطرا فمن ذلك ما كتب به الىّ أبو محمد منهم (طويل)

ابا النصر انّ الجدّ لاشك عاثر * وان زمانا شاء بينك جائر
فلا توجت من بعد بعدك راحة * براح ولا حنت عليها المزاهر
ولا اكتحلت من بعد نأيك مقلة * بنوم ولا ضمت عليها المحاجر
ولى رغبة جاءتك وهى مدلة * تسوق اليك الحمد وهو أزاهر
لتعلم أنى عن جوابك عاجز * ومعتذر فيه فقل أنا عاذر
وكيف اجارى سابقا لم تقم له * هبوب الصبا والعاصفات الخواطر
اذا قيل من هذا يقولون كاتب * وان قيل من هذا يقولون شاعر
وان أخذ التحقيق فيه بحقه * وقيل ومن هذا يقولون ساحر
تشعك الالباب وهى أواسف * وتتبعك الالحاظ وهى مواطر

وله (كامل)

ياصاحبىّ تنبها المدامة * صفراء تجلى فوق كف أحور
واستقبلا برد النسيم وطيبه * تحت الدجى فوق الكثيب الاعفر
واستعملاها سكرة قروية * قبل الصباح وقبل صوت العصفر
فاليوم بين محدث ومخبر * وغدا ترى أحدوثة المستخبر

وله (رمل مجزوء)

يا خليلىّ لقلب * نيل من كل الجهات
ليم ان هام بريا * بالبنين والبنات
وبان صادته سمر * بين بيض خافرات
بلحاظ ساحرات * وجفون فاترات
وبجيد الظبية ارتا * عت فظلت فى التفات
وبعينى مغزل تر * عى غزالا فى فلاة
تمشى بين أترا * ب لها حور لدات
وعليها الوشى والخز وبرد الحبرات

راعها لما التقينا * مادرت من فتكات
عثرت ذعرا فقلنا * ولعا للعاثرات
ضحكت عجبا وقالت * لا تخص الفتيات
راجعيه ثم قولى * ائتنا فى السمرات
وارقب الاعداء واحذر * للعيون الناظرات
فاذا أعلق فيها النوم اشراك السنات
وعلا البدر جلابيب * لباس الظلمات
فاطرق الحى تجدنا * فى ظهور الحجرات
فالتقينا بعد يأس * بدليل النفحات
وتلازمنا اعتناقا * كالتواء الالفات
وبثثنا بيننا شجو * واكنفت الراقيات
وبردنا لوعة الحب بماء العبرات
ونشا غلنا ولم نعلم * بأن الصبح آت
وبدت منه تباشير * مشيب فى شيات

وله (طويل)

ومذكرة شيبى لعرفان مولدى * ترجع والاجفان ذات غروب
فقلت يسوق الشيب من قبل وقته * زوال نعيم أو فراق حبيب

وله يخاطب الوزير أبا محمد بن عبدون (بسيط)

يا خابط الليل فوق الفوق الجون * مسهد الجفن يحدو والبين بالبين
يكابد النوم قد مالت عمامته * أبلغ معطرة عنى ابن عبدون
مسكية ربعت فى حومل وشتت * بالجزع ما بين قيصوم ونسرين
وزارت الغور ممطورا وساربها * سارى الجنوب على أكناف دارين
تذكر العهد قد شدت أوائله * ورائه عن مطاعيم مطاعين
وتحمل الود قد صانت أواخره * اصالة من مناجيب ميامين
ورغبة تخجل العليا متوجة * اليك عن صاحب بالغيب مأمون

وله (وافر مجزوء)

اذا ما الشوق أرقنى * وبات الهم من كثب

فضضت الطينة الحمرا * عن صفراء كالذهب

(وله) في زوجه وقد أقلقه الحزن وتدفقت دموعه مثل المزن (بسيط مخلع)

يا كوكب أسعدا حزينا * اسهر ليل القريض عينه
يا ويلتي كان لي حبيب * فرق بيني المدى وبينه
أهون وجدي على نواه * وجد جميل على بثينه

وله فيها أيضا (وافر)

معاذ الله أن اسلو ببدر * وأن أصبو الى كاس وخمر
ولا لاراكة نهضت بحقب * ولا لروادف وهضيم خصر
ولا تفاحة طلعت بخد * ولا رمانة نبتت بصدر
وان ألهو من الدنيا بشئ * وأم الفضل يا أسفي بقبر

(وبات) مع أخويه في أيام صباه واستطابة جنوب الشباب وصباه بالمنية المسماة بالبديع وهي روض كان المتوكل يكلف بوافاته ويبتهج بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويقف عليه اغفاءه وسهره ويستفزه الطرب متى ذكره وينتهز فرص الانس فيه روحاته وبكره ويدير حمياه على صفة نهره ويخلع سره فيه لطاعة جهره ومعه أخواه فطاردوا اللذات حتى أنضوها ولبسوا برود السرور ومانضوها حتى صرعتهم العقار وطلحتهم تلك الاوقار فلما هم رداء الفجر أن يندى وجبين الصبح ان يتبدى هام الوزير أبو محمد فقال (خفيف)

يا شقيقي وافى الصباح بوجه * ستر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبح واغتنم مسرة يوم * لست تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال (خفيف)

يا أخي قم ترى النسيم عليلا * باكر الروض والمدام شمولا
في رياض تعانق الزهر فيها * مثل ما عانق الخليل خليلا
لا تنم واغتنم مسرة يوم * ان تحت التراب نوما طويلا

ثم استيقظ أخوهما أبو الحسن وقد ذهب عن عقله الوسن فقال (بسيط)

يا صاحبي ذرا لومي ومعتبتي * قم نصطبح خمرة من خير ما ذخروا
وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خمر ويبدو في غد خبر

وللوزير أبي بكر منهم مراجعالي (طويل)

الى الله مني ما لقيت برقعة * ورتني وأحت في ضلوعي مكاويا
أتتني أبا نصر وأنسي معرّس * عزائم عزت في نوالك عزائبا
بطرس وحبر رائقين تطلعا * من الحسن اسطارا فعدن افاعيا
لدغن فؤادي اذ بثثن لي النوى * فأصبحت لا ألقى لبيني راقيا
فهذي دموعي تستهل صبابة * ونفسي من وجد تحل التراقيا

وله يستدعي (متقارب)

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض خد الثرى قد بقل
لقدرين فاحا وثمامة * وابريق راح ونعم المحل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وله في مثل ذلك (متقارب)

هلم الى روضنا يازهر * ولح في سماء المنا ياقمر
هلم الى الانس سهم الاخاء * فقد عطلت قوسه والوتر
اذا لم تكن عندنا حاضرا * فما الغصون الاماني ثمر
وقعت من القلب وقع المنى * وحسنت في العين حسن الحور

وله الى الوزير أبي الحسن بن سراج بقرطبة يذكر له من اخوانه (كامل)

ياسيدي وأبي هدى وجلالة * ورسول ودي ان طلبت رسولا
عرج بقرطبة اذا بلغتها * بأبي الحسين وناده تمويلا
فاذا سعدت بنظرة من وجهه * فاهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوقي وشكري مجملا * ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كأنما * جرت على زهر الرياض ذيولا
وأشم منها المصحفي على النوى * نفسا ينسي السوسن المبلولا
والى أبي مروان منها نفحة * تهدي له نور الربا مطلولا
واذا لقيت الاخطلي فأسقه * من صفو ودي قرقفا وشمولا
وأبا علي بل منها ربعه * مسكا بماء غمامة محلولا
واذكر لهم زمنا يهب نسيمه * أصلا كنفث الراقيات عليلا
مولى ومولى نعمة وكرامة * وأخا اخاء مخلصا وخليلا
بالخير لاعبست هناك غمامة * الا تضاحك اذخرا وجليلا

يوما وليلا كان ذلك كله * سحرا وهذا بكرة وأصيلا
لا أدركت تلك الاهلة دهرها * نقصا ولا تلك النجوم أفولا

الحير الذي ذكره هنا هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة الذي يقول فيه أبو عامر بن شهيد (متقارب)

لقد أطلعوا عند باب اليهو * د شمسا أبى الحسن أن تكسفا
تراه اليهود على بابها * أميرا فتحسبه يوسفا

وهذا الحير من أبدع المواضع وأجملها وأتمها حسنا وأكملها صحنه مرمر صافي البياض يخترقه جدول كالحية النضناض به جابية كل لجة فيها كابية وقد قرنست بالذهب واللازورد سماؤه وتأزرت بهما جوانبه وأرجاؤه والروض قد اعتدلت أسطاره وابتسمت من كمائمها أزهاره ومنع الشمس أن ترمق ثراه وتعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه شهدت به ليالي وأياما كأنما تصورت من لمحات الاحباب أو قدت من صفحات أيام الشباب وكانت لابي عامر بن شهيد به فرج وراحات وغدوة وروحات أعطاه فيها الدهر ما شاء ووالى عليه العجو والانتشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه أليفي صبوة وحليفي نشوة عكفا فيه على جريالهما وتصرفا بين زهوهما واختيالهما حتى رداهما الردى وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا في الممات تجاورهما في الحياة وتقلصت عنهما وارفات تلك الفيئات والى ذلك العهد أشار وبه عرض وبشوقه صحح وما مرض حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه وأمر أن يدفن بازائه ويكتب على قبره (بسيط مخلع)

يا صاحبي قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود
فقال لي لن نقوم منها * ما دام من فوقنا الصعيد
تذكر كم ليلة نعمنا * في ظلها والزمان عيد
وكم سرور همى علينا * سحابة ثرة تجود
كل كأن لم يكن تقضى * وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
يا ويلنا ان تنكبتنا * رحمة من بطشه شديد
يا رب عفوا فأنت مولى * قصر في شكرك العبيد

(وله) يخاطب الوزير أبا محمد بن عبدون رحمه الله ويستدعي منه شوذانقا (طويل)

اغادية باتت مع الروض والتقت * على الغور ريح الفجر مرت بدارين
خطت فوق أرض من عرار وحبوة * وحطت بروض من بهار ونسرين
وباتت بوادي الشحر تحت ندى الصبا * الى الصبح فيما بين رش وتدخين
ومرت بوادي الرند ليلا فأيقظت * به نائمات الورد بين الرياحين
اذا ملت عن مجرى الجنوب فبلغي * سلامي مبلول الجناح بن عبدون
وبين يدي شوقي اليه لبانة * تخفق من قلب للقياه محزون
مضى الانس الالوعة تستفزني * الى الصيد الا انني دون شاهين
فمن به ضافي الجناح كأنه * على دستبان الكف بعض السلاطين
اذا أخذت كفاه يوما فريسة * فمن عقد سبعين الى عقد تسعين

وله يرثي زوجه (بسيط)

يا ربة القبر فوق القبر ذو حرق * يرثي له القبر من شجو ومن شجن
تباينت فيك أحوالي أسى فمضى * الى لقائك صبري طالب الوسن
وخالف القلب فيك العين من كمد * فاسود بالغم وابيضت من الحزن

(وله مراجعا لابي الحسن بن الرماد عن قطعة كتبها اليه من السجن) وذلك أن أهل أشبونة ثاروا بأبي زكريا يحيى بن تين ابراهيم وأضحوه من ظلالها ورموه بصائبات نبالها وانتزوا على أمير المسلمين فيها وغزوا واصلها وموافيها وأوقدوا نارا صلوا بحرها وأقاموا حربا عادوا وأغرقي بحرها وكان أبو الحسن من أصلهم فيها عودا وانقبهم بروقا وأصولهم رعودا فلما انجلى ليلها وتقلص ذيلها وظفر الامير رحمه الله ببطلهم ومقدامهم وأخذهم بنواصيهم وأقدامهم وعاقبهم على جرأتهم واقدامهم بعثه الامير الى بطليوس مصفودا ووجه اليه من النكايات وفودا فكتب الى أبي بكر يستريح من بثه ويريح نفسه بنفثه فراجعه. (طويل)

أتتني على رغمي فما شئت عبرة * أرشت بها عيناي طلهما وبل
ومن زفرة أمسكتها لو بعثتها * لذاب لها النكلان قيدك والقفل
تساوت بنا حال وان كنت سارحا * فداري بكم سجن ونعلي بكم كبل
عن المجد عاق الجل رجلك والعلا * كما حبست دون المدى السابح الشكل

ولا

ولاعجب ان ضمك السجن انه * لعمر العلا غمد وأنت له نصل

ولاخيه أبى الحسن (متقارب)

ذكرت سليمى وحرّ الوغى * كجسمى ساعة فارقتها
وأبصرت بين القنا قدّها * وقد ملن نحوى فعانقتها

(وركب الى سوق الدواب بقرطبة) ومعه أبو الحسين بن سراج فنظر الى أبى الحكم ابن حزم غلاما كأنه حق تمائمه وشوربوق كأنه زهر فارق كمائمه فسأل أبا الحسين ابن سراج أن يقول فيه فأرتج عليه فثنى عنان القول اليه فقال (طويل)

رأى صاحبى عمرا فكلف وصفه * وحملنى من ذاك ماليس فى الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لى * صدقت ولكن ذا أشبّ عن الطوق

(الوزير الكاتب أبو محمد بن الحبير رحمه الله تعالى)

شيخ الاوان القاعد على كيوان الذى بهر بابداعه وظهر على الصبح عند انصداعه وعطل العوالى ببراعه وأطلع الكلام رائقا وجاء به متناسقا وقد أبت من محاسنه ماتخال الروض عنه مبتسما وترى الاحسان فى زمانه مرتسما نزلت عنده فى احدى سفراتى نزولا أجنانى أزاهر مسراتى وأولانى كل مستحسن سهل وأرانى أيام ابن الجهم مع الحسن بن سهل وأقطفنى كل نضر يانع وأباح لى كل أمل لم تعقه أيدى الموانع فلما أردت الانصراف أنشدنى (طويل)

يذكرنى نبل الهمام أبى نصر * زمان اهتمامى بالقريض وبالنثر
على حين خليت اليراعة غاضبا * عليها وأخليت الدواة من الحبر
ومالى لا أهدى الملام اليهما * وقد رفعا من قدركل عزغمر
فلله مايسدى ويلحم طبعه * وينثر من شذر وينظم من در
ولله منه همة عربية * أبت أن ترى الاعلى قمة النسر
لقد أحرزت علياه كل فضيلة * مطرزة الابرادعا طرة النشر
الى حسب كالماء يصقله الصبا * وعرض كعرف الروض غب حيا يسرى

وله أيضا (وافر)

بدار الملك من صرف الزمان * حوادث تجتليها الناظران
تبدلت الحوافر من خدود * وغرّ الخيل من غر الغوانى
مطالع أوجه الغيد الحسان * غصصن بكل يعبوب حصان

كأنّ نسور أيديهنّ فيها * يطأن غراب عيني أو جناني

وله (بسيط)

يا هاجرين أضل الله سعيكم * كم تهجرون محبيكم بلا سبب
ويا مسرّين للاخوان غائلة * ومظهرين وجوه البرّ والرحب
ما كان ضرّكم الاخلاص لو طبعت * تلك النفوس على علياء أو أدب
* أشبهتمّ الدهر لما كان والدكم * فأنتم شرّ أبناء لشرّ أب *
ما زدتمو قدرى أيام وصلكم * نباهة لا ولا ذكرى ولا حسبي
ولا ازدريتم به أيام هجركم * فلستم من صعودى لا ولا صببي

وله (متقارب)

رأيت الكتابة والجاهلو * ن قد لبسوا عزها لامة
فقلت لكل فتى كاتب * بديع الفصاحة علامة
اذا عز غيركم بالمداد * فلا أنبت الله أقلامه

وله أيضا (كامل)

أركابكم شطر العزيب تساق * يوم النوى أم قلبي المشتاق
عميت على عيون رأيي في الهوى * لله ما صنعت بي الاشواق
ولقد أقول لصاحب ودّعته * وقد استهلّ بدمعي الاهراق
يا قافلًا قبلي برؤية دوحة * أضفت ظلال فروعها الاطواق
من تغلب الحرب التي ان غولبت * شقيت بحدّ سيوفها الاعناق
فهم اذا ما جالسوا أو واكبوا * أخذوا بحقهم الصدور وفاقوا
قاض كأنّ الليث حشو بروده * وكأن ضوء جبينه الاشراق
بالله ربك خصه بتحية * من ذى خلوص قلبه تواق
يصبوا الى تلك العلا فكأنه * صبّ أصابت لبه الاحداق
ثاو بأرض بداوة لكنها * بالمالكين الكرام عراق
قوم اذا ومضت بروقهم همى * صوب الحيا وانارت الآفاق
واذا استقل بنانهم بيراعة * لبست وشيع برودها الاوراق
واذا انتدوا وتكلموا أنسيت ما * صانته من أعلاقها الاحقاق
أنصاركم وحماة مجدكم وما * أولاكموه من العلا الخلاق

بلقالق ذلق كان حديثها * درر يفصل بينها النساق
فهم اذا ألقوا حبال بنانهم * غلبوا جهابذة الكلام ففاقوا
لماجروا وشأوا ونالوا ما اشتهوا * وثنوا أعنتهم وهم سباق
نصبت لهم حسدا على ما خولوا * من سودد ونفاسة أوهاق

وكتب أيضا

يا أيها القمر الذى يجلو دجى الخطب البهيم لناسناه
هل لامرئ ألقت اليك به يد التأميل ان يلقى مناه

مع انه لا يحاول غاليا ولا يطاول عاليا وانما يطلب ماطف ويخطب ماخف وذلك لاحتشاد الكساد فى اسواق صناعته وائتمار البوار باعلاق بضاعته التى هى جواهر فى أعناق جآذر وقلائد على أطواق خرائد وخود مفصلة العقود وقدود موشاة البرود وخمائل مصندلة الغلائل ومجاب مطاولة الاشجار ومجان معسولة الثمار من أدب كالذهب وكلام كالمدام يسكر مما يسحر ان من البيان لسحرا ولكنها أطواق اختطف عمرها وأعلاق خسف بدرها فجهلت قيمتها وجعلت تلو الخرز يتيمتها ولولا هذه البقية التقية العادلة الفاضلة الزكية الشريفة المنيفة التغلبية أعلى الله قدرها وأوزعنى وجميع الآملين شكرها مابقى لصناعة البراعة رسم الادثر (كامل)

بل بدلت أعلى منازلها * سفلى وأصبح سفلها يعلو

لتمحق فتلحق من الداثر المعدوم بسدوم (طويل)

وذلك أن الدهر يحسد نفسه * على كل فضل أو يؤب به خسرا

ولا لصناعة البلاغة اسم الابشر باد الة أهله واذاله فضله ليخفى فيلفى من الغابر المفقود كثمود هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فيا الدرر الآداب واستعبار تجارها من بوارها ويالغرر نتائج الالباب واستنثار أقمارها فى احتقارها ويالفصاحة تستطير الاقلام وزجاجة تحير الافهام وقد * أخنى عليها الذى أخنى على لبد * فلا دار ولا سند ولا نؤى ولا منظلومة جلد (خفيف)

كل شئ مصيره للزوال * غير ربى وصالح الاعمال

* على مثله فليبك من كان باكيا * ثم يرجع الحديث الى ابن اسحق فانى والله ماقصدت

الذى سردت من تأبين هذه المعادن لكن الحديث ذو شجون (كامل)

ولربما ساق المحدث بعضها * ليس الندى اليه بالمحتاج

ولا أردت الذى أوردت من الاعلان بهذه الاشجان

* ولكن تفيض العين عند امتلائها * وأما الذى أردته فهو أمر أوردته على الخبير ابنى وعبده ثم حدثت له أن لا يخرج عنه الابن يدى مجده ان حل من عقد لسانه التقريب واستقل بعين بيانه الترحيب ولئن كان ذلك فلا حلين ما هنالك من سلف كريم وشرف صميم وهمم نفوس أبية وشم أنوف تغلبية بشذور منثور هى الغناء المعبدى وعيون موزون هى السناء الابدى (بسيط)

انى اذا قلت قولا مات قائله * ومن يقال له والقول لم يمت

وان أخذ باذيال حسن الاصغاء والا تقع عوامل تأميلى عنده دام عزه فى باب الالغاء وجد ذلك الاحسان جواهر تقرط بها الآذان ومسكا يفتق وعنبرا يحرق ان شاء الله تعالى (وكتب) اليه أيضا (كامل)

قولوا لصخرة اذ تسائل قومها * جيئى جهينة ترجعى بيقين

أقذيت عينى بالزمان وأهله * حتى نظرت الى بنى حمدين

الوارثين المجد عن آبائهم * والحاملين العلم عن سحنون

قوم اذا حضروا الندى تميزوا * بعلو مرتبة ونور جبين

مترافعين الى الاله فشأنهم * اصلاح دنيا أو اقامة دين

بمحمد لله در محمد * من مستهام بالعلا مفتون

قاضى القضاة المستضاء بمسفر * من رأيه مثل الصباح مبين

طود من الفضل استقل زماعه * باغاثة الملهوف والمحزون

وبأحمد الباني العلا نلت المنى * وأخذت رايته بغيتى بيمينى

قاض كان الحق نور ساطع * يغشى الورى من وجهه الميمون

فراكوا كب تغلب ابنة وائل * ذات الغنى والايد والتمكين

الوارثين كليبهم فهم اذا * ما نوزعوا فى المجد أسد عرين

واذا يلينهم خضوع منازع * فلواله من غربه باللين

أهل الرصانة والفطانة والنهى * والعلم بالتقليد والتدوين

فعليهم منى السلام تحية * كالفاغم المجلوب من دارين

أيد الله الفقيه الاجل والغيث الواكف المنهل قاضي الجماعة وسيدها وعاضدها ومؤيدها انه أعلى الله قدرك وأوزعني وأهل هذا العصر شكرك لما أذابتني لفحات الاشواق الى تلك الآفاق التي تشرقون بها أقمارا وتفهقون فيها بحارا (وافر)

وما دهري بحب تراب أرض * ولكن حب من سكن الديارا

وانما هو كما قيل (طويل)

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى * ومن أجل أهليها تحب المنازل

ورابتني غمرات الوجد بذلك المجد العالية قلله الغالية حلله الرائع تطريزها الخالص ابريزها كما * راب العليل لغامز العواد * عاينتها نفسا صبة وقلبا قد حشى محبة بمارقته لعلالس برود كصفحات الخدود (كامل)

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

ونظمته من حلاك كلاما لو شرب لكان مداما ولو ضرب به لكان حساما ثم أنهيته بعدما أمهيته (طويل)

ليعلم مولاي بأني عبده * وأن فؤادي عنده وهو في صدري

وأني لا أنفك أخدم مجده * بكل بديع من قريضي ومن نثري

ويأخذ باذيال ما وصفته من هذه الحال (متقارب)

انه رماني الزمان باحداثه * فبعضا أطقت وبعض فدح

ومن أثقلها وأفدحها وأعلنها وأفضحها وأغلبها وأعزها وأسلبها وأبزها ومن عز بز أنه كان لي نسيب قريب وربيب حبيب (بسيط)

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه * أم الطعام ترى في ريشه زغبا

فلما شب دب ليلقط الحب فما خص حتى قنص ولا أخذ في الحركة حتى وقع في الشركة * ويعدو على المرء ما يأتمر * وذلك انه أم قرطبة حرسها الله طالبا جدم مال كان قد تصدق به عليه جده رحمه الله فاذا به قد ألفي هنالك عاصبه وهو قد نصب له مجانبه وفتح أشراكه وبسط تحت هذا المطمع شباكه فما نزل حتى كتف ولا حصل حتى نتف فأصبح مغلوبا مسجونا محزونا مشجونا (طويل)

اذا قام غنته على الساق حلية * بها خطوه وسط البيوت قصير

هكذا أعزك الله أورد بعض من ورد وبه أخبر بعض من استخبر

وفى النوى يكذبك الصادق فانه قد حدث غيره أنه فى وثاق لكنه غير محلى الساق وتحت اعتقال شديد ولكنه بغير حديد (طويل)

ومن يسأل الركبان عن كل غائب * فلا بد ان يلقى بشيرا وناعيا

فلو ترى أمة أمتك سترها الله وهى من اليم اشفاقها وعظيم وجدها وانطباقها قد ذهبت أو كادت بل قاربت وزادت لولا ناظر غريق يطرف وعين سخينة تذرف و*رب عيش أخف منه الحمام* لاحتدمت فارجحت ولا استعبرت فأبصرت وهذا المظلوم المسجون المكظوم المحزون الذى غلب صبرها همه وملأ صدرها ألمه فقتلها عما أذهلها فتى يعرف بفلان أقال الله عثرته وأزال غمرته فهل لك أن تتدارك هذه المسكينة بحسنة تعدل عند الله عبادة ألف سنة لقوله عز وجل ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا لنبهت للخير أهله حيث خاطبت مولاى فهززت فضله ومن نبه عمر نام ومثله أعزه الله ممن بدا الكرام وشمخ فى مثلها بالحسام ثم أمر كاسا بالالجام (طويل)

والا فلم قالوا عتيبة فارس * يشب وقود الحرب بالحطب الجزل

فعل ان شاء الله تعالى ما هو أهله وعند ربه من حسن الثواب عدله انه لا يضيع أجر من أحسن عملا بحوله وطوله ومنه ويمنه والسلام

(الوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور رحمه الله تعالى)

قد كنت نويت أن لا أثبت له ذكرا ولا أعمل فيه فكرا وأدعه مطرحا وأقطعه الاهمال مسرحا لتهوره وكثرة تقعره فانه بادى الهوج واعر المنهج له الفاظ متعقدة وأغراض غير متوقدة لا يفك معماها ولا يعلم مرماها مع نفس فاسدة الاعتقاد ثابتة الاحقاد تتنكد بالافراح وتحسد حتى على الماء القراح وتغص بفارس براعة وتتربص الدوائر بحامل براعة الى لسان لا ينطق الا هجرا وأجفان لا ترمق من توقد الحقد فيها جمرا فهى ترعى الظلم مكان الانوار وتود أن ترى النجاد كالاغوار أستغفر الله الا أنظمه فربما ألم فيه بالبدائع الماما وملك لها زماما وصرف فيها السانا صناعا وأسال لها بالمحاسن تلاعا وله سلف نبيه أعقله فى حبالة هذا الديوان وألحقه بأعيان الاوان وربما ندرت فى نثره الفاظ سهلة الفرض مستقبلة الغرض سلسة القياد وارية الزناد تقرب مما جمعت وتمتزج بما رقت وشعشعت لئلا أكون ممن قصد اغفالا واعتقد اخمالا

وتعصب باطلا وترك مكان الحلى عاطلا فقد علم الله أنى انحرف عن التعليل وأغفر الكثير للقليل واتغافل فى الهنات لذوى الهيئات وآخذ الحسنة من اثناء السيئات وقد أثبت له ماشذ من ابداعه ولم أبخل بتضمينه فى هذا التصنيف وايداعه ورفضت كثيرا من كلامه فقليلا ما يتوضح فجر احسانه فى ظلامه فمما انتخبت له قوله يمدح الامير يحيى بن سير ويذكر فرسا أشهب جاء سابقا (بسيط مخلع)

يا ملكا لم يزل قديما * بكل علياء جد وامق
وسابقا فى الندى أتتنا * جياده فى المدى سوابق
لله منها أسيل خد * أهديت شدقه كالجوالق
حديد قلب حديد طرف * ذو منكب يشبه البواسق
ذو وحشة فى الصهيل دلت * منه على أكرم الخلائق
أشهب كالرجع مستطير * كانه الشيب فى المفارق
خب غداة الرهان حتى * أجهد فى اثره البوارق
ما أنس لا أنس اذ شآها * مشربات مثل البواشق
و بذها ضربا عتاقا * لم ترض عن خصرها العواتق
فقمن يسحبن منه رشحا * مطيبات به المخانق
أفديه من شافع لبيض * قد كن عن بغيتى عوائق
انصع منه لرأى عينى * سود عذار الفتى الغرانق

وله فى الامير يحيى (بسيط مخلع)

ان الامير الاجل يحيى * نجل الامير الاجل سير
بدر تمام بلا محاق * يجل عن هذه البدور
حف به كل ذى سناء * أبهى من الكوكب المنير
كالنجم فى رجمه عداه * بكل ماضى الشبا طرير
أرعى من النجم للرعايا * أروع سام عن النظير
لذت به من صروف دهرى * فكان من جورها مجيرى
ومد نحوى يدا بجود * أهمى من العارض المطير
ألقى شعاعا على ليلا * فخلتنى فى سنا منير
حمى فأرضى الاله ثغرا * حقا له لذة الثغور

قــرت به أعين الرعايا * فأعملوا أكؤس السرور
وأصبح الشرك في ثبات * يدعون بالويل والثبور
يا أيها الملك اقبلنهم * على يعابيك الذكور
وانهد اليهم بكل نهـد * يأبى عن الاين والفتور
وشن غاراتها عليهم * مثل العراجين من ضمور
أهـــلة لاتزال تسرى * لتحرز الحظ من ظهور
أصدرك الله ذا انتقام * من العدى شافي الصدور

وله فيه حين ارتحل الى قصر اشبيلية (كامل مجزو)

هـذا محلك يا أمير * فاعمره متصل السرور
قصر تضاءلت القصو * ر له ودانت بالقصـور
فاسحب به ذيل العـلا * مدى الليالى والدهور
وانعم باحراز الاما * نى فى الوفود وفى الظهور

لاتزال به أبدا رئيسا ولايزال لك من كل ليث ضبارم خيسا تداس فيه بين يديك جماجم الاعـداء حتى تكل أنامل العـد والاحصاء ويتردى من قادة ذويك واخوتك السادة وأقربيك بنجوم رجال كالجبال أنت بدرها المنير ورضوى ماثلا بينها أو ثبير ان دنا من علائك شيطان فتنة رجمته بشرعات الاسنة وان زحم ركن سنائك منكب عظيم حطمته بقرطات الاعنة تطيع الجامها باللجم وتفهم عن أهلة لثم تاغما اقتعدت من صهواتها بروجا واعتقدت الى حيث المنازل المقدرة لاشباههاعروجا لتتم هنالك بدورا وتمثل قدرا مقدورا وتحدق بك فى الهيجاء احداق مقلة العين بانسانها وتجرى فى اللقاء على سنن أوليتها واستنانها (كامل مجزو)

وبعثل قومك جالت الـ * ـخيل اليعابيب الذكور
وحكت سماوتنا السما * بهم نجوما أو بدور
وبعثل رأيك آذنت * دهم الحوادث بالسفور
ماض اذا أعملتـــــه * أغناك عن عضب ذكير
وأراك من صور العوا * قب كل محتجب ستير

تفل الصوارم ولايفل وتحل العزائم ولايحل لو ضرب بالعود لعاد أبيض فاصلا

أو عالج شعر المولود لاصبح أسوده البهيم ناصلا (كامل مجزوّ)

فليهننا انا خصصـ * ـنا منه بالعلق الخطير

يربو على ملء العيو * ن اذا بدا ملء الصدور

لو جاور البحر الخضمّ * ألمّ بالنزر اليسير

أوديمة وطفاء لم * تنسب الى مطر غزير

ان لم يقم شكرى لكم * أذكى من الزهر المطير

لانلت من زمنى سرو * را أرتجيه ولا حبور

وعليه منى ما حييـ * ـت تحية الروض النضير

وكتب اليه فى غزاة غزاها (كامل)

سر حيث سرت تحله النوّار * وأراد فيك مرادك المقدار

واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لاديمة مدرار

تنفى الهجير بظلها وتنيم بالرّش القتام وكيف شئت تدار

وقضى الاله بان تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحبها الكفار

هذا ما تمناه الولى لا ما تمناه الجعفى فانه قال حيث ارتحلت وديمة وما تكاد تنفذ معها عزيمة واذا اسمحت على ذى سفر فما احراها بأن تعوق عن الظفر ونعتها بعدرار فكان ذلك أبلغ فى الاضرار (وافر)

فسر ذا راية خفقت بنصر * وعد فى جحفل بهج الجمال

الى حمص فانت بها حلى * تغاير فيه ربات الحجال

(الوزير الاجل أبو بكر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى)

ماضى البراعة مشهور البراعة متحقق بالادب ينسل اليه من كل حدب وله سلف يقصر عن مداناته الاقدار وشرف تمكن فيه القطب المدار مع سالفة يتفق عليها ولا يختلف ومنزلة يتطلع اليها ويستشرف وهمة طالت كالسماك وطاولته وتناولت كل ما حاولته وبنو عبد العزيز بنو سبق وتبريز ما منهم الا علم منا ظر ولا فيهم الا من هو للدهر ناظر وقد أثبت له ما يبهر النفس ويروقها ويحسده طلوع الشمس وشروقها فمن ذلك قوله (خفيف)

قد هززناك فى المكارم غصنا * واستلناك فى النوائب ركنا

ووجدنا الزمان قد لان عطفا * وتأتى فعلا وأشرق حسنا

فاذا ما سألتـه كان سمحا * واذا ما هززته كان لدنا
مؤثرا أحسن الخلائق لا يعـرف ضنا ولا يكذب ظنا
أنت ماء السماء أخصب واديـه ورقت رياضـه فاتجعنا
نزعت بى الى ودادك نفس * قل ما استصحبت سوى الفضل خدنا

وله يودّع الوزير أبا محمد بن عبدون (بسيط)

فى ذمة المجد والعلياء مرتحل * فارقت صبرى اذ فارقت موضعه
ضاءت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسدّ البين مطلعه

(وكتب الى الوزير أبى محمد بن القاسم) كيف رأى مولاى فى عبدله وهو أنا برى الوفاء دينا وملة ولا يعتقد فى حفظ الاخاء ملة قصرته الاقدار عن رأيه وأخرته الايام عن سعيه فادرع العقوق والبست الحلة وضيع الحقوق ولم يضع الخلة أيرده بعيب ما جناه الدهر أم يسمح فشيمته الصبر بل يعفو ويصفح ولو كان الغضب يفيض على صدره ويطفح فلها أعزه الله العقل الارجح والخلق الاسمح والاناة التى يزل الذنب عن صفحاتها ولا يتعلق العيب بصفاتها وان كتابه العزيز ورد نى مشيرا الى جملة تفصيلها فى يد العواقب والزمان المتعاقب ولقد اتفقت فى أمر مشافهات انجلت عن تخيير فى الاقطار وانتجاع الخصب فى مواقع القطار حاشى ما استثنى من الجمع وافرد بالحظر والمنع وفلان أيده الله كما يدريه يردد محاسنه ويرويها وينشر فضائله ويطويها الا ان الامور انقلبت عليه فى هذه البلاد فلا تعرف له حالة الا وقد داخلتها استحالة وربما عاد ذلك الى نقصان فى الوفاء وان كان باطنه على غاية الاستيفاء ولله تعالى نظر وعنده خير منتظر ويشهد الله أنى أفرده بالجلال واتخذ نفسى من أشياعه وأتباعه فى كل الاحوال (متقارب)

فلا تلزمنى ذنوب الزمان * الىّ أساء واياى ضارا

فسح الله مدته وجازى مودته وأعلى رتبته وأحسن فى كل حال وترحال صحبته لارب سواه (وكتب اليه مسليا عن نكبته) الوزير الفقيه أدام الله عزه وكفاه ما عزه أعلم باحكام الزمان من ان يرفع اليها طرفا أو ينكر لها صرفا ويطلب فى مشارعها مشربا زلالا أو صرفا فشهدها مشوب بعلقم وروضها مكمن لكل صل أرقم وما لجأنه أعزه الله الحوادث بنكبة ولا حطته النائبات عن

رتبة ولا كانت الايام قبل رفعته بوزارة ولا كتبة فهو المرء يرفعه دينه ولبه وينفعه لسانه وقلبه ويشفع له علمه وحسبه وتسمو به همته وأدبه ويعنو بين يديه شانيه وحاسده ويثبت فى أرض الكرم حين يريد أن يجتثه حاصده ويفديه بالفضل من لا يوده وينصره الله باخلاصه حين لا ينصره سواعه ولا ودّه (طويل)

وانّ أمير المسلمين وعتبه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وماهو أدام الله عزه الا نصل أغمد ليجرّد وسهم سدّ طريقه ليسدّد وجواد ارتبط ليخلى عنانه وقطر تأتى سحابه وسيسيله بنانه وانّ المهارق لتلبس بعده ثياب حداد وانّ ألسنة الاقلام لتخاصم عنه بألسنة حداد وسينجلى هذا القتام عن سابق لا يدرك مهله ويعتمده الملك الهمام باكرام لا يكدر منهله ويؤنس ربع الملك الذى أوحش ويؤهله ويرقيه أيده الله الى أعلى المنازل ويؤهله وينشد فيه وفى طالبيه (كامل)

وسعى الى ّ بعجز عزة نسوة * جعل الاله خدودهنّ نعالا

وأنا أعلم انه أعزه الله سيبرم بهذا الكلام ويوليني جانب الملام ويعدّ قولى مع السفاهات والاحلام فقد ذهب فى رفض الدنيا مذهبا وجلا التوفيق عن عينيه غيهبا وتركنا عبيد الشهوات نمسك بخطامها ونرتع فى حطامها وأسأل الله عملا صالحا وقلبا مصالحا ويقينا نافعا واخلاصا شافعا بمنه ان شاء الله

(الوزير الكاتب أبو جعفر بن أحمد رحمه الله تعالى)

كاتب مجيد وفاضل مجيد انخفض عن الارتفاع ونفض يده من الانتفاع فلم يلح فى سماء ولم يرد مورد ماء وكانت له نفس علية تزهو بها الجوانح والضلوع وسجية سنية يعبق منها الفضل ويضوع ومازال يغص بالايام وحالها ويتنغص بباطنها ومحالها حتى أضله الحمام وغشاه وأجنه التراب فى حشاه وقد أثبت من كلامه ماتنشرح له النفوس ويلذ بسماعها الجلوس دخلت جنة بجانة ليلا وجفونها بالظلام مكحلة ومتونها من الانس ممحلة فتشوفت مستوحشا ووقفت منكمشا لا أجد أين أريح ولا أرى مع من أستريح فبعدونية لقيني من أنزلني بها فى منية نائية عن الديار خالية من العمار فاحططت حتى وافانى رسوله يحمل رغبته فى الانتقال اليه والنزول

عليه فاعتذرت له وشكرت تطوّله وتفضله فما كان غير بعيد حتى وافانى مسليا لى ومؤنسا وأعاد لى المكان مكنسا وبتنا بليلة لم أجد للدهر غيرها ولم أجد الا طيرها ولما كان الغلس تركنى منزعجا وانفصل عنى مودّعا فلما حل بموضعه كتب الىّ استكمل الله تعالى لمثنى الوزارة سعادة واستوصله من سموّها عادة وأساله المسرّة بدنوّها معادة كيف لا أراقب مراقى النجوم وأطالب ماقى العين بالسجوم وقد أنذر بالفراق منذر وحذر من لحاق البين محذر ويا ليت ليلنا غير محجوب وشمسنا لا تطلع بعد وجوب فلا نروّع بانصداع ولا نفجع بوداع حسبنا الله كذا بنيت هذه الدار وأبى سبحانه أن تصل شمس انسنا الاقدار ولعلها تجود بعد لأى وتعود الى أحسن رأى فننظر رحيلا وتعمر ربعا محيلا وكنت كثيرا ما أخاطبه على البعد وأواصله بتجديد العهد فوافى بلنسية فلم يمكن لقاؤه ولم يتمكن بقاؤه فارتحل وكتب الىّ ياسيدى الخؤول كريم الصفاء المفضل فى زمرة ذوى الاخاء المؤهل للمحافظة على الوفاء ومن لا عدمت من أمره انصافا ومن برّه اسعافا ودنا كالسراب بعده أنس وقربه يأس وعهدنا كالشباب حظه مبخوس وفقده تتوجع منه النفوس فنحن نتجمع بالسؤال ونتمتع بالخيال ونلتقى على النأى تمثلا ولا نبتغى فى الحىّ تأمّلا وما كذا ألفت الجميم ولا على هذا خلفت الرأى الكريم ولا أدرى لعل للأقطار خواص تغير وللاجرار أخلاق تسير فيجب ان أعدّ لكل خلق خلقا وأسلك فى معاشرة الناس طرقا مقال لو كان حقا وألفى من قائله صدقا وأنى وهو بالاحتمال قمين وبحسن التأويل ضمين ولكنها زفرة شوق لاعج وضجرة توق هائج تثور ثم تسكن وتتأمّل عينها فتحسن وحبذا فعل الصديق كيف تقلب ومذهبه حيث ذهب وأكرم بقدره ما أنجب وبذكره ما أطيب وأعذب لازلت أتمتع ببقائه ولا أمنع من لقائه بمنه (وكتب) الى الرئيس أبى عبد الرحمن بن طاهر وقد وصل بلنسية ليلا لا أشتكى من الليل طولا ولا أذم جنحه موصولا وقد زادت بى حال صباحه وكافحنى أشدّ كفاحه ووصلت البارحة على حين هجع السمير وامتنع الى حضرة المجد المسير وفى يومنا للترجاء امتداد وللوفاء ميعاد ولدىّ شوق يطير بى اليه مطارا ولا يوجد من دونه استقرارا فسكنت من استطارته قليلا وبردت من برحائه غليلا وعبرت

فى مبادرة الحق ومواصلة البر سبيلا والله عز وجهه يعيد الى أفقنا حسن ضيائه و يعين فى المتعين على قضائه لا شريك له والسلام الاتم يتردد على الولى الوفى ورحمة الله وبركاته (وكتب الى القاضى أبى الحسن بن واجب) أينقضى يوم الصب وقد عذبنا السلة أرقا وفرق القلب فرقا و يقبل جنحه وقد حجب عنا فلقا وأجرى العيون علقا فسال منها ماء دفقا وتعسا للمطى وان جدبنا الماما حين أوردنا ظلاما ووافى بنا الحى نياما وكنت أحببت مصابحة مجده فعاجلنى مباكرة الغمام وفاجأنى غيثه مبادرة بالانسجام فلم يمكنى أن أبلغ من ذلك أملا ولا أن أرد به منهلا ولا أعتب الا على الزمان فيما أذنب ولو شاء لا أرضى وأعتب واتخذته تحية مشتاق ورائد تلاق وبودى أن يجلى الغمام منجابا و يكتسى غدنا من الصحو جلبابا فأنال فيه من هذا الحظ وفورا وآمل به جذلا وحبورا ان شاء الله تعالى (وكتب) وقد أهدى اليه مشموم ورد زارنا الورد بأنفاسك وسقانا مدامة الانس من كاسك وأعادلنا معاهد الانس جديدة وزف الينا من قنيات البرخريدة فاحمر حتى خلته شفقا وابيض حتى أبصرته من النور فلقا وأرج حتى كأن المسك من ذكائه وتضاعف حتى قلت من حيائه فليتصور شكرى فى مرآه وليتخيله فى نفحته ورياه ان شاء الله تعالى

(ذو الوزارتين القائد أبو الحسن بن اليسع رحمه الله تعالى)

عامر أندية النشوة وطلاع ثنايا الصبوة كاف بالحيا كاف حارثة بن بدر وهام بفتى سماط وفتاة خدر فجعل للمجون موسما وأثبتها فى جبين أوانه ميسما وكان قبل ان ترقيه الرياسة أعوادها وتحله فؤادها لا يجد عمادا ولا يرد الا ثمادا فلما أصبح عاقد كتائب وقائد جنائب وصاحب الوية ومنفذ بديهة فى الامور وروية جرى الى لذاته ملء العنان وغدا بها مجنون الجنان وترك الملك مهملا ومشى فى طرق الاستهتار خببا ورملا فأغرى به الملأ من أهل مرسية أى اغراء ورأوا قتله أوكد حجة واعتمار فنصبوا له الحرب وعصبوا به الطعن والضرب حتى أعطى الدنية ونزل لهم عن تلك الثنية فقنعوا بارتفاع وباله وامتنعوا من حربه وقتاله وخلعوه عن تدمير وسقوه الرنق بعد النمير وله شعر رقيق المعانى أنيق المغانى يشهد له بالشطارة و يعيد كهولته الى

العـرارة وقدأثبت منـه فنونا يكحل بها الاستحسان جفونا فمن ذلك قوله يخاطب أبابكر بن اللبانة وكان على طريق فلم يلتقيا (طويل)

تشرّق آمالى وسعدى يغرّب * وتطلـع أوجالى وأنسى يغـرب
سريت أبابكر اليـك وانما * أنا الكوكب السارى تخطاه كوكب
فيا الله الاما منحت تحيـة * تكرّ بها السبع الدرارى وتذهب
وبعد فعندى كل علق تصونه * خـلا ثق لا تبـلى ولا تتقلب
كتبت على حالين بعـدو عجمة * فياليت شعرى كيف يدنو فيعرب

(ولما مات بن لبون) صاحب لورقة ووصل أمرها اليه وحصـل تدبيرها فى يديه طلب ملكا يعطيه صفقتها ويعطيه صهوتها اذلم يصح له توليها والعدوّ بالبسيط براوحها بإغارته ويغاديها فوصل الى المعتـمد رحمه الله ملقيا اليه تلك المقاليد ومجنيا له أثمانها الاماليد فتلقى بالبرّ وفادته وصلته وأنزل عليه أعمانه وجلته (وأخبرنى الوزير أبو الحسين) بن سراج والوزير أبو بكر بن القبطرنة أنّ المعتمد أمرهما بالمشى اليه والنزول عليه تنويها بالمقـدمه وتنبيها على حظوته لديه وتقدّمه فسارا الى بابه فوجداه مقفرا من حجابه فاستغربا خلوه من خول وظنّ كل واحد منهـما وتأوّل ثم أجمعا على قرع الباب ورفع ذلك الارتياب فخرج وهو دهش وأشار اليهما بالتحية ويده ترتعش وأنزلهـما خجلا ومشى بين أيديهـما عجلا وأشار الى شخص فتوارى بالحجاب وبارى الريح سرعـة فى الاحتجاب فقعدا ومقـلة الخشف ترمق من خلل السجف فانصرفا عنـه وعزما أن يكتبا اليه بما فهماه منه فكتبا اليه (وافر مجزوّ)

سمعنا خشفة الخشف * وشمنا طرفة الطرف
وصـدّقنا ولم نقطع * وكـذّبنا ولم ننف
وأغضـينا لاجلالك * عن الأكرومة الظرف
ولم تنصف وقد جئنا * وما تنهض من ضعف
وكان الحكم ان تحمـ * ـل أو تردف فى الردف

فراجعهما فى الحين بقطعة منها (وافر مجزوّ)

أيا أسـفا على حال * سلبت بها من الظرف
ويالهفى على جهلى * بضيف كان من صنف

(وأخبرني الوزير) أبو الحسين بن سراج أنه ركب معه في عشية الشك من شعبان وجملة من أعيان قرطبة وقد غلبوه على المسير معهم وألزموه مجتمعهم فخرج وهو مكره لا يتطلع الى ذلك ولا يشره ونفسه متعلقة بنشوة أطمعها بها وسلوة أطلع لها كوكبها فكان يروم التفات ويكثر التلفت وكلهم قد حف به ووقف دون مذهبه حتى أخذ معهم في أمر جواده وعتقه وبالغ في وصف مباراته وسبقه ثم قام على متنه يريهم أنه يجريه ويعرض عليهم تباريه فطار بجناح وصار الى بغيته دون جناح فانتظروه ليسفر عنه العجاج وتطلعه تلك الفجاج فلم يروا الا منهجه ولا اقتضوا الا رهجه فعلم أبو الحسين ماحثه وأشاعه فيهم وبثه فما انصرفوا الا وهلال رمضان لائح وهو على راحه رائح فكتب اليه أبو الحسين بن سراج (كامل)

عمري أباحسن لقد جئت التي * عطفت عليك ملامة الاخوان
لما رأيت اليوم ولى عمره * والليل مقتبل الشبيبة دان
والشمس تنفض زعفرانا في الربا * وتفت مسكتها على الغيضان
أطلعتها شمسا وأنت عطارد * وحففتها بكواكب الندمان
وأتيت بدعا في الانام مخلدا * فيها قرنت ولات حين قران
ولهوت عن خلي صفاء لم يكن * يلهيهما عنك اقتبال زمان
غنيابه كرلك عن رحيق سلسل * وحدائق خضر وعرف قيان
ورضيت في دفع الملامة ان ترى * متعلقا بالعذر من حسان

فكتب اليه مراجعا قطعة منها (كامل)

وأنا أسأت فأين عفوك مجملا * هبني عصيت الله في شعبان
لو زرتني والآن تحمد زورة * كنت الهلال أتى بلا رمضان

وكتب في حينه ذلك الى أبي بكر بن القبطرنة (طويل)

فديتك لا أعرف لذي ولا نكر * ولا حجة لي قد أتى ذلك السكر
اذا قلت جيء ماذا يقول محمد * وليس له في أن يجيب بلا عذر

(وأخبرني الوزير) أبو بكر بن القبطرنة أنه كان قاعدا ببابه ببطليوس في غدوة الجمعة وقد اجتمعت العساكر وروعت تلك الكنائس والدساكر ولا أحد الا راغب في الشهادة مؤمل موته هنالك واستشهاده اذا برجل قد وضع بيده رقعة لاعنوان

لها فلما تأملها وجدفيها (طويل)

عطشت أبا بكر وكفاك ديمة * وذبت اشتياقا والمزار قريب

فخفف ولو بعض الذى أنا واجد * فليس بحق أن يضاع غريب

ووفرلنا من تلك حظارى بها * نشاوى وبعد الغزو سوف نتوب

فقال له ابن اليسع صاحب هذه الرقعة أوقد حل فى هذه البقعة فقال له نعم فاستغرب ماقصد اليه وذهب ووجه اليه من التضييف ماوجب وقرن به خمرا وكتب معه (طويل)

أبا حسن مثلى بمثلك عالم * ومثلك بعد الغزو ليس يتوب

فخذها على محض الصفاء كأنها * سناما لها بعد الحساب ثوب

(الوزير المشرف أبو محمد بن مالك)

وردنم را لمجرة علاء وقلد نحره الزمان ولاء مع همم انافت على الكواكب وكرم صاب كالغمام الساكب ووقار لاتحيل الحركة سكونه ومقدار يتمنى مخبر أن يكونه وشيم كصفو الراح أو الماء القراح لو كانت فى الروض ماذوى أو ظهرت للخلق مارتد أحد بعد ماشوى ولم يزل بما اعتقل من الاصالة والنهى ينقل من سماك الى سها حتى أقطعه أمير المسلمين وناصر الدين خلد الله ملكه ماله بالاندلس من حصة وأقعده على تلك المنصة وبوأه المراتب اللائقة به المختصة وله أدب زاخر اللجة باهر الحجة لائح البهجة واضح المحجة يروق لمجتليه ويزف زهره لمجتنيه وقد أثبت من فائق كلامه ورائق نثره ونظامه ماتديره الاوهام راحا وتتعاطاه وتوسد النباهة خدها أبردى أرطاه فمن ذلك قوله فى مجلس أطربه سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه (خفيف)

لاتلمنى بأن طربت لشدو * يبعث الانس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

(ولما كثر) اختلال الشرق وفساده وظهر استفحال العدو فيه واستئساده صرف أمير المسلمين اليه وجه اهتمامه وجد فى صرف الشوائب عن جمامه وجعل رأيه فيه سميره وأنعل نظره له جده وتشميره ووجه أمواالارم خلاله وحسم علله واقامة ميله وانتعاش رجله وخيله ثم خاف أن ينتهبها العمال وتتعذر تلك الآمال فقلده طوقها وحمله أوقها ووجهه لبناء الاقطار ونبهه

لقضاء تلك الاوطار فاستقل بها أحسن استقلال ونظم مصالحها نظم اللآل فاجتزت عليه بطرطوشة فألفيته مباشر اللامور بنفسه هاجرا لها مواصلة انسه فأقمت معه أياما وأوردت منهل بدائعه جوانح كانت عليه حياما وأنشدني كل مستحسن وأسمعني كل مستطاب استطابة العين للوسن فمن ذلك قوله (بسيط)

سالت بي صروف الدهر والنوب * وبان حظك منها وانقضى السبب
فما حزنك في الخدين منسجم * ونار وجدك في الاحشاء تلتهب
تعجب الناس من حاليك واعتبروا * وكل أمرك فيه عبرة عجب
ضدان في موضع كيف التقاؤهما * النار مضرمة والماء منسكب

(وخرجت باشبيلية) مشيعا الاحد زعماء المرابطين فألفيته معه مسايراله في جملة من شيعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرس أمير المسلمين أدام الله تأييده الذي ينزله عند حلوله اشبيلية وهو موضع مستبدع كان الحسن فيه مودع ماشئت من نهر ينساب انسياب الاراقم وروض كما وشت البرود يد راقم وزهر يحسد المسك رياه ويتمنى الصبح أن يسم به محياه فقطف غلام وسيم من غلمانه نورة ومد يده الى وهي في كفه فعزم علي أن أقول بيتا في وصفه فقلت (طويل)

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفي كفه من رائق النور كوكب

فقال أبو محمد (طويل)

يروح لتعذيب النفوس ويغتدي * ويطلع في أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أي مهفهف * يجيء على مثل الكثيب ويذهب

(وكتبت اليه) يوما مودعا فجاوبني جوابا مستبدعا وأخبرني رسولي أنه لما قرأ الكتاب وضعه وسوى وكتب وما فكر ولا روى ياسيدي الاعلى جرت الاقدار بجمع افتراقك وكان الله جارك في انطلاقك فغيرك من روع بالطعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا تستقر على وطن كأنك والله يختار لك ما تأتيه وتدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع ان يعتدك من العوارى السريعة الاسترجاع فلا يأسف على قلة الثوى وينشد وفارقت حتى ما أبالي من النوى

(الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط)

مستعذب المقاطع كأنما صور من نور ساطع أبهى من محيا الظبي الخجل وأحلى من الامن عند الخائف الوجل يهب عطرا نشره ولا يغب حينا بشره تجتليه بساما وتنتضيه حساما ان واخاك أبرم عقد اخائه وأعفاك من زهوه وانتضائه ما صفائه وارف يكاد يقطر وسماء احتفائه واكفة أبدا تمطر وله أدب لو نشر لكان بردا محبرا أو تنسم لهب مسكا وعنبرا وأما الخطابة ففي يده صار عنانها وعليه وقف عنانها وقد أثبت من نظمه ونثره ما ينظمه الزمان عقدا في نحره فمن ذلك قوله يصف أيام ايناسه وما كيف له الشباب من أنواع الوصل وأجناسه (متقارب)

سقى الله أيامنا بالعذيب * وازماننا الغر صوب السحاب
اذا الحب يا بثن ريحانة * تجاذبها خطرات العتاب
واذ أنت نوارة تجتني * بكف الهنا من رياض التصابي
ليالي والعيش سهل الجنى * نضير الجوانب طلق الجناب
رميتك ظبيا بدوح الصبا * وصدتك ظبيا بوادي الشباب

(وله) يصف يوما أطربته فيه الاماني وهزته المثالث والمثاني وجرى الدهر به طوعا في أزمته وانقاد اليه الانس برمته وسقته الراح صفوها وأقطعته الايام طربها ولهوها (طويل)

ويوم ظللنا والمنى تحت ظله * تدور علينا بالسعادة أفلاك
بروض سقته الباشرية مزنة * لها صارم من لامع البرق فتاك
توسدنا الصهباء أضغاث آسه * كأنا على خضر الارائك أملاك
وقد نظمتنا للرضا راحة الهوى * فنحن اللآلي والمودات أسلاك
تطاعننا فيه ثدي نواهد * نهدن لحربي والسنور أفناك
وتجلى لنا فيه وجوه نواعم * يخلن بدورا والغدائر أحلاك

(وكتب يشفع) لمتدلل بذمام شباب صوح نوره وبرح به غدر الزمان وجوره يا سيدي الاعلى وظهيري ومجدي في الخلا ونصيري المنيف في دوحة النبل فرعه الحنيف في ملة الفضل شرعه ومن أبقاه الله لرحم أدب مجفوة يصلها وحرمة مقطوعة يلحمها ألوفك المحاسن الاخلاق وقى الله جديدا نعملك من الدروس والاخلاق كالقلم المذهب والخضاب الموشى لراحة الحسب يستفيد به بهجة

التكحل

التكحل فى العين ورونق التشبيب فى مصوغ التبر واللجين وقدرتبته النهى أشرف ترتيب وبوبته العلا أبدع تبويب فما أحقه بصدر النادى وأسبقه الى المرتبة بشرف المنادى رعاية لاوامر الآداب والمحافظة على الخلة الواشجة فى أعصر الشباب وتذكار ربوع الصبا وأطلاله وعهود اللذات المنتابة فى بكره وآصاله وما سحبت الليالى فى ميادينه من لبوس نعيم وبوس وأجنت الايام فى بساتينه من زهرات أتراح ومسرات حذو اللخلاق الاكمل وأخذا بقول الاول (بسيط)

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وموصله وصل الله سراءك وأثل علاءك أبو فلان ذاكر مشاهدك الغر الحسان وناشر ما تعتمد فى صلته من مقاصد الحسن والاحسان أبقاه الله ما نظمنى معه سمط ناد ولا احتوانى واياه مضمار شكر وأحماد الا وأثبت من مآثرك خليطى الدر والمرجان وجاء بطليعة السوابق فى احصاء مفاخرك رخى اللبب مرخى العنان ولقد فاوضنى من أحاديث ائتلافكما فى العصور الدارسة العافية وانتظامكما فى زهرات الانس فى ظلال العافية واتساقكما فى حبرات العيش الرقاق الضافية وارتشافكما لسلافة النعيم المزة الصافية بأفانين الغيطان والنجود وزخارف الروض المجود ومعاطف الطرر بين خيلان الخدود ما لو لاقيت بشاشته الصخر لمنح بهجة الايراق ولو ألقيت عذوبته فى البحر لاصبح حلو المذاق ولو رقى به البدر لوقى آفة المحاق ولو مر ببيداء لعادت كسواد العراق وأزمع ان يسير بنواعج لواعجه فى طرقه ومناهجه ويطير بجناح الارتياح فى الدو الى متقاذف ذلك الجو ليكحل بالتماحك جفونه ويجلو بأوضاحك دجونه ويجدد بلقائك عهد الانهج البين رسمه ويشاهد بمشاهدة علائك سرورا محت يد البعد وسمه ويحط من افناء بشرك بالاهل العامر ويسقط من أنواء برك على الحافل الغامر فخاطبت معرضا عن التحريض ومجتزيا بنبذ العرض ولمح التعريض وتابعه له باسرارك تلك الخطرات ذكرا للعهود القديمة وارتياحك للقاء مثله من أعلاق العشرة الكريمة وأنت ولى ما تتلقاه به من تأنيس ينشر ميت رجائه ويعمر مقفر أرجائه لازلت عاطفا على الاخلاء بكرم الود قاطفا زهر الثناء من كمام الحمد بحول الله وقوته

وله (طويل)

ويوم لنا بالخيف راق أصيله * كما راق تبر للعيون مذاب

نعـمنابه والنهر ينساب ماؤه * كما انساب ذعراحين ريع حباب
وللموج تحت الريح منه تكسر * تولد فوق المتن منه حباب
وقد نجمت قضب لدان بشطه * حكتها قدود للحسان رطاب
وأينع مخضر النبات خلالها * كما أقبلت نعمى وراق شباب

(وكتب) عن أحد الامراء الى قوم علية شفعوا والجناة طاعتكم أبقاكم الله ثابتة الرسوم واضحة الوسوم وضمانتكم بالسلطان عصمه الله ضمانة الجبان بالحياة واعداد كم للمكافحة عن الدولة وطدها الله اعداد المهلب للبيات فمالكم والشفاعة لرعاع ندوا عن عصمة الجماعة ونفروا وخاسوا بذمام الطاعة وختروا ثم ودوا لو تكفرون كما كفروا فارفضوهم عن جماعتكم وذودوهم عن حياض شفاعتكم ذياد الاجرب عن المشرب فنحن لانقبل على توسل مستخف بالنفاق مستتر ولانقبل الخدعة من متماد على الغواية مصر ان شاء الله (وله) فصل من رسالة فى اهداء فرس وقد بعثت اليك ايدك الله بجواد يسبق الحلبة وهو يرسف ويتمهل متى ترمق العين فيه تسهل يزحم منكب الجوزاء بك منكبه وتزل عن متنه حين تركبه ان بدا قلت ظبية ذات غرارة تعطو الى عرارة أو عدا قلت نقضاض شهاب أو اعتراض بارق ذى التهاب فاضممه الى أرى جيادك واتخذه ليومى رهانك وطرادك ان شاء الله عزوجل (وأصبحت) يوما منبسط النفس معترض الانس فتربى فارس يحمل كتبا اليه وينفض للسرعة مذرويه فحملته بيتين يضعهما فى يديه وهما (طويل)

عسى روضة تهدى الى انيقة * تدبج اسطارا على ظهر مهرق
أحلى بها نحرى علاء وسوددا * وأجعلها تاجا بهيا بمفرقى

فكتب الى مراجعا (طويل)

اتتنى على شخص العلاء تحية * كرأد الضحا فى رونق وتأنق
انم من الريحان ينضح بالندى * واطرب من سجع الحمام المطوق
سطيران فى مغزاهما أمن خائف * وسلوة مشغوف وأنس مشوق
نصرت أبا نصر بها همم العلا * وأطلقت من آمالها كل موثق

(وحملنا) الوزير القاضى أبو الحسن بن أضحى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير أبو محمد بن مالك وجماعة من أعيان تلك المسالك فحللنا بضيعة لم

يحت المحل أثلها ولم ترمق العيون مثلها وحللنا بها في أكناف جنات الفاف فاشئت من دوحة لفاء وغصن يميس كعطفي هيفاء وماء ينساب في جداوله وزهر يضمخ بالمسك راحة متناوله ولما قضينا من تلك الحدائق أربا واقتضضنا منها اترابا عربا ملنا الى موضع المقيل ونزلنا عن منازه تزرى بمنازه جذيمة مع مالك وعقيل وعند وصولنا بدا لي من أحد الاصحاب تقصير في المبرة عرض لى منه تكدير لتلك العين الثرة فأظهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم ثم عدلت عنهم الى الاضطجاع والنوم فما استيقظت الا والسماء قد نسخ صحوها وتغيم جوها والغمام منهمل والثرى من سقياه ثمل فبسطني بتحفيه وأبهجني ببر لم يزل يتممه ويوفيه وأنشدني (بسيط)

يوم تجهم فيه الافق وانتشرت * مدامع الغيث في خد الثرى هملا
رأى وجومك فارتدت طلاقته * مضاهيا لك في الاخلاق ممتثلا

(وكتب) يستدعى الى مجلس أنس يومنا أعزك الله يوم قد نقبت شمسه بقناع الغمام وذهبت كأسه بشعاع المدام ونحن من قطار الوسمى في رداء هدى ومن نضير النوار على نظائر النظار ومن بواسم الزهر في لطائم العطر ومن غرّ الندمان بين زهر البستان ومن حركات الاوتار خلال نغمات الاطيار ومن سقاة الكؤس ومعاطى المدام بين مشرقات الشموس وعواطى الآرام فرأيك في مصافحة الاقمار ومنافحة الانوار واجتلاء غرر الظباء الجوازى وانتقاء درر الغناء الحجازى موفقا ان شاء الله تعالى

(ذو الوزارتين الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال أعزه الله)

حامل لواء النباهة الباهر بالروية والبداهة مع صون ووقار وشيم كصفو العقار ومقول أصفى من ذى الفقار وله أدب بحره يزخر ومذهب يباهى به ويفخر وهو وان كان خامل المنشا نازله لم ينزله المجد منازله ولا فرع للعلاء هضابا ولا ارتشف للسناء رضابا فقد تميز بنفسه وتحيز من جنسه وظهر بذاته وفخر بأدواته والذى الحقه بالمجد وأوقفه بالمكان المنجد ذكاء طبع عليه طبعه ونجم في تربة النباهة غربه ونبعه وتعلق بأبي يحيى بن محمد بن الحاج وهو خامل الذكر عاطل الفكر فملك قياده مأموله وهب من مرقد خموله وقدح استعماله اياه زناد ذكائه وأبدى شعاع ذكائه ولم يزل عاثرا معه ومستقلا ومثريا حينا وحينا

مقلا الى أن تورطوا فى تلك الفتنة التى انفوحائلها وملحوا مخايلها وطمعوا
ان يغتنالوا من أمير المسلمين ملكا معصوما وابرموا من كيدهم ماغدا بيد القدرة
منقوضا وفى أثناء بغيهم وخلال حربهم الوبيل وسعيهم كانت ترد عليهم من قبله
ايده الله كتب تحل ما ربطوه وتروعهم مما تأبطوه فلم يكن لهم بد من ادنائه
لحسن منابه فى المراجعة عنهم وغنائه فورد عليهم ليلة كتاب راعهم وانساهم
جلادهم وقراعهم وهم بمجلس أنس فمحوا من حياه ومحوا منه عبق الانس ورياه
فاستدعاه فى ذلك الحين للمراجعة عن فصوله والمعارضة لفروعه واصوله فأبان
عن الغرض وخلص جوهره من كل عرض وأبدع فى احكامه وبرع فى قضاياه
واحكامه فحمل ابا يحيى بن محمد استحسان ما كتبه ان خططه للحين ولقبه
والمدام لرأيه البائل مالكة وبعقله فى طرق الخبال سالكة فلم يعمل فيها فكرا
ولم يتأمل أعرفا أتى أم نكرا فجرت عليه لقبا وأعلته من الاشتهار مرقبا وصار
مرتسما فى العلية متسما بتلك الحلية ومازالت الدول تستدنيه نائيا وتنشه دانيا
ولا تجعله مجنيا عليه ولا جانيا فما يبدء رفع شومه ولا محو وشومه وقد أثبت له
ما تجتليه فتستحليه وتلمحه فتستملحه فمن ذلك قوله فى مغن زار بعد ما أغب
وشط منه المزار (كامل)

وافى وقد عظمت على ذنوبه * فى غيبة قبحت بها آثاره
فمحا اساءته بها احسانه * واستغفرت لذنوبه أوتاره

(وكتبت اليه) عندما وصل امير المسلمين وناصر الدين الى اشبيلية صادرا
عن غزوة طلبيرة سنة ثلاث وخمسمائة ووصل فى جملته ونزل بمحلته واتفق لى شغل
توالى واتصل الى أن رحل أمير المسلمين أيده الله وانفصل فسألت عنه فاعلمت انه
سار معه وما فارق مجتمعه فكتبت اليه مستدعيا من كلامه ما أثبته فى الديوان
وأنبته فيه زهر بستان فوافاه رسولى من البلد على مرحلة فى ليلة من ضياء
البدر محملة فكتب الى مراجعا الحذر أعزك الله يؤتى من الثقة والحبيب
يؤذى من المقة وقد كنت أرضى من ودك وهو الصحيح بلمعة وأقنع من ثنائك
وهو المسك بنفحة فما زلت تعرضنى للامتحان وتطالبنى بالبرهان وتأخذنى
بالبيان وأنا بنفسى أعلم وعلى مقدارى أحوط وأحزم والمعيدى يسمع به
لا أن يرى وان وردت أخباره تترا فشخصه مقتحم مزدرى ولا سيما من لا يجلى

ناطقا ولا يبرز سابقا فتركه والظنون ترجمه والقال والقيل يقسمه والاوهام تحمله وتحرمه وتخفيه وتخترمه أولى به من كشف القناع والتخلف عن منزلة الامتاع وفى الوقت من فرسان هذا الشان وأذمار هذا المضمار وقطان هذه المناهل وهداة تلك المجاهل من تحسد فقره الكواكب ويترجل اليه منها الراكب فاما الازاهر فلقاة فى رباها ولو حلت عن المسك حباها وصيغت من الشمس حلاها فهى من الوجد تنظر بكل عين شكرا لانكرا واذا كانت أنفاس هؤلاء الافراد مبثوثة وبدائعهم منثوثة وخواطرهم على محاسن الكلام مبعوثة فما غادرت مترد ما ولا استبقت لمتأخر متقدما فعندها يقف الاختيار وبها يقع المختار وأنا أنزه ديوانه النزيه وتوجيهه الوجيه عن سقط من المتاع قليل الامتاع ثقيل روح السرد مهلك صر البرد الأان يعود به جماله ويحرس نقصه كماله وهبه أعزه الله قد استسهل استلحاقه وطامن له اخلاقه أتراني أعطى الكاشحين فى اثباته يدا وأترك عقلى لهم سدا وما اخالك ترضاها لى مع الود خطة خسف ومهواة حتف لا يستقل غبينها ولا يبل طعينها (وله فصل منها) فلم تحل بطائل وصرنا تحت قول القائل (كامل)

تركُ الزيارة وهي ممكنة * وأتاك من مصر على جمل

الزيارة ههنا أعزك الله مثل لا لفظ محتمل لانى أوجبها ولا استوجبها وأفرضها ولا أفترضها والتأويل على كل حال لا يتعدى الجميل مذهبا ولا يتخذ لليل الشك مركبا وأنت المفتتح للصلة المولى للمنة المشتملة وان رسولك وافانى بكتابك الخطير والشمس واجبة سقوط منازع وحياة الذى يقضى حشاشة نازع والبيت قد غص ببانيه وضاق لفظه عن معانيه فاختلست أحرفى هذه اختلاس مسارق والتياح بارق والخاطر مخاطر والشغل مساهم مشاطر يصدر فكرى اليه ويخلع فقرى عليه الاصبابة لاترد صبابة ورسيسا لايشفى نسيسا فدونك واهن الدعائم واهى العزائم يتبرأ تابعه من متبعه ويفر سامعه من مسمعه ولولا أن الجواب فرض يجرح معطله ويخرج عن ملة التصافى مبطله لاعتذرت واقتصرت ولكنى أوثر حقك وان أبقى على دركا وبوأنى دركا وقد حملت فلانا ماسمح به الوقت وان اشتبه على القصد والسمت وحاضرت بما يسرت الى ذكره على شريطة كتمانه وستره انقيادا الى أمرك وتصديا الى عقوقك ببرك (وله) أيضا

ايدك الله ليست الاذناب كالاعراف ولا الانذال كالاشراف ولا كل اشراف باشراف فثم من يصم ماولى ويعمى عن الصبح وقد جلى ان ذكرنى وان عذل فكأنما أغرى وكثيرا ما يمتد شططه فتحذف نقطه ويهجر نمطه وان سامحناه فى الضبط وأمتعناه بالنقط نبذ الوفاء فحذفنا الفاء وجفا الكريم فألغينا الميم (وله بعد ما بقى ما ألقى) وان أشرف فعلى الخطر العظيم وان اطلع ففى سواء الجحيم ورب طويل النجاد غريق فى الاتهام والانجاد ولايته أمان وعمله جنان وخلقه رضوان تود النجوم ان تنظمها فى كتاب أو تنسقها نسق حساب قد ارتقى بخطته يافوخ السماء وأخذ بضبعها رافعا الى السماء فهنالك وأنت ذالك طاب الجنى ودنت المنى وأيقن الشرف انه فى حرم وحمى اقسم بالمبتسم البارد والحبيب الوارد قسما تبقى على الشيب جدته ويعز على المشيب حدته ذكرى من ذلك العهد مدت بسببه ومتت الى القلب بنسبه ليعتون على الكرام وليجترؤن على الانام وليأخذن فوق أيديهم وليكفن من تعديهم مالهم تحت اثلاتهم وتسمهم بغير سماتهم وتصفهم بصفاتهم وتعلمهم بعلاتهم فأين أنت من الدب وسنام قد استؤصل بالجب وكيف ارتياحك بغير خران دارت ولمكرمة كالشمس أشرقت وأنارت لاجرم انك منها على ذكر وبمدرجة حمد وشكر وما هو الا الشريف الاوحد ومن لا ينكر فضله ولا يجحد أبو بكر أعزه الله وناهيك ثناء وحسبك علاء وسناء فتى دهى فى ضيعته بهذا الدواه ورمى بخطوب غير ريوث ولا سواء ورأيك أصاب الله برأيك وجبر الاولياء بسعيك فى تحصين مراعاته وترفيهه ومحاشاته ولولا عذر منع لكان على أفقك النير قد طلع ولكنه استناب فلانا وحسبه ان يؤدى كتابا ويقتضى جوابا ويتصرف على حكمك جيئة وذهابا ان شاء الله (وله) يعتذر من استبطاء المكاتبة (طويل)

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم * يخبركم عنى بمضمره بعدى

ولو قلبتنى الحادثات مكانكم * لأنهبتها وفرى وأوطأتها خدى

ألم تعلموا أنى وأهلى وواحدى * فداء ولا أرضى بتفدية وحدى

(ولما نكب) الوزير أبو محمد بن القاسم النكبة التى أنبأت بتعذر الاوطار لذوى الاخطار وأعلنت بكساد الفضائل والمعالى واستيثار الوضيع على الماجد العالى لانه كان طود كمال وبحر اجمال وناظم خلال وعالم جلال وحين ثل الدهر

عرشه وأحلي بسواه فرشه خاطبه كل زعيم مسلما عن نكبته وانتقاله من رتبته
فكتب اليه هو في جملة من كتب وان كان نازلا عن تلك الرتب برقعة مستبدعة
وهي مثلك ثبت الله فؤادك وخفف عن كاهل المكارم ما أدهى بك وآدك يلقى
دهره غير مكترث ويتازله بصبر غير منتكث ويبسم عند قطوبه ويفل شباة
خطوبه فما هي الا غمرة ثم تنجلي وخطرة يليها من الصنع الجميل ما يلي لاجرم أن
الحر حيث كان حر وان الدر برغم من جهله در وهل كنت الاحساما انتضاه
قدر أمضاه وساعد ارتضاه فان أغمده فقد قضى ما عليه وان جرده فذلك اليه
أما انه ما انثلم حده ولبس جوهر الفرند خده لا يعدم طبنا يشترطه ويمينا يخترطه
هذه الصمصامة تقوم على ذكرها القيامة طبقت البلاد أخباره وقامت مقامه
في كل أفق آثاره فأما حامله فنسي منسي وعدم منهي كلا لقد فنيت الحقائق
وأنهيت تلك العلائق فلم يصحبه غير غرار ومتن عار وكلاهما بالغ ما بلغ ووالغ
معه في الدماء أي والغ وما الحسن الا المجرد العريان وما الصبح الا الطلق
الاضحيان وما النور الا ما صادم الظلام ولا النور الا ما فارق الكمام وما ذهب
ذاهب أجزل منه لعوض واهب وممن قضى حق المساهمة في هذه الحال التي
التوى عرضها وتأخر للاعذار القاطعة فرضها أسف يردد وارتماض يجدد
وذنوب على الايام تحصى وتعدد وحباء اللئام منها تحل وتعقد فيعلم الله عز وجهه
لقد استوفيت فيك هذه الايام ونهيت فيك حتى المزن عن الابتسام انتهى (وقال)
أبو نصر وفي أيام مقامي بالعدوة اتفقت بيني وبين أبي يحيى محمد بن الحاج سقى الله
مصرعه وأورده منهل العفو ومشرعه مودة استحكم تواخيها وشدت
أواخيها وغدونا بها حليفي صفاء واخلاص وأليفي اخاء واختصاص والزمان
مساعد وصرفه متباعد والشباب خضل يانع والدهر مبيح ما هو له اليوم مانع
والدنيا سرور وايناس والارض ظباء وكناس فوقع بيني وبينه في بعض الايام
تنازع أدى بنا الى الانفصال وتعطيل تلك البكر والآصال ثم نمي الي عنه
قول ضاق به ذرعي واجتث منه أصلي وفرعي فكلما صدني عن الرحلة صممت
ونكثت من عرى التلوي ما كنت أبرمت وبعد انفصالي علمت ان ذلك
القول غدا زورا ووشي به من غص ان يرانا زائرا ومزورا فانقشعت تلك المخيلة
وتحركت لوعة مودته الدخيلة وأكدت تجديد ذلك العهد الرائق وكف أيدي

تلك العواتق فكتبت اليه (طويل)

اكعبة علياء وهضبة سودد * وروضة مجد بالمفاخر تمطر
هنيأ لملك زان نورك أفقه * وفى صفحتيه من مضائك أسطر
وانى لخفاق الجناحين كلما * سرى لك ذكرا ونسيم معطر
وقد كان واش هاجنا للتهاجر * فبت واحشائى جوى تتفطر
فهل لك فى ودّ ذوى لك ظاهرا * وباطنه يندى صفاء ويقطر
ولست بعلق بيع بخسا واننى * لارفع اعلاق الزمان وأخطر

(فأمره بمراجعتى) فكتب عنه بقطعة منها (طويل)

ثنيت أبا نصر عنانى وربما * ثنت عزمة الشهم المصمم اسطر
ونالت هوى مالم تكن لتناله * سيوف مواض أوقنا متأطر
وما أنا الا من عرفت وانما * بطرت ودادى والمودة تبطر
نظرت بعين لونظرت بغيرها * أصبت وجفن الرأى وسنان أشطر
وقد ما بذلت الود والحب فطرة * وما الود الا ما يخص ويفطر

(وكتب) الى الوزير المشرف أبى بكر بن رحيم يهنئه بولاية خطة الاشراف بحضرة اشبيلية وذواتها فى شوّال سنة خمس عشرة وخمسمائة (وافر)

اذا ما شرّف الاشراف قوما * فانّ بنى رحيم شرفوه
ومن يعرف به لهم قديما * وان رغمت أنوف عرّفوه
كفاة للملوك على سبيل * ودين نصيحة ما حرّفوه
أبو بكر له ولهم كفيل * بكل كفاية اذ صرّفوه
وما الاشراف الاعبد قنّ * لهم فتى تولى استصرفوه

(هذه) أعزك الله بديهة البشرى وعجالة كعجالة القرى وبريد الى أمّ تلك القرى فانا لها بالاقبال ضمين وعلى ألية وتبين لتحوطنها أقلامك وليحمدن فيها مقامك ولتعرفن بالغرر والحجول أيامك فالفلك السعد ولاعدمك الملك الجعد وأبل وأخلق مثلها جددا بعد وما حق من بشر باعتلائك وسرى بأنبائك الى أوليائك ان يؤخر مراده ويضيع عمله واعتقاده وان الحاج أبا عبد الله بن شقران آملك الداعى لك أبقاه الله وجبره أشعرنى بهذه المسرّة والدعة الثرة ولقد هممت على هذا البرد بخلع البرد وحل العقد وفض النقد فدافعنى

انقباضا

انقباضا وأعمني ان له في عملك اغناه الله أغراضا تكون على ذلك أثمانا وأعواضا وأراني عقدا يشهد بعدمه وصحة ما استحته في مقدمه وانه ليس له سوى غرس قد صار عليه كلا بل استدار في ساقيه كبلا والتوى في عنقه غلا وآض له غلا لامغلا ولك الطول ان تفتح نظرك وفقه الله بالتخفيف على مثله من الضعفاء ومن لاقدرة له على الاداء وحمل الاعباء فان ذلك ذكر في العاجل وأجر في الآجل ان شاء الله تعالى

* (ذو الوزارتين الكاتب أبو محمد بن عبد البر رحمه الله) *

بحر البيان الزاخر وفخر الاوائل والاواخر وواحد الاندلس الذي فاز فيها بحظ الظهور وحاز قصب السبق بين ذلك الجهور وامترى اخلاف اسعادها وسقى صوب عهادها واستقر في مراتب رؤسائها استقرار الفلك عند ارسائها الا انه حصل في لهوات الاسد وصار الى موضع النفاق فكسد ووافى المعتضد بالله في طالع استوبله ونحس استقبله فكانت ايامه لديه حسرات ولم تومض له فيها بروق مسرات الى أن لاذ بالفرار وتخلص من يديه تخلص البدر من السرار وأبوه أبو عمرو كان سبب نجاته وخروجه من لهواته ولولاه لورد مشرع الحمام وكرع في ماء الحسام فقليلا ماهم عباد فأقصر ولا توهم الاوكأنه أبصر ولكن امامة أبيه الشهيرة دفعت في صدر احتدامه وشفعت له عند اقدامه وقد أثبت له ما يتبين انه سحر ويتزين به للسناء نحر فمن ذلك ما قاله في رجل مات مجذوما (رمل)

مات من كنا نراه أبدا * سالم العقل سقيم الجسد
بحر سقم ماج في أعضائه * فرمى في جلده بالزبد
كان مثل السيف الا أنه * حسد الدهر عليه فصدى

وله (كامل مجزوّ)

لا تكثرنّ تأملا * واحبس عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك في ميدان حتفك

(وكتب) الى أحد اخوانه وقد نال الدهر من اجماله وامتهانه من صحب الدهر أعزك الله وقع في أحكامه وتصرف بين أقسامه من صحة وسقم وغنى وعدم وبعاد واقتراب وانتزاح واغتراب واتفق لي ما قد علمت من الانزعاج والاضطراب والتغرب والاياب لا والله ما جرى من حركاتي شئ على مرادي واعتقادي وانما

هيأتها الاقدار والآثار وعند ورودي أعلمت بما أصابتك به صروف الايام من الامتهان والايلام فيعلم الله لقد ألمت نفسي وساءبه أثر الزمان عندى وقلت هذا عدل ما تهيأ من جلدى وبعدى فقد جعتنا حوادث الايام وصروفها وان اختلفت أنواعها وصنوفها على أن الذى أصابك أثقل عبأ وأعظم رزأ والله يعظم أجرك ويجزل ذخرك ويجعل هذه الحادثة آخر حوادثك وأعظم كوارثك حتى تستديم عزك فى سراء سابغة تنعم بالك وخاطرك وتقرعينك وناظرك وتلحظ خطوب الدهر وأنت عنها فى حماية من الكفاية مكينة ودرع من الحماية حصينة ان شاء الله (وكتب عن الموفق أبى الجيش مهنئا للمعتضد بأخذ شلب) كتابى اعزك الله تعالى عن حال قد طال جناحها وآمال قد أسفر صباحها ويد قد اشتد زندها ونفس قد انتجز بنجح كل مأمول وعدها بما وردنى به كتابك الكريم ان أعز بهما من جميل صنع الله لك بحصول قاعدة شلب وذواتها فى قبضتك واستيزاء ذلك الافق بظل طاعتك وخروج صاحبها عنها من غير عقد عاصم ولا عهد لازم قد كذبه ظنه فى التماسك وأخلفه أمله فى التهالك ورغم به أنف من بعد عنه وجدع به أنف من لم يوضع الميسم عليه فاى نعمة يا سيدى وأعلى عددى ما أجلها وأجزلها وأى جنة ما أتمها وأكملها على حين تضاعف حسن موقعها وبان لطف محلها وموضعها ولاحت عنوانا فى صحيفة مساعينا وبرهانا بحول الله على تأتى راجينا فالحمد لله ثم الحمد لله على ما من به وأحسن فيه حمدا يؤدى الحق و يقضيه ويحتوى المزيد ويقتضيه وهو المسؤل عز اسمه ان يتبع ذلك باشكاله ويشفعه بأمثاله و يهنئ ذلك النجح سلما وحربا وشرقا وغربا والظهور بعدا وقربا فظهورى منوط بظهورك وسرورى موصول بسرورك واتصال حالى بأحوالك وحبلى بحبالك هنالك الله واياى ما خولك وقرن بالزيادة آلاءه قبلك بمنه (وكتب فى عناية) أتم الله أيها الامير الجليل محتده الجميل معتقده المشهور فضله وسودده عليك نعمه ظاهرة وباطنة وأجزل اليك قسمه متوافية وراهنة وآتاك من كل حظ أجزله ومن كل صنع أجمله ومن كل خير أتمه وأكمله ان الايام قد وصلت بيننا الى التراسل سببا وجعلت فى التواصل أربا فاذا أمكن سبب قدمته واذا تهيأ رسول اغتنمته توكيدا للحال معك وتجديدا للعهد بينى و بينك فمثل الخط منك لا يهمل وشبه الحق الذى لك لا يغفل ومكاتبة الصديق عوض من لقائه اذا

امتنع

امتنع اللقاء واستدعاء لانبائه اذا انقطعت الانباء وفيها أنس تلذ به النفس وارتياح تنتعش به الارواح وارتباط يتصل به الاغتباط وافتقاد يتبين به الاعتقاد والوداد ومثل خلتك الكريمة عمرت معاهدها ومثل عشرتك الجميلة شدت معاقدها ومثل مكارمتك البرة حمدت مصادرها ومواردها واذ قد تسببت لى أسبابها فلا أقطعها واذ قد انفتحت بيننا أبوابها فلا أدعها وأنا أستدعيك مثل هذا اذا أسفرك وطر وعن لك أمر فانى متطلع الى أخبارك أراعيها وحريص على أوطارك أقضيها ومستمطر لكتبك الكريمة أجتليها وأشاهد نعم الله منها وأفيها فغذ صدر عنى فلان لم أتلق لك خبرا ولم الحظ من تلقائك أثرا وذلك لا محالة لامتناع البحر وارتجاجه وتعذر المسلك وارتتاجه واذ قد ذل صعبه لراكب وهان خطبه على هائب فانى اعتقد ان كتابك بازاء كتابى وخطابك سيلقى خطابى ولما تهيأ سفر فلان صفينا سلمه الله الى الافق الذى أنت عماده والقطر الذى بيدك زمامه وقياده وقد تقدمه فيك أمل قد استشعره وشكر لك قد بثه ونشره أصحبته كتابى هذا مجددا عهدا وممهدا عنه حمدا فانه ما دخل تارة الينا ولا تكرر ثانية علينا الا وذكرك الجميل فى فمه يبديه ويعيده وأثرك الحسن عليه يلهج به ويشيده يتلو بذلك كله معاقدته المحمودة ومحافله المشهودة فى شكر الامير الاجل أخيك أطال الله بقاءه والاشادة بتعظيم أمره وتفخيم قدره فانه لا يغدو عندنا الا باسمه ولا يناضل الا بسهمه ولا يجاهد الا عنه ولا يحتسب الا فيه ومن جرى على البعد هذا المجرى وشكر شكره النعمى فحقيق بالانعام خليق بالاكرام وقد استضاف الى هذه الحقوق التى مثلها رعى وشبهها قضى انه ضيف لى وآثر من عندى أختصه باتم العناية وأعتمده بأجد الرعاية وأشفع له الشفاعة الحسنة وأستظهر له المعونة التامة والمشاركة البينة وأنت بفضلك تلقى أمله بالتحقيق ورجاءه بالتصديق وتصل فضلك عليه حتى يكون قليبا يروى وسقاء يشفى وورداينهل وسببا يتصل ان شاء الله عزوجل

(الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداى رحمه الله)

سابق فبرز وأحرز من البلاغة ما أحرز وجرى فى ميدانها الى أبعد أمد وبنى أغراضها بالصفاح والعمد فغبر وجوه سوابقها وظهر أمام وجيهها ولاحقها اذا كتب انتسب اليه السحر أصح انتساب ونسق المعجزات نسق حساب وأرى

البدائع بيض الوجوه كريمة الاحساب وقد كانت الذمة تقعده عن مراتب اكفائه وتجذ فى طموس رسمه وعفائه وتصرفه تصريف المهيض وتقعده فى ذلك الحضيض حتى ألحقه الله باقرانه وأقاله من متجر خسرانه فتطهر من تلك السمة واستظهر بعقيدته التى قيدت فى ديوان الحق مرتسمة وبدت محاسنه سافرة القناع كافرة بذلك الدين الذى عدل بها عن الاقناع وقد أثبت له من ذلك مالا يرجى له لحاق ولا يغشى تمامه محاق فنها هذه القطعة التى أطلعها نيرة وترك الالباب بها متحيرة فى يوم كان عند المقتدر بالله مع علية قد اتخذوا المجد حلية والامل قد سفر لهم عن محياه وعبق لهم رياه فصافحه الكل منهم وحياه وشمس الراح دائرة على فلك الراح والملك ينشر فضله ويثر وابله وطله يسدى العلاء ويهب الغنا والغناء فصدحت الغوانى وأفصحت المثالث والمثانى بما استنزل من موقف الوقار وسرى فى النفوس مسرى العقار (بسيط)

توريد خدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصلك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ماتركا الماء يقتلها * الا لتحيا بها منا حشاشات
قد كان فى كاسها من قبلها ثقل * نخفت اذ ملئت منها الزجاجات
عهد للنبى تقاضته الامانات * بانت وما قضيت منها لبانات
يدنى التوهم للمشتاق منتزحا * من الامور وفى الاوهام راحات
تقضى عدات اذا عاد الكرى واذا * هب النسيم فقد تهدى تحيات
زور يعلل قلب المستهام به * دهرا وقد بقيت فى النفس حاجات
لعل عتب الليالى أن يعود الى * عتبى فتبلغ أوطار ولذات
حتى نفوز بما جاد الخيال به * فربما صدقت تلك المنامات

(ولما) أعرس المستعين بالله بنت الوزير الاجل أبى بكر بن عبد العزيز احتفل أبوه المؤتمن بالله فى ذلك احتفالا اشهره وأبدع فيه ابداعا راق من حضره وبهره فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة والادوات المخترعة ما بهر الالباب وقطع دون معرفتها الاسباب واستدعى اليه جميع أعيان الاندلس من دان وقاص ومطيع وعاص فأتوه مسرعين ولبوه متبرعين وكان مدير تلك الاراغة

ومدبرها ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل وصدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر اعجازها وبهر اقتضابها وايجازها (فمن ذلك) ما خاطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر محلك أعزك الله في طي الجوانح ثابت وان نزحت الدار وعيانك في احناء الضلوع باد وان شحط المزار فالنفس فائزة منك بتمثل الخاطر بأوفر الحظ والعين نازعة الى أن تمتع من لقائك بظفر اللحظ فلا عائدة أسبغ بردا ولا موهبة أسوغ وردا من تفضلك بالحفوف الى مأنس يتم بمشاهدتك التئامه ويتصل بمحاضرتك انتظامه ولك فضل الاجمال بالامتاع من ذلك بأعظم الآمال وأنا أعزك الله على شرف سودد لك حاكم وعلى مشرع سنائك حائم وحسبي ما تحققه من نزاعي وتشوقي وتتيقنه من تطلعي وتتوقي وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة واعتراض الانتزاح بارتقاب الصلة وأنت وصل الله سعدك بسماحة شيمك وبارع كرمك تنشئ للمؤانسة عهدا وتوري بالمكارمة زندا وتقتضي بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا لازات مهنأ بالسعود المقتبلة مسوغا اجتلاء غرر الاماني المتهللة بمنه (وله) مراجعا الوزير أبي محمد بن سفيان بقطعة منها (كامل)

قابلت بالعتبى كتابك حافظا * للعهد حفظ العين بالاجفان
وبسطت أوضح من زياد عذرة * لو لم تكن أقسى من النعمان
أسقيك عذبا باردا وسقيتني * اذ جاش حمك من حميم آن
أعضبت جهلا ان نسبت الى الصبا * فافرح فانك منه في ريعان

(وركب) المستعين بالله يوما نهر سرقسطة يريد طراد لذته وارتياد نزهته وافتقاد أحد حصونه المنتظمة بلبته واجتمع له من أصحابه من اختصه لاستصحابه وفيهم أبو الفضل مشاهد الانفراجهم سالكا لمنهاجهم والمستعين قد أحضر من آلات ايناسه وأظهر من أنواع ذلك وأجناسه ما راق من حضر وفاق حسنه الروض الانضر والزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار تحبس السائر عن عدوه وتخرس الطائر المفصح بشدوه والسمك تثيرها المكائد وتغوص اليها المصائد فتبرزها للعين قضبان در وسبائك لجين والراح لا يطمس لها لامع ولا يخنس منها بصر ولا سمع والدهر قد غضت صروفه واقتبس من منكره معروفه فقال (بسيط)

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء اعتبنا * فيه بعتبي وأبدى صفح معتذر
نسير فى زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به نشرا على ملك * بد الاوائل فى ايامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * علياء مؤتمن عن هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار فى نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب فى ورد وفى صدر
والشرب فى ودمولى خلقه زهر * يذكو وغرته أبهى من القمر

(الوزير الجليل أبو عامر بن ينق)

بهر ذكاء وطبعا وعمر للمحاسن ربعا فأقام للاعجاز برهانا وتيم الالباب واذهانا لولا عجب استهواه وأخل بما حواه وزهو ضفا على أعطافه وأخفى نور انصافه الا أن حسنة احسانه لتلك السيئة ناسخة وفى نفس الاستحسان راسخة وقد أثبت له ما تستبدعه ويفتنك مضاه فيه ومنزعه فمن ذلك قوله يمدح (بسيط)

حسبي من الدهر ان الدهر ينجح لى * بكر الخطوب وانى عاثر الامل
دعني أصادى زمانى فى تقلبه * فهل سمعت بظل غير منتقل
وكلما راح جهما رحت مبتسما * والبدر يزداد اشراقا مع الطفل
فلا يروعنك اطراقى لحادثة * فالليث مكمنه فى الغيل للغيل
فما تأطر عطف الرمح من خور * فيه ولا احمر صفح السيف من خجل
لاغرو أن عطلت من حليها هممى * فهل يعير جيد الظبي بالعطل
ويلاه هلا أنال القوس باريها * وقلد السيف جيد الفارس البطل

ومنها فى المديح

أغر ان تدعه يوما لنائبة * جلا ولا يكشف الجلى سوى جلل
قد أوسع الارض عدلا والبلاد ندى * فالروض طلق الربى والشمس فى الحمل
يرعى الممالك فى قرب وفى بعد * ويأخذ الامر بين الريث والعجل
ذو عزمة لخطوب الدهر يردها * أمضى من الصارم المطرور فى القلل
وذو أياد على العافين جاد بها * أشفى من البارد السلسال للغلل

مصرّف قصب الاقلام نال بها * مناله بشبا الخطية الذبل
من كل أهيف ما فى متنه خطل * والسمهرية قد تعزى الى الخطل
دع عنك ما خلدت يونان من حكم * وسار فى حكماء الفرس من مثل
وانظر اليها تجدها أحرزت سبقا * فى الجهد منها وحاز السبق فى مهل

وله يتغزل (طويل)

وهيفاء يحكيها القضيب تأوّدا * اذا ما انثنت فى الريط أوحبراتها
يضيق الازار الرحب عن ردفها كما * تضيق بها الاحشاء عن زفراتها
وما ظبية اذما تألف وجرة * ترود ظلال الغيل أو أثلاتها
بأحسن منها يوم أومت بلحظها * الينا ولم تنطق حذار وشاتها

(الوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان رحمه الله تعالى)

مبرز فى البيان ومحرز الخصل عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالا أرقاه الى مجالس وكساه ملابس فاقتطع اسمى الرتب وتبوّاها ونال اسنى الحظوظ وما تملاها فان دهره كرّ عليه بخطوبه وسفرله عن قطوبه فكدّر عيشه بعد ما صفا وقلص برده الذى كان ضفا وتجرع آخر عمره من كؤس الذل أبشعها ذوقا ولبس من ملابس الهوان أشوهها طوقا فى قصة أساء بها ابن حمدين وما أجمل وجاء بها شوهاء لا تتأمّل وأخلاقه هى التى فلت من غربه وكانت سببا لطول كربه فانها كانت تحتدم فى جوانحه احتدام القيظ تكاد تميز من الغيظ وكان رحمه الله ظاهر الصواب متى نبس طاهر الاثواب من كل دنس معجزا ببيانه موجزا فى كل أحيانه وقد أثبت له ما تعلم به حقيقة قدره وتعرف كيف أساء الزمان اليه بغدره فمن ذلك قوله (كامل)

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالى السمر زرق نطاف
وتجللوا الغدران من ماذيهم * مرتجة الاعلى الى الاكتاف

(الوزير الكاتب أبو بكر بن الملح)

حل كنفى العلم والعليا وأخذ بطرفى الدين والدنيا فهصر أفنان الفتوة واقتصر برهة على اجتلاء غرر الامانى المجلوة لم يتأنس بها الابنشوة ولم يتنفس فيها الاعن صبوة ولا طاف مدتها بركن استتار ولا عاف مورد استهتار والدين يلحظه بطرف كاف وقلب عليه مؤتلف الى أن أقصر باطله واستبصر مسوّفه ومماطله

فعرى من ذلك اللبوس وبرى من تلك الكؤس وأصبح ثانى الاكابر وراقى أعواد المنابر وقد أثبت له مايستجاد ويرتادله تهائم ونجاد فمن ذلك قوله (كامل)

والروض يبعث بالنسيم كأنما * أهداه يضرب لاصطباحك موعدا
سكران من ماء النعيم فكلما * غناه طائره وأطرب ردّدا
يأوى الى زهر كأنّ عيونه * رقباء تقعد للاحبة مرصدا
زهر يبوح به اخضرار نباته * كالزهر أسرجها الظلام وأوقدا
ويبيت فى فنن توهم ظله * يمسى ويصبح فى القرارة مرودا
قد خفّ موقعه عليه وربما * مسح النعيم بعطفه فتأودا

وله يتغزل (خفيف)

حسب القوم اننى عنك سال * أنت تدرى صبابتى ما أبالى
قمرى أنت كل حين وبدرى * فتى كنت قبل هذا هلالى
أنت كالشمس لم تغب لى ولكن * حجبت ليلها حذار الملال

وله يتغزل أيضا (منسرح)

ظبى يبوح الهوى بناظره * حتى اذا مارمى به انبعثا
مبتدع الخلق لاكفاء له * يعدّ شكوى صبابتى رفثا
أنكر سقمى وماقصدت له * وما تعرضت للهوى عبثا
أقسم فى الحب ان أموت به * فما قضى برّه ولا حنثا

تمّ القسم الثانى من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان
المضمن غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب البلغاء

القسم الثالث من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان
فى لمع اعيان القضاة ولمح اعلام العلماء السراة

(الفقيه القاضى أبو الوليد الباجى رحمه الله تعالى)

بدر العلوم اللائح وقطرها الغادى الرائح وثبيرها الذى لايزحم ومنيرها الذى ينجلى به ليلها الاسحم كان امام الاندلس الذى تقتبس أنواره وتنتجع انجاده

واغواره

وأغواره رحل الى المشرق فعكف على الطلب ساهرا وقطف من العلم أزاهرا وتفنن فى اقتنائه وثنى اليه عنان اعتنائه حتى غدا مملوء الوطاب وعاد بلح طلبه الى الارطاب فكرّ الى الاندلس بحر الاتخاض بلجه وبحر الا يطمس منهجه فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول وانتقل من محجر الى ناظر وتبدل من يانع بناضر ثم استدعاه المقتدر بالله فسار اليه مرتاحا وبدا فى أفقه ملتاحا وهنالك ظهرت تآليفه وأوضاعه وبدا وخده فى سبل العلم وايضاعه وكان المقتدر يباهى بانحياشه الى سلطانه وايثاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله فى مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقفه على ذاته ولا يصرفه فى رفث القول وبذاذاته (فمن ذلك) قوله فى معنى الزهد (متقارب)

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه

فلم لا أكون ضنينا بها * واجعلها فى صلاح وطاعه

(وله يرثى ابنيه) وماتا مغتربين وغربا كوكبين وكانا ناظرى الدهر وساحرى النظم والنثر (طويل)

رعى الله قبرين استكانا ببلدة * هما اسكناها فى السواد من القلب

لئن غيبا عن ناظرى وتبوّأى * فؤادى لقد زاد التباعد فى القرب

يقرّ بعينى أن أزور ثراهما * وألزق مكنون الترائب بالترب

وأبكى وأبكى ساكنيها العلى * سأنجد من صحب واسعد من سحب

فما ساعدت ورق الحمام أخا أسى * ولا روّحت ريح الصبا عن أخى كرب

ولا استعذبت عيناى بعدهما كرى * ولا ظمئت نفسى الى البارد العذب

أحنّ ويثنى اليأس نفسى عن الاسى * كما اضطرّ محمول على المركب الصعب

(وله) يرثى ابنه محمدا (كامل)

أمحمد ان كنت بعدك صابرا * صبر السليم لما به لا يسلم

ورزئت قبلك بالنبىّ محمد * ولرزؤه أدهى لدىّ وأعظم

فلقد علمت بأننى بك لاحق * من بعد ظنى اننى متقدم

لله ذكر لا يزال بخاطرى * متصرّف فى صبره متحكم

فاذا نظرت فشخصه متخيل * واذا أصخت فصوته متوهم

وبكل أرض لى من اجلك لوعة * وبكل قبر وقفة وتلوّم

فاذا دعوت سواك حاد عن اسمه * ودعاه باسمك مقول بك مغرم
حكم الردى ومناهج قد سنها * لأولى النهى والحزن قبل متمم

(الوزير الفقيه أبو مروان بن سراج رحمه الله تعالى)

أحد أعيان البيان وخاتم أعلام الكلام ومعين الانتخاب والانتداب على طموس رسم اللغات والآداب فانه أودى فطويت المعارف وتقلص ظلها الوارف لانه كان لجة بحر وكان بالاندلس كعمرو بن بحر وزانها بمعرفته كدر بنحر وكانت دواوين العلم مقفلة ففتحها ومبهمة فأوضحها وشرحها وجاء ابنه بعده فصارت رباعه به أواهل ولم تعد معالمه بعده مجاهل الا ان أبا مروان كان دوح ذلك الفرع ومدر ذلك الضرع وصحب شيوخا درجة أبي الحسين أن يحمل عن طلبتهم وينزل عن مرتبتهم وكان في ضبطه وتقييده وحله لتشبك الغرض وتعقيده في حد لا يأتي عليه تحديد ولا يعبر عنه لسان حديد الا انه كان يضجر عند السؤال فما يكاد يفيد ويتفجر غيظا على الطالب حتى يتبلد ولا يستفيد وقد أثبت من بدائع أقواله ما تعيد القول في استحسانه وتبديه وتلتحف سناه وترتديه (فمن ذلك) قوله يمدح المظفر بن جهور رحمه الله (كامل)

اماهو الأفقى أعز مكان * كم صارم من دونه وسنان
بين حروب لم تزل تغذوهم * حتى الفطام ثديها بلبان
في كل أرض يضربون قبابهم * لا يمنعون تخير الاوطان
أوما ترى أوتادها اقصد القنا * وحبالهن ذوائب الفرسان
عجبا الاسد في القباب تكافت * برعاية الظبيان والغزلان
ولقد سريت وما صحبت على السرى * غير النجوم ارادة الكتمان
في ليلة نظرت الى نجومها * أتقحم الغمرات غير جبان
قالت فتاتهم وقد نبهتها * والليل ملقى كلكل وجران
كيف اجترأت على تجاوز من ترى * من نائم حولي ومن يقظان
أولست انسانا وما ان تنتهي * هذى النهاية جرأة الانسان
فاجبتها ان ابن جهور الرضى * منع المخاوف أن تحل جناني

ومنها في العتاب والاستمناح

أنعو دلوى من بحور سماحكم * صفرا وليست رثة الاشطان

ويكون ربعي مستبينا جدبه * حتى أهيم بنجعة البلدان
قسى بمن ينأى برفع مكانه * بنديك العالى وخفض مكانى
أمن السوية أن يحلوا بالربى * من أرضكم وأحل بالغيطان
ان ترخصوا خطرى فكم مغل به * يستام فيه بأرفع الاثمان

(الوزير الفقيه أبو عبيد الله البكرى رحمه الله تعالى)

عالم الاوان ومصنفه ومقرط البيان ومشنفه بتآليف كأنها الخرائد وتصانيف أبهى من القلائد حلى بها من الزمان عاطلا وارسل بها غمام الاحسان هاطلا ووضعها فى فنون مختلفة وأنواع وأقطعها ماشاء من اتقان وابداع واما الادب فهو كان منتهاه ومحل سهاه وقطب مداره وفلك تمامه وابداره وكان كل ملك من ملوك الاندلس يتهاداه تهادى المقل للكرى والآذان للبشرى على هناة كانت فيه فانه رحمه الله كان مباكرا للراح لايصحو من خمارها ولايمحو رسم ادمانه من مضمارها ولايريح الاعلى تعاطيها ولايستريح الاالى معاطيها قد اتخذ ادمانها هجيره ونبذ من الاقلاع نبذ عاصم بن الايمن مجيره فلما حان انقراض شعبان وانصرامه كانت فيه مستبشعة الذكر مستشنعة النكر تمحوها الاوهام والخواطر ويثبتها السماع المتواتر وقد أثبت له مايشهد له بتقدمه ويريك منتهى قدمه رأيته وأنا غلام ماأقر هلالى ولا نبع فى الذكاء كوثرى ولازلالى فى مجلس ابن منظور وهو فى هيئة كانما كسيت بالبهاء والنور وله سبلة تروق العيون اعياضها ويفوق السواد بياضها وقد بلغ سن ابن محلم وهو يتكلم فيفوق كل متكلم فجرى ذكر ابن مقلة وخطه وأفيض فى رفعه وحطه فقال (بسيط)

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته * ودت جوارحه لو أصبحت مقلا
فالدر يصفر لاستحسانه حسدا * والورد يحمر من ابداعه خجلا

(وله فصل من كتاب راجع به الفقيه الاستاذ أبا الحسن بن درى رحمهما الله) وتالله انى لا أطمع جنى محاورتك فيقف فى اللهاة وأجد لتخيل مجالستك ما يجده الغريق للنجاة واعتقد فى مجاورتك مايعتقده الجبان فى الحياة (طويل)

متى تخطئ الايام فى بأن أرى * بغيضا بناءى أو حبيبا يقرب

ورأيت رغبتك فى الكتاب الذى لم يحرر ولم يتهذب وكيف التفرغ لقضاء أرب

والنشاط قد ولى وذهب فما أجده الا كما قيل (كامل)

نزرا كما استكرهت عائر نفحة * من فأرة المسك التى لم تفتق

وان يعن الله على المراد فبك والله يستفاد وبرغبتك أخرجه الى الوجود من العدم واليك لا يصل أدنى ظلم بحول الله (وله فصل من رقعة يهنئ بها الوزير الاجل أبا بكر بن زيدون بالوزارة) أسعد الله بوزارة سيدى الدنيا والدين وأجرى لها الطير الميامين ووصل بها التأييد والتمكين والحمد لله على أمل بلغه وجذل قد سوّغه وضمان حققه ورجاء صدّقه وله المنة فى ظلام كان أعزه الله صبحه ومستبهم غدا شارحه وعطل نحر كان حليه وضلال دهر صار هديه

فقد عمر الله الوزارة باسمه * وردّ اليها أهلها بعد اقصار

(الفقيه الاجل قاضى الجماعة أبو عبد الله بن حمدين رحمه الله)

حامى ذمار الدين وعاضده وقاطع ضرر المعتدين وخاضده ملك للعلوم زماما وجعل العكوف عليها الزاما فجار رسمها وأعلى اسمها وخاصمت الملحدين منه ألسن لدّ وتهدّلت به على العالمين أغصن ملد وكفّ أيدى الظالمين فلم تكن لهم استطالة وأرهف خواطر المجتهدين فلم تسنح لهم بطالة فأصبح أهل مصره بين دارس علم ولابس حلم وآيس ظلم ناهيك من رجل كثير الرعى لاهل المعارف مؤومن برّه الى ظل وارف أعمّ الورى منة وأعظم خلق الله منة أقام وأقعد وأدنى وأبعد وأنحس وأسعد فتقلصت به الظلال وفاءت وحسنت به الايام وساءت وأعمل للضرّ والنفع لسانه ويده وشغل بالرفع والوضع يومه وغده وعمر بهما فكره وخلده حتى هدّ الجبال الشوامخ واجتث الاصول الرواسخ ولما أدار ابن الحاج من خلاف سنة تسع وتسعين ما أدار واتفق هو ومن واطأه على ما فسحته الاقدار استشير فى الخلع فما استساغه وأذيع خبره فلم يكن فيمن راعه وعرض على الحمام فما هابه ووالى فى نقض ما أبرم جيأته وذهابه وسعى فى ذلك بنفسه وقنع من غده بذكر أمسه فلما انجلت ظلماؤه وتحلت بنجوم ظفره سماؤه أغرى بالمطالبين اهتضامه وحيفه وسرى مكره سرى قيس لجمل وحذيفة وأعلن لمن أسر اغراءه ولم ينظر بالمكروه نظراءه فأخمل منهم اعلاما وأورث نفس الدين منهم آلاما وألبسهم ما شاء ذمّا من الناس وملاما فدجت مطالع شموسهم وخلت مواضع تدريسهم فأصبحوا ملتحفين بالمهانة متشوّفين الى الاهانة يروعهم الرواح

والغدو

والغدو ويحسبون كل صيحة عليهم هو العدو ويذعرهم طروق النوم للاجفان ويذكرهم الثابت العرفان قد فقدوا حبورا وعادت منازلهم قبورا الى ان نفس مخنقهم بعد أحوال وخلا أفقهم من تلك الاهوال فتنشقوا ريح الحياة وأشرقوا من تلك الظلمات بعد ان أحال البوس نعيمهم وأخذ الحمام زعيمهم وكان رحمه الله متضح طريق الهدى منفسح الميدان فى العلم والندى مع أدب كالبحر الزاخر ونثر كالدر الفاخر وقد أثبت له منه ما تعذب مقاطفه وتلين معاطفه (فمن ذلك فصل راجع به ابن شماخ) عمر بابك وأخصب جنابك وطاوعك زمانك ونعم بك أوانك (كامل)

وسقى بلادك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

غادر ح لسبيله من كنت سلالة سليله ووارث معرسه ومقيله وما حام وضرع لخر رمى عن وتر قوسك ونزع فلم يهلك هالك ترك مثل مالك فتركت المهاد وألفت السهاد وتقيلت الآباء والاجداد فأسرجت فى ميدان الحمد براقا اتخذ الريح خافية وساقا فاحتل من شعاب المجد صقعا أثار به نقعا ودوم فى أفق السماء تدويم فرخ الماء حتى كأنه على قة الرأس ابن ماء فأخلق لباهر فضلك أن يطول فيقول (خفيف)

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى * وبنفسى فخرت لا بجدودى

أو يتنزل فيتمثل (كامل)

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

كم متعاط شأو طلقك سولت له نفسه شق غبارك واقتفاء مناهج آثارك فما أدرك وطلح بعيره وبرك (وفى فصل منها) بيننا وسائل أحكمتها الاوائل ماهى بالانكاث والوشائج الرثاث من دونها عهد جناه شهد أرج عرف النسيم مشرق جبين الاديم رائق رقعة الجلباب مقتبل رداء الشباب كالصباح المنجاب تروق أساريره وتلقاك قبل اللقاء تباشيره (وافر)

ورثناهن عن آباء صدق * ونورثها اذا متنا بنينا

(الفقيه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى)

عليه رحمة الله وجزيل غفرانه

شيخ المعارف وامامها ومن في يديه زمامها لديه تنشد ضوال الاعراب وتوجد شوارد اللغة والاعراب الى مقطع دمث ومنزع في النفاسة غير منتكث وكان له في دولة بن رزين مجال ممتد ومكان معتد ولما رأى الاحوال واختلالها والاقوال واعتلالها وتلك الشموس قد هوت ونجوم الآمال قد خوت أضرب عن سواه ونكب عن نجواه واغترب بلوعة ابن رزين وجواه ونصب نفسه لاقراء علوم النحو وقنع بتغييم جوه بعد الصحو وله تحقق في العلوم الحديثة والقديمة وتصرف في طرقها القويمة ماخرج بمعرفتها عن مضمار شرع ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع وتآليفه في المشروحات وغيرها صنوف وهي اليوم في الآذان شنوف وقد أثبت له ما يريك شفوفه وتجد على النفس حفوفه (فمن ذلك) قوله في طول الليل (طويل)

ترى ليلنا شابت نواصيه كبرة * كما شبت أم في الجو روض بهار
كأن الليالي السبع في الافق علقت * ولا فصل فيما بينها بنهار

(وأخبرني) انه حضر مع المامون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح اليها المنى ومرآها هو المقترح والمتمني والمأمون قد احتبى وأفاض الحبا والمجلس يروق كأن الشمس في أفقه والبدر كالتاج في مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر الحوار أو كثكلى من حر الاوار والجو قد عنبرته أنواؤه والروض قد وشته امطاره وانداؤه والاسد قد فغرت أفواهها ومجت أمواهها فقال (منسرح)

يا منظرا ان نظرت بهجته * أذكرني حسن جنة الخلد
تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ما ورد
والماء كاللازورد قد لفظت * فيه اللآلي فواغر الاسد
كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد
(ومنها) تخاله ان بدا به قمرا * تما بدا في مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه * ما حاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها فروضها * بوابل من يمينه رغد
لازال في عزة مضاعفة * ميمم الرفد واري الزند

(وله رقعة يصف فيها هذا التصنيف) تأملت فسح الله لسيدي ووليي في أمد بقائه

كتابه الذى شرع فى انشائه فرأيت كتابا سينجد ويغور ويبلغ حيث لا تبلغ البدور وتبين به الذرى والمناسم وتغتدى له غرر فى أوجه ومواسم فقد أسعد الله الكلام لكلامك وجعل النيرات طوع أقلامك فأنت تهدى بنجومها وتردى برجومها فالنثرة من نثرك والشعرى من شعرك والبلغاء لك معترفون وبين يديك متصرفون وليس يساريك مبار ولا يجاريك الى الغاية مجار الا وقف حسيرا وسبقت ودعى أخيرا وتقدمت لا عدمت شفوفا ولا برح مكانك بالآمال محفوفا بعزة الله (وله) يراجع الاستاذ أبا محمد بن جوشن على شعر كتب به اليه وتضمن غزلا فى أول القصيدة فحذا حذوه (طويل)

حلفت بثغر قد حمى ريقه العذبا * وسل عليه من لواحظه عضبا
وفرحة لقيا أذهبت ترحة النوى * وعتبى حبيب هاجر أعقبت عتبا
لقد هز عطفى بالقريض ابن جوشن * سرورا كما هزت صبا غصنا رطبا
كسانى ارتياح الراح حتى حسبتنى * حليف بعاد نال من حبه قربا
وأطربنى حتى دعانى الورى فتى * وقالوا كبير بعد كبرته شبا
كأن المثانى والمثالث هيجت * سرورى ولم أسمع غناء ولا ضربا
فيا مزمع الترحال قل لابن جوشن * مقال محب لم يشب جده لعبا
أمهدى سجاياه الى وناظما * لى الشهب عقدا راق فى نظمه عجبا
وما خلت اهداء الشمائل ممكنا * لمهد وأن الدهر ينتظم الشهبا
فهل نال عبد الله من سحر بابل * نصيبا فأربى أوحوى الدهى والاربا
ليهنك فضل حزت من خصله المدى * ونظم بديع قد غدوت له ربا
وهاك سلاما صادرا عن مودة * عمرت بها منى الجوانح والقلبا

(وله) فى الزهد من لزوم ما لا يلزم (طويل)

أمرت الهى بالمكارم كلها * ولم ترضها الا وأنت لها أهل
فقلت اصفحوا عمن اساء اليكم * وعودوا بحلم منكم ان بدا جهل
فهل لجهول خاف صعب ذنوبه * لديك أمان منك أوجانب سهل

(وله) فى التوحيد والرد على من قال بغيره (طويل)

الهى انى شاكر لك حامد * وانى لساع فى رضاك وجاهد
وانك مهما زلت النعل بالفتى * على العائد التواب بالعفو عائد

تباعدت مجدا واذنيت تعطفا * وحلما فأنت المدنى المتباعد
ومالى على شئ سوالـ معوّل * اذا دهمتنى المعضلات الشدائد
أغيرك أدعو لى الها وخالقا * وقد أوضح البرهان أنك واحد
وقدما دعا قوم سواك فلم يقم * على ذاك برهان ولالاح شاهد
وبالفلك الدوار قد ضل معشر * وللنيرات السبع داع وساجد
وللعقل عباد وللنفس شيعة * وكلهم عن منهج الحق حائد
وكيف يضل القصد ذو العلم والنهى * ونهج الهدى من كان نحوك قاصد
وهل فى الذى طاعوا اله وتعبدوا * لامرك عاص أو لحقك جاحد
وهل يوجد المعلول من غير علة * اذا صح فكرا ورأى الرشد راشد
وهل غبت عن شئ فينكر منكر * وجودك أم لم تبد منك الشواهد
وفى كل معبود سواك دلائل * من الصنع تبدى أنه لك عابد
وكل وجود عن وجودك كائن * فواحد أصناف الورى لك واحد
سرت منك فيها وحدة لو منعتها * لاصبحت الاشياء وهى بوائد
وكم لك فى خلق الورى من دلائل * يراها الفتى فى نفسه ويشاهد
كفى مكذبا للجاحدين نفوسهم * تخاصمهم ان أنكروا وتعاند

(وله) يجيب شاعرا قرطبيا مدحه (بسيط)

قل للذى غاص فى بحر من الفكر * بذهنه فحوى ماشاء من درر
لله عذراء زفت منك رائحة * تختال من حبرها المرقوم فى حبر
صداقها الصدق من ودّى ومنزلها * بصيرتى وسواد القلب والبصر
هزت بدا نعمها عطفى من طرب * لحسنها هزة المشغوف بالذكر
كأنما خامرتنى من بشاشتها * راح وسكر بلاراح ولاسكر
ما كنت أحسب ان النيرات غدت * يصيدها شرك الاوهام والفكر
ولا توهمت أيام الربيع ترى * فى ناضر غضة الانوار والزهر
أما الجزاء فشئ لست مدركه * ولو بدرت الى التوجيه بالبدر
لكن جزائى صفاء الود أضمره * اذا القلوب انطوت منه على كدر
جار الذهن فى مضمارها فكبا * ذهنى وفزت بفضل السبق والظفر
وهل بطلميوس فى نظم مناظرة * يوما القرطبة فى حكم ذى نظر

(وله)

(وله) يصف زبرطانة ملغزا (وافر)

وذات عمى لها طرف بصير * اذا رمدت فأبصر ماتكون

لها من غيرها نفس معار * وناظرها الذى الابصار طين

وتبطش باليمين اذا أردنا * وليس لها اذا بطشت يمين

(وكتب الى الاستاذ أبي الحسن بن الاخضر رحمه الله) ياسيدى الاعلى وعمادي الاسنى وحسنة الدهر الحسنى الذى جل قدره وسار مسير الشمس ذكره ومن أطال الله بقاءه لفضل يعلى مناره وعلم يحيى آثاره نحن أعزك الله نتدانى اخلاصا وان كنا نتناءى أشخاصا ويجمعنا الادب وان فرقنا النسب فالاشكال أقارب والآداب مناسب وليس يضر تنائى الاشباح اذا تقاربت الارواح وما مثلنا فى هذا الانتظام الا كما قال أبو تمام (طويل)

نسيبى فى رأيى وعلمى ومذهبى * وان باعدتنا فى الاصول المناسب

ولولم يكن لما ترك ذاكر ولا لمفاخرك ناشر الا ذو الوزارتين أبو فلان أبقاه الله لقام لك مقام سحبان وائل وأغناك عن قول كل قائل فانه يجد فى مضمار ذكرك باعا رحيبا ويقوم بفخرك فى كل ناد خطيبا حتى يثنى اليك الاحداق ويلوى نحوك الاعناق فكيف وما يقول الا بالذى علمت سعد وما تقرر فى النفوس من قبل ومن بعد فذكرك قد أنجد وأغار ولم يسر فلك حيث سار وان ليل جهل أطلعت فيه فجر تبصيرك لجدير بان يصير نهارا وان نبع فكر قدحته بتذكيرك لحقيق أن يعود مرخا وعفارا فهنيئا لك الفضل الذى أنت فيه راسخ القدم شامخ العلم منشور اللواء مشهور الذكاء ملأت الآداب عمرك ولا عدمت الالباب ذكرك ورقيت من المراتب أعلاها ولقيت من المآرب أقصاها بفضل الله

(وكتب مراجعا الى الوزير أبي محمد بن سفيان رحمه الله) ياسيدى الاعلى وعمادى الاسنى ومشربى الاصفى أدام الله عزته وحمى من النوائب حوزته وافانى لك كتاب سرى الموضع سنى الموقع أطال الله على ايجازه وأطمع على اعجازه وقابلت الرغبة التى ضمنتها فيه بما تقتضيه جلالة مهديه ولئن تراخى الكتاب عن حسن فى ذلك العتاب فان المودة لم يقدح فيها من الملل قادح ولم يسنح لها من الخلل سانح بل كانت كالبرد تطوى على غره الى أوان جلائه ونشره وقد علم علام الضمائر والذى يظن غائبا وهو حاضر انى أعتقدك القدح المعلى

وأضرب بك المثل الاعلى وأرى انك تحجيل واضح فى دهمة الزمان وعلق راجح فى كفة الامتحان وبقية سنخ كريم ماعهدهم عند نابذميم (طويل)

عليهم سلام الله ماذر شارق * ورحمته ماشاء أن يترحما

وماأدعى لك جانبا من السيادة الاولك عليه أعدل الشهادة ولكن قد عاسفل ذو الرجحان وعاد الكمال على أهله بالنقصان وكبت الاعالى بارتفاع الاسافل حتى اقتضى ذلك قول القائل (طويل)

فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص * ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل

وقال المذمر للناتجين متى ذمرت قبلى الارجل وقد جاريتك أعزك الله فى ميدان من البلاغة أنا فيه كمن كاثر البحر والمطر وجلب التمر الى هجر والذى حدانى اليه انه مرلى زمن ألهى خاطرى عنك فيه وسن فقلت قد كان من العقوق ترك رعاية الحقوق فلا أستمطرن مزن القول فقد كنت عهدتها تنسجم فتغدق ولا أستسقين جابية الشيخ العراقى فقد كانت تطم فتفهق أيام كنت أسحب ذيل الشباب وأسلك مسلك الكتاب ويجيبنى سلوك سهل الكلام وحزونه والتصرف بين أبكاره وعونه أستن استنان الطرف الجامح ولا أثنى عنان الطرف الطامح وأروى هامتى وأقول عاصبت على غمامتى الى ان نعم مفرقى بالقتير وعلتنى أبهة الكبير وودعت زمنى الزائل وعادت سهامى بين رث وناصل وعريت أفراس الصبا ورواحله وسدت على سوى قصد السبيل معادله فلئن هريق ماء الشباب واستشن الأديم وأقشع السحاب وتجلت الغيوم فلعل فى الافق ربابة وفى الحوض صبابة وعسى أن يكون فى اخلاف المقالة در يرضع وفى حقاق البلاغة در يرصع ولأزفها عذراء لاترتضى الا الاكفاء فليس يلبن النجد الا فى مارق الهيجاء ولا يحسن العقد الا فى عنق الحسناء ولاجعلن الشعر لها شعارا وفقر النثر لها دثارا فاهتصرها الملك ولهى عروبا قد رضيت بك محبا ومحبوبا فتضمخك بمسكها وتؤمنك من فركها وتذر ذرور الشمس عليك وتهز فى ندوة الحى عطفيك فان قضت من حقك فرضا ورتقت من فتق الاخلال ولو بعضا فذلك ماتضمنه الخاطر الذى نمنم بردها ونظم عقدها وان أخلف الظن ماأوهم ووعد وقصر الذهن فيما أحكم وسدد فللخاطر عذر فى انه منصل أغفل شحذه وجلاؤه حتى ذهب فرنده وماؤه ومنهل ضيع ورده فنضب

عده (كامل)

والشول ماحلبت تدفق رسلها * وتجف ذرتها اذا لم تحلب

(وله) من قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا محمد بن الفرج (خفيف)

نبه الليل بالوجيف ولاتو * لع بدار الهوان بالاغماض

واقرضيف الهموم كل أمون * عنتريس وبازل شرواض

أنقذتني من الردى وطأتى البيـ * ـد ونقض الهموم بالانقاض

شكلها كالقسى وهى سهام * للبلا والرغاء كالانباض

خلتها حين خاضت الليل سبحا * غمست من دجاه فى خضخاض

صدعت عرمض الدياجر حتى * كرعت فى ماء الصباح المفاض

حين راع الظلام وخط مشيب * قد سرى فى سواده ببياض

وقال فى الزهد (طويل)

بجوهرك الادنى عنيت بحفظه * وضيعت من جهل بجوهرك الاقصى

لقد بعت ما يبقى بما هو هالك * وآثرت لو تدرى على فضلك النقصا

وقال فى ذلك (طويل)

وما دارنا الاموات لو اننا * نفكر والاخرى هى الحيوان

شربنا بها عزا بهون جهالة * وشتان عز للفتى وهوان

وقال يمدح المستعين بالله بن هود رحمه الله (طويل)

هموسلبونى حسن صبرى اذ بانوا * باقمار أطوا ق مطالعها بان

لئن غادرونى باللوى ان مهجتى * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم * ينازعها مزن من الدمع هتان

أأحبابنا هل ذلك العهد راجع * وهل لى عنكم آخر الدهر سلوان

ولى مقلة عبرى وبين جوانحى * فؤاد الى لقياكم الدهر حنان

تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم * وحفت بنا من معضل الخطب ألوان

رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها * فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان

الى ملك حاباه بالمجد يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان

الى مستعين بالاله مؤيد * له النصر حزب والمقادير أعوان

ومنها يمدحه رحمهما الله

بوجه ابن هود كلما أعرض الورى * صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد فى برديه بدر وضيغم * وبحر وقدس ذو الهضاب ونهلان
من النفر الشم الذين أكفهم * غيوث ولكن الحوا طر نيران
ليوث شرى مازال منهم لدى الوغى * هزبر بيمناه من السمر ثعبان
وهل فوق ماقد شاد مقتدر لهم * ومؤتمن بالله لقياه ايمان

(وله) يعزى ذا الوزارتين أباعيسى بن لبون فى أخيه (كامل)

للمرء فى أيامه عبر * والصفو يحدث بعده كدر
خرس الزمان لمن تأمله * نطق وخبر صروفه خبر
نادى فأسمع لو وعت أذن * وأرى العواقب لو رأى بصر
كم قال هبوا طالما هجعت * منكم عيون حقها السهر
ابأذن من هو مبصرى صمم * أم قلب من هو سامعى حجر
لولا عماكم عن هدى نذرى * ومواعظى ماجاءت النذر

(ومنها)

هذى مصارع معشر هلكوا * وعظتكم بالعتب فاعتبروا
قالت أرى ليل الشباب بدت * للشيب فيه انجم زهر
فأجبتها لا تكثرى عجبا * من شيبة لم يجنها كبر

(ومنها)

لكن طويت من الهموم لظى * انحى لها فى عارضى شرر
حسنت شمائلكم وأوجهكم * فتطابقا مرأى ومختبر
والحسن فى صور النفوس وان * راقتك من أجسامها الصور
لاضعضعت أيدى الخطوب لكم * ركنا ولاراعتكم الغير

(وله) يصف فرسا (طويل)

وأدهم من آل الوجيه ولاحق * له الليل لون والصباح حجول
تحير ماء الحسن فوق أديمه * فلولا التهاب الحضر ظل يسيل
كأن هلال الفطر لاح بوجهه * فأعيننا شوقا اليه تميل
كأن الرياح العاصفات تقله * اذا ابتل منه محزم وتليل
اذا عابد الرحمن فى متنه علا * بدا الزهو فى العطفين منه يجول

فمن رام تشبيها له قال موجزا * وان كان وصف الحسن منه يطول
هو الفلك الدوار فى صهواته * لبدر الدياجى مطلع وأفول

(وله يخاطب مكة) أعزها الله تعالى (طويل)

أمكة تفديك النفوس الكرائم * ولا برحت تنهل فيك الغمائم
وكفت أكف السوء عنك وبلغت * مناها قلوب كى تراك حوائم
فانك بيت الله والحرم الذى * لعزته ذلت الملوك الاعاظم
وقد رفعت منك القواعد بالتقى * وشادتك أيد برة ومعاصم
وساويت فى الفضل المقام كلاكما * ينال به الزلفى وتمحى المآثم
ومن أين تعدوك الفضائل كلها * وفيك مقامات الهدى والمعالم
ومبعث من ساد الورى وحوى العلا * بمولده عبد الاله وهاشم
نبى حوى فضل النبيين واغتدى * لهم أولا فى فضله وهو خاتم
وفيك يمين الله يلثمها الورى * كما يلثم اليمنى من الملك لاثم
وفيك لابراهيم اذ وطئ الصفا * ضحا قدم برهانها متقادم
دعا دعوة فوق الصفا فأجابه * قطوف من الفج العميق وراسم
فاعجب بدعوى لم تلج مسمعى فتى * ولم يعها الاذكى وعالم
ألهفى لاقدار عدت عنك همتى * فلم تنتهض منى اليك العزائم
فياليت شعرى هل أرى فيك داعيا * اذا جأرت لله فيك الغمائم
وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها * خطا فيك لى أو يعملات رواسم
وهل لى من سقيا حجيجك شربة * ومن زمزم يروى بها النفس حائم
وهل لى فى أجر الملبين مقسم * اذا بذلت للناس فيك المقاسم
وكم زار مغناك المعظم مجرم * فحطت به عنه الخطايا العظائم
ومن أين لا يضحى مرجيك آمنا * وقد أمنت فيك المهى والحمائم
لئن فاتنى منك الذى أنا رائم * فان هوى نفسى عليك لرائم
وان يحمنى حامى المقادير مقدما * عليك فانى بالفؤاد لقادم
عليك سلام الله ما طاف طائف * بكعبتك العليا وما قام قائم
اذا نسم لم تهد عنى تحية * اليك فهديها الرياح النواسم
أعوذ بمن أسناك من شر خلقه * ونفسى فما منها سوى الله عاصم

وأهدى صلاتى والسلام لاحمد * لعلى به من كبة النار سالم

(الوزير الاستاذ أبو الحسين بن سراج رحمه الله تعالى)

كبير دار الخلافة الشهير الشفوف والانافة الذى جاءت به الدنيا كما شاءت العليا وقار كان به تثبت الارض ومقدار له النافلة فى الجلالة والفرض همى به للمعارف انسجام وأفصح منها استعجام فوسم علمه اغفالا وأوضح فهمه اشكالا وغدت به العلوم قد فض ختامها وانتفض قتامها وسهل صعبها وسلك شعبها ثم مضى فسد الدهر مطلعه وضم عليه القبر أضلعه فأضحت المعالى قد أقفر ربعها وتفرق جمعها وعادت المعارف قد طفئ سراجها واستبهم انفراجها وأعيا على الناس علاجها فأمست الدنيا كان لم تنر بضيائه وغدت المعالى ضاحية من أفيائه وكانت له شذور بيان كأنها اشرجان أو بشر بامان والماء بابداع كأنه انتظام الجواهر وابتسام الازاهر (وقد أثبت له ما تضوع به الآفاق وتخلع عليه سوادها الاحداق (فمن ذلك رقعة خاطبنى بها) منها كتبت وروض العهد قد أفصحت أناشيده وديوان الود قد صحت أسانيده ودوح الاخاء يتفاوح زهرا ويتناوح مجتنى ومهتصرا والله يصوب مزنته بشآبيب الوفاء ويغمر نغبته أعلى درجات العذوبة والصفاء برحمته وأما تلك المراجعة فكانها الماء عاقت عقت وقد نالها من عتابى فى ذلك ما استحقت (وله يصف كتابا (وافر)

كتاب يزدرى بالسحر حسنا * وسمت به زمانك وهو غفل

معان تعبق الآفاق منها * يشيب لها حسودك وهو طفل

(وله فى ثوب رآه على غير أهله) وكان عهده على من كان يوده (بسيط)

يالابس الثوب لاعريت من سقم * ولا تخطاك صرف الدهر والخطر

ويحى عليه ولهفى من تبدله * كم قد تطلع من أطواقه القمر

وكم ترنح فى أثنائه غصن * منعم النبت يدمى خده النظر

وكم ثنيت يدى عنه وقد نعمت * وظل منها فتيت المسك ينتثر

فاليوم أوحش مما كنت أعهده * كذا الصفو الليالى بعده الكدر

وله متغزلا (كامل)

لما تبوأ من فؤادى منزلا * وغدا يسلط مقلتيه عليه

بادية مسترجاً من زفرة * أفضت بأسرار الضمير اليه
وقفا بمنزلك الذى تحتله * يامن يخرّب بيته بيديه

وله (طويل)

لئن لم تفز عيناى منك بنظرة * ولم أقض من لقياك ما كنت آمل
فعالم ما تخفى السرائر عالم * بأنك فى عينى وقلبى ممثل
وانك فيمن أنتقيه بخلة * وأمحضه ودّى لصدر وأوّل

(وأنشدنى) له الفقيه أبو الفضل بن موسى بن عياض (بسيط)

عيابعينيك من غنج ومن دعج * ومن صوارم تنضوها على المهج
لا ترتضى الخلف فى وعد تركت به * قتيل حبك قد أوفى على الفرج
أولا فتنيه المشتاق يلهيه * وفيت أولم تفى قولى بلا حرج

(وكتب) الى الراضى شافعا (بسيط)

بثّ الصنائع لا تحفل بموقعها * فيمن نأى أودنا ما كنت مقتدرا
كالغيث ليس يبالى حيثما انسكبت * منه الغمائم تربا كان أو حجرا

(ذو الوزارتين الفقيه قاضى قضاة الشرق أبو أمية ابراهيم بن عصام رحمه الله)

هضبة علاء لا تفرعها الاوهام وجملة ذكاء لا تشرحها الافهام حزم الكتائب عضائه ونظم الرياسة فى سلك قضائه اذا عقد حباه أطرق الدهر توقيرا وخلته من تهيبه عفيرا يملأ بهو بهاه ولا تغب مداه حزا وامهاء يبرم أمره نهارا وليلا ويشن من آرائه كل آونة خيلا لم يستتر الا بشمسه ولم يستشر فى رأيه غير نفسه المهابة تخدم لحظته والاصابة تقدم لفظته كان الحيا تذى بشاشته وتحفيه وكان الخلق قد جمعوا فيه وله نثر تخلت الايام بسناه ونظم استحلت الافهام جناه وقد أثبت منه ما سطورا غدا حسنها فى صفحة البدر مسطورا (فمن ذلك فصل من رقعة) كتب بها الى الرئيس الاجل أبى عبد الله بن الحاج رحمه الله فى جانبى ووصل فلان فشكر ما أوليته ونشر عما قصدته فى جانبه وأتيته ما أمال الاهواء وأطال الثناء والدعاء وحبب عندك الآمال وجنب الياس الاملال وهو ممن قد علمت أيدك الله ارتفاع شان وابداع بيان وقد نهض بعزمة لا ترى ان تخدم غيرك وهمة لا ترتضى ان تلتزم الا أمرك وتلك ترحب مقدمه وأسبل عليه دعه وعرف قدره وشرح بخلقه صدره ان شاء الله (وكتب اليه)

الوزير أبو الحسن بن الحاج (كامل)

مازلت أضرب في علاك بعزتي * دأبا وأورد في رضاك وأصدر

واليوم أعذر من يطيل ملامة * وأقول زدشكوى فأنت مقصر

فراجعه أبو أمية (كامل)

الفخر يأبى والسيادة تحجر * أن يستبيح حمى الوفاء مزور

وعليك ان ترضى بسمع ملامة * عن السناء وعهده لا يختر

ولدى ان نفث الصديق لراحة * صبر الوفي وشيمة لا تغدر

(وكتب اليه) أبو العباس الغرباني (بسيط مخلع)

أماترى اليوم ياملاذى * يحكيك في البشر والطلاقه

والبحر يرتج مثل قلب * راقب من الغد فراقه

والجو صافي الاديم زهر * مد على أرضه رواقه

فامنن بجنى اليه انى * مالى على الصبر عنه طاقه

فاجابه أبو أمية (بسيط مخلع)

عندى لما تشتهى بدار * يشهد أنى على علاقه

فاخبر بما شئت صدق عهدى * تجد دليلا على الصداقه

بوار فيق فلى الفراق قلب * قطيع ان زرته استباقه

يطلع بر الصديق بدرا * أتمه عمره محاقه

واسكن الى رأى ذى احتفاء * يعجز من رامه لحاقه

وابلغ بزرى الجلال أنى * جئت بعاقد رأى وفاقه

(وكتب) الى أبى العباس المذكور (طويل)

كتبت وعندى للنزاع عزيمة * تسهل تجشيم اللقاء على بعدى

ومعهد أنس ماعهدت تجفيا * فهل مقرض شكرى ومستقرض حمدى

وان عاق عن عهد لبولتعائق * تلطفت فى العذر الجميل الى ودى

(وكتب) اليه كاتبه أبو الحسن بابقى ابن أحدوهو بالعدوة بهذه الابيات (وافر)

قصى الدار فى أسر الغرام * أليم القلب من وقع الملام

يضاهى دمعه دمع الغوادى * ويحكى شجوه شجو الحمام

وتذكره البسيط وسنا وجوه * زهاها الحسن عن حمل اللثام

ترق له الرياح فتقتضيه * اذا هبت تحية مستهام
لضنوا بالمنام غداة ظنوا * بان الطيف يطرق فى المنام
ولولا طاعة ملكت قيادى * لابلج فى الذؤابة من عصام
لما آثرت بعدا عن حبيب * يجرع بعده غصص الحمام

فأجابه أبو أمية (وافر)

نثرنا الدر من لطف النظام * ومال برأينا سحر الكلام
وعندى للمطيع مطاع أمر * يجرد للقاء ظبا اعتزام

(الوزير الفقيه صاحب الاحكام أبو محمد عبد الله بن سماك رحمه الله تعالى)

هو وأخوه أبو عمر فرقدان متوقدان وسراجان وهاجان فرعا مجد ونبعا مجد لاوهد ما منهما الا أغر وضاحا يوضح المشكلات ايضاحا وليهما سلف تقصر عن مداناته الاقدار وشرف تمكنا منه تمكن القطب من المدار وولى الفقيه أبو محمد الاحكام فأقالها ووضع فى يد التقوى عقالها وجلاها بأسنة من العدل وشفار وأراها وجه الديانة كالصبح عند الاسفار همام اذا لقى تمام اذا استسقى فان احتفى جاد وان اصطفى كان كالصارم والنجاد مهاب مع تواضعه وهاب يضع العرف فى مواضعه لا يستنزل فى حقيقة ولا يستنزل عنها بالك النعمان ابن الشقيقة وله علم كاللجة اذا اضطربت أمواجها والكتيبة اذا تحركت أفواجها وأدب كالروض غب المطر ومذهب كالنسيم هب على الروض وخطر (وقد أثبت) من نثره المبتدع ونظمه الذى يوضع فى النفوس ويودع ما تستحليه وتقلده الاوان وتحليه (فمن ذلك) قوله يصف الروض (كامل)

الروض مخضر الربا متجمل * للناظرين بأجمل الألوان
فكأنما بسطت هناك شوارها * خود زهت بقلائد العقيان
وكأنما فتقت هناك نوافج * من مسكة مجت بصرف البان
والطير تسجع فى الغصون كأنما * نقر القيان حنت على العيدان
والماء مطرد يسيل عبابه * كسلاسل من فضة وجمان
بهجات حسن أكملت فكأنها * حسن اليقين وبهجة الايمان

(ولما حللت غرناطة) جاورته فكان لى كجار أبى دؤاد سقانى حتى أروى كل ظما وجواد وأحلنى من مبرته بين ناظر وفؤاد ووالى من الطرائف وضروب الطرائف

ما حسبتني به مفطوما يحل عن الفطام ورأيت الامانى مجنوبة الى فى خطام
وكنت كثيرا ما أجالسه فأقطف من مؤانسته أعبق نور وأخالى بمجالسته
جليس قعقاع بن شور ولا ازال بين جنى للبدائع وقطاف وأعاطى أحاديث
مستعذبات النطاف وعندما ينشرح صدرا نبساطه ويشرح بنشر الاسترسال
ومذ بساطه أستنشده لنفسه فينشدنى كل سحر حلال ويعلني منه بسلسال زلال
فيعلق سريعا بحبالة ذكرى وكم كنت أجل قول سواء ضغثا على ابالة فكرى
وعندما كنت أعزم عليه فى جمع ماله من بديع واهدا لمع من ذلك الصديع
يبدل دون ذلك حجابا ولا يولى به ايجابا فلم أزل ألح عليه الحاحا واقتدح
من ايجابه زندا واريا يعود لى فى ذلك شحاحا حتى كتب الى للكتابة أعز الله
الشريف الماجد ميدان لا يضمر له الا أفراس الرهان ولا تتسابق فيه الاجياد
الفرسان ولا يعرف فيه بالعتق الا من حاز قصب السبق فكيف بالهملاج
المقتلد مع الفرس الجواد وانى للسكيت اذا ركض مع السابق اذا نهض
كلا وان أبا نصر ناظم سلك البلاغة وقائد زمام البراعة سحبان فى زمانه وقس
فى أوانه وابن المقفع فى مكانه والجاحظ فى بيانه اذا أوجز أعجز واذا شاء
أطال وأطلق من البلاغة العقال وأتى من ذلك سحرا حلالا وسقاه عذبا
زلالا اصل للكتابة أصولا وفصل أبوابها تفصيلا وحصل اغراضها تحصيلا
فلسان الشاهد منه يقول (وافر)

تنسمت الكتابة عن نسيم * نسيم المسك فى خلق الكريم
أبا نصر وسمت لها وسوما * تخال وشومها وضح النجوم
وقد كانت عفت فأرت منها * سرابا لاح فى الليل البهيم
فتحت من الكتابة كل باب * فصارت فى طريق مستقيم
فكتاب الزمان ولست منهم * اذا راموا مرامك فى هموم
فما قس بابرع منك لفظا * ولا سحبان مثلك فى العلوم

لا غرو أعزك الله من تقصير فالكل فى ميدانك قصير ولكنها صبابة من نهرك
وغمد من بحرك أخرجها صميم ودك وابرزها صريح عقدك ومثلك طوى
عليها كشحا وأعرض عن صفحاتها صفحا وقبلها من باب الصفا وحنا عليها
من جانب الاخا والله تعالى يبقيك ويبارك للاخوان فيك بقدرته وعزته

(الفقيه الامام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله)

شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله لحفظه صدره وطاول به عمره مع كونه في كل علم وافر النصيب مباشر المعلى وبالرقيب رحل الى المشرق لاداء الفرض لابس برد من العمر الغض فروى وقيد ولقي العلماء وأسند وأبق تلك المآثر وخلد تشأ في بنية كريمة وأرومة من الشرف غير مرمومة لم يزل فيها على وجه الزمان أعلام علم وأرباب مجد ضخم قد قيدت مآثرهم الكتب وأطلعتهم التواريخ كالشهب ومابرح الفقيه أبو بكر يتسنم كواهل المعارف وغواربها ويقيد شوارد المعاني وغرائبها لاستضلاعه بالادب الذي أحكم أصوله وفروعه وعمر برهة من شبيبته ربوعه وبرز فيه تبريز الجواد المستولي على الامد وجلى عن نفسه به كما جلى الصقال عن النصل الفرد وشاهد ذلك ما أثبته من نظمه الذي يروق جملة وتفصيلا يقوم على قوة العارضة دليلا (فمن ذلك) قوله يحذر من خلطاء الزمان وينبه على التحفظ من الانسان (رمل)

كن بذئب صائد مستأنسا * واذا أبصرت انسانا ففر
انما الانسان بحر ماله * ساحل فاحذره اياك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد * ثم كن من ذلك الشخص حذر

(وله) في الزهد (رمل)

أيها المطرود من باب الرضا * كم يراك الله تلهو معرضا
كم الى كم أنت في جهل الصبا * قد مضى عمر الصبا وانقرضا
قم اذا الليل دجت ظلمته * واستلذ الجفن ان يغتمضا
فضع الخد على الارض ونح * واقرع السن على ماقد مضى

(وله) في هذا المعنى (بسيط مخلع)

قلبي يا قلبي المعنى * كم أنا أدعى فلا أجيب
كم اتمادى على ضلال * لا أرعوي لا ولا أنيب
ويلاه من سوء ما دهاني * يتوب غيري ولا أتوب
وأنسني كيف برء دائي * دائي كما شاءه الطبيب
لو كنت أدنو لكنت أشكو * ما أنا من بابه قريب

فيعدني منه سوء فعلي * وهكذا يبعد المريب
مالي قدر وأي قدر * لمن أحاطت به الذنوب

(وله) في المعنى أيضا (كامل)

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة * تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بأنك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه

(وله) في مثل ذلك (طويل)

اذا لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي مقولي صمت
فحظي اذاً من صومي الجوع والظما * وان قلت اني صمت يومي فما صمت

(وله) في المعنى الاول (طويل)

جفوت أناسا كنت آلف وصلهم * وما في الجفا عند الضرورة من باس
بلوت فلم أحمد وأصبحت آيسا * ولا شيء أشفى للنفوس من الياس
فلا تعذلوني في انقباضي فانني * رأيت جميع الشر في خلطة الناس

(وله) يعاتب بعض اخوانه (وافر)

وكنت أظن أن جبال رضوى * تزول وأن ودك لا يزول
ولكن الامور لها اضطراب * وأحوال ابن آدم تستحيل
فان يك بيننا وصل جميل * والا فليكن هجر طويل

(وأما شعره) الذي اقتدحه من مرخ الشباب وعفاره وكلامه الذي وشحه برب الغزل وأطواره فانه نسي الدهر ما تناساه وترك حين كساه العلم والورع من ملابسهما كساه (فما وقع الي) منه قوله (كامل)

كيف السلو ولي حبيب هاجر * قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا
لما درى ان الخيال مواصلي * جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله (بسيط مخلع)

يا من عهودي لديك ترعى * أنا على عهدك الوثيق
ان شئت أن تسمعي غرامي * من مخبر عالم صدوق
فاستخبري قلبك المعنى * يخبرك عن قلبي المشوق

(ابنه الوزير الفقيه الحافظ القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية وفقه الله)

بمفتوح العلاء وحرز ملابس الثناء ففاء بالدلالة وواحد العصر والاصالة وقار

كما

كأرى الهضب وأدب كما طرد السلسل العذب وشيم تتضاءل لها قطع الرياض ويبادر به الفلق المشرق الاغراض سابق الاجياد فاستولى على الامد بغلابه ولم ينض ثوب شبابه أدمن التعيف السرود باجدها حتى تغول المكوا كب فاعيدا وما اتكل على أوائله ولا سكن الى راحات بكره وأصائله آثاره في كل معرفة علم في رأسه نار وطوالعه في آفاقها صبح أو نهار (وقد أثبت) من نظمه المستبدع ونثره المسترع ما ينفح عبيرا ويتضح منيرا ويسيح غديرا فمن ذلك قوله من قصيدة (بسيط)

وليلة جبتها والجزع مرتديا * بالسيف أصحب أبنا الامن الظلم
والنجم حيران في بحر الدجا غرق * والبرق في فوق رداء الليل كالعلم
كأنما الليل زنجي بكاهله * جرح فيثعب أحيانا له بدم

(وله) يتخلق بأخلاق الشيب ويندب الشباب وهو منه في زمان قشيب ويتوجع لماسته عوض بهاء من غرابه وصفت مشرائه من شوائبه وهو يكف اللهو بطرف جامح ويكلر المنى بطرف طامح (بسيط)

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح في * ريعانه وليالي العيش اسحار
أيام روض الصبا لم تذو أغصنه * ورونق العمر غض والهوى جار
والنفس تركض في تضمير شرتها * طرفا لغير رهان اللهو امضار
عهدا كريما لبسنا منه أردية * كانت عيونا ومحت فهي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسى * كون سلاما وبردا فيه يا نار
أبعد أن نقهت نفسي وأصبح في * ليل الشباب لصبح الشيب اسفار
وقارعتني الليالي فانثنت كسرا * من صيتم ما لها ناب وأظفار
الاسلاح خلال أخلصت فلها * في منهل المجد ايراد واصدار
أصبو الى خفض عيش دوحه خضل * أو ريتني بي عن العلياء اقصار
اذا فعطلك كي من سباقهم * آثاره في رياض العلم أزهار
صحي من العيش وقد طاب مورده * ولم يشب صفوه للنقص اكدار
ومن سناكم أبا اسحق طالعني * منه هلال له في النفس ابدار
ألطفا القلب يسري منه في أفق * هلالة فيه ابدالا وا كدار
فدنا أم يمن بعدكم سلته * كالراح حف بها فيها العقار

لئن تمطى بجور ليل فرقتنا * لقد أنارت به للكتب أقمار
وان عدا البعاد عن تزاورنا * فانى ببنات الفكر زوار

(وله الى الامير عبد الله بن مزدلي) وقد خرج فى احدى غزواته فوثق بظفره وكرم صدره وأقر القطعة عند كاتبه الوزير أبي جعفر بن مسعدة ليرفعها اليه منصرفه فوفى بما كلفه وتقدم الى رفعها عقب الغزاة وابتدر وجاء بها على قدر والقطعة المذكورة هى (كامل)

ضاءت بنور ايابك الايام * واعتز تحت لوائك الاسلام
أما الجميع فنى أعين مسرة * لما انجلى بظهورك الاظلام
بادرت أجرك فى الصيام مجاهدا * ما ضاع عندك للثغور ذمام
وصمدت معتزما وسعدك منهض * نحو العدى ودليلك الاقدام
كم صدمة لك فيهم مشهورة * غص العراق بذكرها والشام
فى معارك فيه الاسنة والظبا * برق ونقع العاديات غمام
والضرب قد صبغ النصول كانما * يجرى على ماء الحديد ضرام
والطعن يبعث النجيع كانما * ينشق عن زهر الشقيق كمام
فاهنأ بعزمة ظافر متأيد * جفت برفعة شأنه الاقلام
والبك وذى باختصاص سابق * يجلوه من درر الكلام نظام
انى وان خلفت عنك فلم تزل * منى اليك تحية وسلام

وحل بسلى الفقيه أبو العباس بن القاسم وزين الاعياد والمواسم التى تهمى من يديه الندى سحب تكف وتطوف بكعبته الآمال وتعتكف غاب عنها فلم تنخ فيها عيسه ولم يقضيه بها وتعريسه ورحل من ساعته وقال شعرا أخذ الناس فى اشاعته واذاعته وهو (بسيط)

ياصاحبى ازلا قصر الحلى فسلا * أى سلا المجد عن أن تحتويه سلا
كانما الربع لما غاب أحمده * منازل ضل عنها البدر منتقلا
بادا الزمان بلقيا خسك سربها * طور او ساعد الدهر اهدا افضلا
فاسمع مناجاة نفس من أخى ثقة * مضنى تحمله منك النوى غللا
وعد اليها أبا العباس تحظ بها * مراتب الشمس لما حلت الحملا
لازلت فى منتهى العلا وسطى ولا عدمت * شكرهم ساميا تاهى فنوله حللا

(ومررنا) في احدى نزهنا بمكان مقفر وعن المحاسن مسفر وفيه بركة نرجس كأنه عيون مراض بسيل وسطه ماء رضراض بحيث لا حس الا الهام ولا أنس الا ما يتعرض للاوهام فقال (رمل)

نرجس باكرت منه روضة * لذ قطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها منه حبا * رقص النبت لها ثم شرب
فغدا يسفر عن وجنته * نوره الغض ويهتز طرب
خلت طلع الشمس في مشرقه * لهبا يحمله منه لهب
وبياض الطل في صفرته * نقط الفضة في خط الذهب

(وكتب) أعزه الله بسيدي الاعظم وعمادي الاكرم ومعقلي الاعصم ومن أطال الله بقاءه وأثل علاءه وسناءه ولا زال عميم الجد كريم العهد مراعيا حرمة ذي الخلوص والودّ طارحا قذى المطل عن مشارب الصفاء حاطبا حبله الغدر عن عود الوفاء بعزة الله كتبته أدام الله عزك بعد أن وافاني كتابك الاكرم صحبة الفقيه الجليل أبي فلان أعزه الله فأول ما أقول في شكره الذي أنم الافق طيبا وأسمع الصم خطيبا ورده فأزال بعيد ذكرك الاعطر ويبدي ويتفأ أثناء الاحاديث جدلك الالزم ويثني عنه خلق المجد الذي لم تسبقه وتشمله وثناء بالذي أنت أهله وذكر من تلك المكارم التي تخبرني وجهه السحاب الجلب والمنزل الذي كأنما تكلف على آل المهلب ما أعجب الالسنة بالدعاء وغمر النفوس بأريجة الثناء ثم تلا على دام عزك بعا شاهدته من مذهبك الاجمل وصفاتك الاول واعتقادك في جهتي أن الوشاة أثبتوا الذي عابوا وخابت سهامهم فما أصابوا وعند الامور وصل الله توفيقك كما خبرت وعلى ما جربت قديما وحديثا وسيرت الغواة لا يتركون أديما صحيحا ولا يذرون في المعالي رأيا رجيحا بل يتسمون الى ذوائب الشرف بالاذى ويطرقون المشارب الزرق الجام بالقذى فان ألفوا مهزا وصادفوا الثغرة محزا سددوا ولحوا بالغطارفة وهيموا وأي حيلة أدام الله كرامتك فيمن يختلق ما يقول وأني بالخلاص والسلامة في ما اليه سبيل وما زلت مذ صحبت الامجاد وثاقفت الحساد أجمل هذه الامور دبر الاذن وأقنع لها بما يملاء التجارب والفتن علما بان سري ستبينه اطراد الاعلان وأن قول الغوي ستفضحه شواهد الامتحان وبأواخر الامور يقتضي للاوائل والله

عزوجهه عند لسان كل قائل. ولو تتبعت كل وشاية بالتكذيب وأجبت كل
نعيب وضغيب لما اتسع لغير ذلك العمر ولا استراح من ومارسه الفكر وأنت
وصل الله عزك الملم بحفظ العهد وجبر الاجزو القصد وعنا اذا اضيفى الصوا بين
عهدك الوفى وظنك الالمعى وتثبتك الشرعى والله تعالى يعمر بالتودد ربعك
ويوسع لحمل أثقال المعالى وأعبائها ذرعك ويجعل من كفايته ووقايته جنتك من
الزمن ودرعك والسلام عليك ورحمة الله (وكتب الى الامير عبد الله بن مزدلى)
معزيا بمصابه فى أخيه الامير محمد المستشهد على نبرة أدام الله تأييد الامير الاجل
محروسة بحسم القدر جوانبه مكتنفة بيمن السعد مذاهبه جارية بمسرى
الانجم مراتبه وأطال بقاءه منار مدفع الرياسة عند انفصامها ومخلف سلف
النفاسة وسلك نظامها ولا زال الزمن به الاوائل نخرج وبعاد من عزته بهيم
النوائب فيصبح كتبته أملى الصبر لنفس فؤاد دام ومدمع هام ولب حائر
وقلب فى جناحى طائر ونفس يجرى بنحو بها النفس ولا تصيق الارض بما تتكس
بهذا الطارق المطرق والنبا المقض المشرق والنائب بين مفرق الاسلام وجبينه
والمقبل فى غسل الملك وعرينه مصاب الامير الاجل أبى عبد الله أخيك سقى الله
ثراه وضوأ بأنوار الشهادة أفقه وفناه وبرزبله بنوافح الرحمة منجبا وازجى
اليه الفوادى جهيرا بما غريبا هلال سلطت عليه المسرار عند ابدائه ودوح مجد
حصرته المنون أولان اثماره حين مالت به الرياسة كما اهتز الغصن تحت المادح
وانقراعن شباة القارح فانا لله وانا اليه راجعون تسليما فيه للقضاء المصمم
وتأسفا منه على فرد يفتدى بالجيش العرمرم قد ومنبر التفت عليه الفوارس
وحمى الوطيس واشتد التداعس وعظم المطلوب نقل المساعد وحبس سبقه
مولى نصحه لا يباريه فرأى المنية ولا الدنية وبرح الحمام ولا النجاة برأس
طمر وبلجام وشمر عن أكرم ساعد وبنان وقطع حق المهند والسنان ولبس
قلبه فوق درعه ولم يشعر بالبلاد يحسب ذرعه (طويل)

وأثبت فى مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أخمصك الحشر

ومضى وقد وقع على الله أجره ورفع فى عليين ذكره وخلد فى ديوان الشهادة
فخره والله عز وجل يحسن فيه عزاء الامير الاجل ويشد بالتأييد عضديه ويريش
بالسعادة جناحيه ويمكن يده ويكثر من محتده الاكرم عدده ولا غرو أدام الله

تأييدك

فأيسندلك أن عضّ الزمان في تجارب فالشر لا يحسب ضربة لازب وأناخ كلكله مرّة فالعيش طورا شماس وطورا غرة ومثلك دام أمرك من حلب الدهر أشطرا وعرف الايام بطونا وأظهرا وخبر امتزاج النعم بالنوائب وغنى بفهمه عن التجارب يرغم بجميل الصبر أنف الحادث ويفل بلامة الجلد حد الكارث ويعلم ان الزمن وان سر حينا فهمة ناصب والدنيا اذا اخضر منها جانب جف جانب فأنت أعلى الله يدك أثقف قناة وأصلد صفاة وأصلب على الرزء عودا وأثبت مع الورى زنودا من أن يضعضع الريب الهضبة عزمك ركنا أو يعمر الخطب الساحقة محل مثلي أو يقذف الدهر عليك بصرف أو ينزع الابهة وعرفه فانما نحن وان أرخى طولها فناؤها البد والمرء وان بح أمله فقالته اليوم أو الغد وانما ضرجت أدام الله تأييدك هذه الاعتال وان كدت أدام بقيل وقال وسرك حسد العير وان جنيت الثمر الى هجر مرضا على تسلية نفسك العزيزة عن طائف الهم وتعزيتها عن عرو الملم فاصبرها أيدك الله على العزاء وقفها وأوردها شريعة التأسي وفيها اذ لا يعتب لجاذع الزمن ولا يرد الفائت الحزن والله عز وجل يتم بسعدك الشعث ويرأب الصدع ويطفي من بأسك النوائب ويعلي الكعب ويذيق الذين يعادونك هونك ويجعل الذين يحسدونك دونك بعزته وصنع الله للامير الاجل أجمل الصنع (وله في تغلب العدو) على ميورقة كتبت أعزه الله وجبرها وصفقت الكآبة صبرها تخاطب الفقيه أحد زعماء الدولة وأدرج على تخطيه هذه الدرجة والثغر الموصول بها واقي أقر الله عينك لا أرتد ولا أعرج على التسليم وأتجلد وفي نفسي الحقد المقيم بهذا الصادم الهادم والنبأ القاصم الذي أطفأ نور الحياة وأخباه وأرجب أن ينادى كل مؤمن واحر قلباه أمر ميورقة رأب الله بطرفها صدع ابلتريه وجبر جبرها من جناح الاسلام كسيره وتقف بعوث دعاتها اضطراب سناده وأعادت سلانيها ما غيض من صبره ومن جلاده فيا لهما كان فيهما من اعلان توحيد عاد خفيا ويوم ايمان آض أمسا ويارقيه طلكم طلعت شمسا وصباح شرع أظلم باجي الشرك له أمسى وغيوم أطبج حرمها سنمها وفرقتها يد النكبة أيدي سبا وتلك أفلادها الى السباء مباها ولا وجمع منهم القتل سواعد وجباها ومزقهم السيف كل ممزق فقد أرسلهم جنا الآثمة رحمهم الله ماتوا

كراما ولقاهم نضرة وسرورا وسلاما وختم لنا بعدهم بأحد الخواتم وأسندنا من أمره الى عاصم (طويل)

ونحو أمير المسلمين تطاعت * نواظر آمال وأيدى رغائب
من الناس تستدعى حفيظة عدله * لصدمة جور فى ميورق ناصب
مقيم فان لم يرغم السعد أنفه * ألمّ فوافى بابا بعد جانب
لقتل وسبى واصطلام شريعة * لقد عظمت فى القوم سوء المصائب
أليس جديرا ان يشيع ذكرهم * بأمة قلب فى المدامع ذائب
لنا الله والملك الذى ترتجى به * من الزمن المرتاب رجعة تائب
هو الغوث فاعطفه علينا بنظرة * من الحزم تحنو فى وجوه النوائب
أليس الذى لم يحتجب الدهر منه * أعز صباح الدين صدق المضارب
وأعنى ووقع النبع تدمى كلومه * وأكفى اذا كفت صدور الكتائب
عهدنا ليقرى الضيف قبل نزوله * ويلبس وقت السلم درع المحارب
ويغزو وخلاشئ يقوم لعزمه * ولو أنه يرمى به فى الكواكب
اذا خلق لم يعدم يقين مشاهد * وان هم لم يخلق رمية صائب
فلا زال جيش النصر يقدم جيشه * وتلقاه بالبشرى وجوه العواقب

وله يصف شمعة (كامل)

جعلوا القرى للقرّ فيما السنا * قدح الزناد به فأورى نارا
فبدا دبيب السقط فى جنباته * كالبرق فى جنح الظلام أنارا
ثم انبرى لهبا وثار كأنه * فى الحرق ذو حرق يطالب ثارا
وكأنه ليل تفجر فجره * نهرا فكان على القتام نهارا

وله وقد ودع بعض اخوانه (بسيط)

أستودع الله من ودعته ويدى * على فؤادى خوفا من تصدعه
بدر من الود حانت به مغاربه * فالنفس قد أنضيت طرفا لمطلعه
أتبعته بعيد توديعى له نظرا * انسانه غرق فى بحر أدمعه
ما أوجع البين فى قلب الكريم غدا * يفارق القلب فى ثوبى مودعه
يؤذيه البين تعذيبا ويمنعه * من أن يطير شعاعا اسر أضلعه
يسطو به البين مغلوبا فليس سوى * عليل فى فراش من تروعه

وله يصف الزمان وأهله (كامل مجزوّ)

داء الزمان وأهله * داء يعز له العلاج
أطلعت فى ظلمائه * وقدا كما سطع السراج
لعصابة أعيا ثقا * فى من قناتهم اعوجاج
أخلاقهم ما صفا * مرأى ومطعمه اجاج
كالدر ما لم تختبر * فاذا اختبرتهم زجاج

(وكتب الى الفقيه القاضى أبى سعيد خلوف بن خلف اعزه الله) من حضرة بلنسية وقد نهض فى صحبة الامير الاجل عبد الله بن مزدلى عند منهضه الى سرقسطة أعادها الله ملبا لمناديها ومعينا لمدافعة العدو اللئيم بواديها وأقام الفقيه أبو محمد خلاف العسكر هنالك لغرض اعترضه وعاق منهضه استوهب الله للفقيه الاجل قاضى الجماعة سيدى وعمادى شمول نعمه وأياديه واتصال روائح عز الطاعة وغواديه واتصال خواتم الاعمال بمباديه والتئام عواجز السعد بهواديه ولازال منهل سحاب العدل ممتد أطناب الظل مخضر جوانب الفضل لايقرع باب أمل الا ولجه ولا يعن لما تكره النفوس من أمر الا فرجه بعزة الله كتبته أدام الله الطاعة عزك من حضرة بلنسية حرسها الله يوم كذا عن منير ودك الذى لا تخبو لدى ناره ولا تأفل عندى شموسه وأقماره ونضير عهدك الذى لا يعفو لبنة الكرم ولا يزداد الا ثباتا على القدم وعطر حمدك الذى به أساور واحاضر وبمحاسنه أباهى وأفاخر والله تعالى يملأ بمحامدك أسماعا ويطلق ألسنا ويقيك للفضل غيثا كريما وأثرا حسنا ويديم ما بيننا فى ذاته زكى الفروع ثابت الاصول حصين الشكة مرهف النصول عنه بعد أن ورد كتابك الكريم روضة الحزن غب المزن وحديقة الزهر تبسمت لوفد المطر تتبارى الى محاسنه العين والنفس ويترقرق من خلاله الانس وانتهيت منه الى ما يقتضى رضا وتسليما ويسر كما سر اللديغ سليما وأما ما ذهبت اليه دام عزك من تعرف الانباء واجتلاء الانحاء فان ابن رذمير وقمه الله قد جعل فناء سرقسطة لنكاله معطنا واتخذ ذلك الحريم وطنا وذلك انه ندب لهذه المغزاة من أهل ملته ما انتدب وأجلب من خيلهم ورجلهم ما أجلب وهو يعتقد ان عنازلته سرقسطة ستفتح عليها أبواب حروب وانه قد وطئ قبلا غير مغلوب فلما رأى ان

حامتها البيت بضربة لازب وأبصر حبلها على الغارب نهبت المطامع حرصه فعل فعل الضعيفة أصابت فرصة فلازمها ملازمة الغريم وصرف اليها وجوه الهيم مع ان غراب الرجلى ينعب كل يوم في عرصاته وينفح وطواعف الافرنج دمرهم الله كل ليلة تمسى ولا تصبح لان بينهم قذف ونواهم نزوح ومن دون أفواجهم مهامه فيح وأيضا فلق الامير الاجل أبا محمد عبد الله ابن مزدلى أيده الله قد أضاق بضبط الطرق وقطع المتصرفين ذرعهم وعجز تنصب حبائل الخيل لمن يشذ أو يفر وسعيهم فانه دام أمره أطل عليهم اطلال الفجر على الظلام وأخذ حنان بضبع الاسلام وأقام مرة كالحية النضناض وطورا كالاسد الغضفاض يسرب الى مجاثم من يضرم نار الحروب في أكنافها ويأتي أرضهم ينقصها من أطرافها ولولاه ما بقى هنالك للاسلام اسم ولا عاد للمدافعة رسم ولا لاح للمكافحة وسم ولا عن لتلك المعاقل المجهزة على تلك الاقطار جسم ولكنه ركب صعب الاهوال وصدق الصيال وهي أعزك الله أقطار ان لم تقم القوة منها ميلا وجنفا ويستعمل الجد لها لتطرا انفا والا فعقدها عديم شار وهي في طريق انتكاث وعثار والتسكين المسلمين فيها ويتم عليهم تلافيها بعزته والسلام الجزيل عليك يا عمادي ورحمة الله وبركاته

(الوزير الخطيب الفقيه المشاور القاضي أبو الحسن بن أضحى أعزه الله)

نسب ماوراءه منتسب ولا مثله حسب شرف بأذرع لعقه بالنجوم ذوائبه وحل في مفرق النسر ركائبه استفتحت الاندلس وقومه أصحاب راياته وأرباب آيات في السبق وغاياته لسكونهم في منفذ واجهه وصواجيها وبدور غياهبها وجاء أبو الحسن آخرهم يفتقد مفاخرهم وأحيا الرفات وأحيى الشتات فجادا أصفه وقلبه بر وبذا أفضله كالصبح اذا اشتهر وعماد أحلي وصفه تقصر الحلى وبه يتزين الدهر ويتحلى ولكني أقول هو بحر زاخر وفضل سوا أحوالهم اوائله والا واخر تفخر به الدنيا وتزهى وهو المطامع التي تنتهى اذ لبابه هي غناه وابن صال غد الفنا وولى القضاء نهبت الشكاره واتقى من أنفق الدين بحمه واصحكاره وحيت به الرعايا وأورثت أنس النجى والسجايا ولهم حبا ارتب من الزهو وأحكام موقت من الغلط والسهو سقته المامول زلالها ومد تشطيه بمطلالها وأدركته البلاد اهتمامها وأرتلت الاصالة رضاها فلاح في صحيفة العلا مديا

وصار فى فناء السناء صدرا عدلا فى أحكامه جزلا فى نقضه وابرامه وله نظم متع الصفات أحلى من الرشفات وقد اثبت منه ضروبا لا تجد لها ضريبا (أخبرنى ذو الوزارتين أبو جعفر بن أبى رحمه الله) أنه كتب اليه شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه برّه وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الاجلال بدرا لم يكن له مطلعا ثم اعتقد أنه جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا (طويل)

ومستشفع عندى بخير الورى عندى * وأولاهم بالشكر منى وبالحمد

وصلت فلما لم أقم بجزائه * لففت له رأسى حياء من المجد

ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه أعف الناس بواطن وأشرفهم فى التقى مواطن ما علمت له صبوة ولا حلت له الى مستفزة حبوة مع عدل لا شئ يعدله وتحجب عما يتقى يرسل عليه حجابه ويسدله (وكان لصاحب البلد) الذى كان يتولى به القضاء ابن من أحسن الناس صورة وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصورة ما شئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف فحملنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر أحسن من شادمهر تشقها جداول كالصلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها فأحضرنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام ما لا يطاق ولا يحدّ ويقصر عن بعضه العدّ وفى أثناء مقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام أحقده وملام أعتقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم أر منه ما عهدته من الانابة فكتبت الى أبى الحسن مداعبا فراجعنى بهذه القطعة (طويل)

أتتنى أبا نصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف فى الخطرات

فاعرب عن وجد كمين طويته * بأهيف طاو فاتر اللحظات

غزال أحم المقلتين عرفته * بخيف منى للعين أو عرفات

رمى النفر فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذى فتكات

وظن بأن القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات

تقرب بالنساك فى كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات

وكانت له جيان مثوى فأصبحت * ضلوعك مثواه بكل فلاة

يعز علينا ان تهيم فتنطوى * كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس فى الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

ومن اشار دياناته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصده مقصد المتورعين وجريه مجرى المتشرعين أن أحد أعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده محتلا فى عينه وفؤاده لا يسلمه الى مكروه ولا يفرده فى حادث يعروه وكان من الادب فى منزلة تقتضى اسعافه وتورده من تشفيعه فى مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا فى رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه فى ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا (متقارب)

ألا أيها السيد المجتبى * ويا أيها الالمعى العلم
أتتنى أبياتك المعجزات * بما قد حوت من بديع الحكم
ولم أر من قبلها بابلا * وقد نفثت سحرها فى الكلم
* ولكنه الدين لا يشترى * بشعر ولا بنظام نظم *
وكيف أبيح حمى مانعا * وكيف أحلل ماقد حرم
ألست أخاف عقاب الاله * ونارا مؤججة تضطرم
أأصر فيها طالقا بتة * على أنوك قد طغى واجترم
ولو أن ذاك الغبى الجهول * تثبت فى أمره ماندم
ولكنه طاش مستعجلا * فكان أحق الورى بالندم

وكتب فى غرض عن له القول فيه (بسيط)

ياساكن القلب رفقا كم تقطعه * ألله فى منزل قد ظل مثواكا
يشيد الناس للتحصين منزلهم * وأنت تهدمه بالعنف عينا كا
والله والله ماحبى لفاحشة * أعاذنى الله من هذا وعافاكا

وله فى مثل ذلك (بسيط)

روحى لديك فردّيها الى جسدى * من لى على فقدها بالصبر والجلد
بالله زورى كئيبا لاعزاء له * وشر فيه ومثواه غداة غد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملى * بايعتنى الود تصفيه يدا بيد
عليك منى سلام الله مابقيت * آثار عينك فى قلبى وفى كبدى

وله يتوجع من الفراق (كامل)

أزف الفراق وفى الفؤاد كلوم * ودنا الترحل والحمام يحوم
قل للاحبة كيف أنعم بعدكم * وانا أسافر والفؤاد مقيم
قالوا الوداع يهيج منك صبابة * وشر ما هو فى الهوى مكتوم
قلت اسمعوا الى أن أفوز بنظرة * ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم

(ولما انتهز ابن رذمير) فى سرقسطة أعادها الله ووقه فرصة أسهرت العيون وأرّقتها وطرقت النفوس من ذلك بما طرقتها انتدب الامير عبد الله بن مزدلى رحمه الله دون أن يندب والمسلمون ينسلون معه اليها من كل حدب وشمر تشمير البطل المغوار وعمر اليها النجاد والاغوار حتى دخلها والعدو صاغر وأطلّ عليه منه أسد فاغر وحصره فى أخبيته ووقف له فى ثنيته لم يجعله فى مجال سهم ولم ينله انتهاب نعم ولا بهم فاستبشر المسلمون بمضائه واستظهر الدين بانتضائه لولا ما عاجله الحمام وساجله بيد أمضى من الحسام فخط الردى هنالك موضعه وأثكل فيه الاسلام وفجعه وعند ارغامه لابن رذمير وايغاله فى شعابه بالخراب والتدمير كتب اليه القاضى أبو الحسن يمدحه ويذكر مناقبه (بسيط)

يا أيها الملك مضمون لك الظفر * أبشر فمن جندك التأييد والقدر
وأب لنا سالما والسعد مقتبل * والدين منتظم والكفر منتثر
وقد طلعت على البيضاء من كثب * كما تطلع فى جنح الدجا القمر
حللت فى أرضها فى جحفل لجب * كما يحلّ بها فى الازمة المطر
وحولك الصيد من لمتونة وهم الابطال يوم الوغى والانجم الزهر
والعرب ترفل فوق القرب سابحة * كالاسد ليس لها الا القنا ظفر
من كل أروع وضاح عمامته * كالبدر نحو لقاء الجيش يبتدر
شعاره البر والتقوى ومؤنسه * فى ليله رمحه والصارم الذكر
ذؤابة المجد من قحطان كلهم * أبوهم حمير ذو المجد أو مضر
ومن زناتة أبطال غطارفة * ذوو تجارب فى يوم الوغى صبر
ولمطة وهم أهل الطعان لذى الـهيجاء * فى زمر تقتادها زمر
كأنهم فى جبين المجد اذ ركبوا * مصممين الى أعدائهم غرر

(الفقيه الكاتب أبو عبد الله اللوشى رحمه الله تعالى)

طود علاء رسا رسو ثبير وزند ذكاء أورى بالانشاء والتحبير الفضل حشو

أبراده والنبل تلوا صداره وايراده مع نفس عذبت صفاء وشيمة ملئت وفاء واحتفاء ومذهب صفا صفاء التبر وخلص من الخيلاء والكبر وسعي لكل نجح ضامن ووقار كان ثبيرا فيه كامن وأدب زرت على الاعجاز جيوبه وهبت بعرف الاحسان صباه وجنوبه ونظم ونثر بلغا الغاية وفي يدهما للسبق لواء وراية الا أنه منى بخلق حرجت وساءت وظنون شتى بعدت عن الخير وتناءت وأوجبت له من اللوم ماشاء النقص وشاءت ولولاهما لامتطى الافلاك واستخفض الغفر والسماك (وقد أثبت) من نظمه ونثره نبذا تدير عليها الحميا وتتنسم لها عرفا وريا (فمن ذلك) رسالة كتب بها الى الوزير الفقيه أبي محمد عبد الحق بن عطية وفقه الله وهي أطال الله بقاءك ياسيدي الاعلى وذخري الاغلى وواحد أعلاقي الاسمى ومنحة الله العظمى مخدوما بأيدي الاقدار معصوما من عوادي الليل والنهار مكتنفا من لطائف الله الخفية وعوارف صنائعه الحفية بما يدفع عن حوزتك نوائب الخطوب ويصنع لك في طي المكروه نهاية المحبوب لله تعالى أقدار لا يتجاوز مداها وأحكام لا تخطئ مراميها ولا تتخطاها وآثار يحملها المرء ويغشاها ولهذا من كتبت عليه خطا مشاها غير أنه دام عزك قد يخير الله لعبده في الامر المكروه ويلبسه في أثناء المحنة ثوبا من المنحة لا يسروه فمن الحزامة لمن تحقق بالايام ومعرفتها وعلم صروف الليالي بكنه صفتها أن يضحى عن الخطب شهما يواثبه ولا يتوقى ظهر ما هو راكبه اذ لا محالة أن العيش ألوان وحرب الزمان عوان وحتم أن يستشعر الصبر والجلد من يناوي الرجال ويقرر في نفسه أن الايام دول وأن الحرب سجال ويعتقد أن ما يعرضه في خلال النضال من وخز الكفاح ويعترضه بمجال الرجال من حفز الرماح غمار تقلع وغبار يقشع لا سيما اذا كان الذي أصابه جرحا أشواه وسهم غرب حاد عن المقتل الى سواه ثم أجلت الحرب عن قرنه ترب الجبين شرقا بدم الوتين فقد أربت لذة غلبه وفرحة منقلبه على ما غاله من وصبه وناله من تجشم نصبه وأراح بعزة الظفر وهزة بلوغ الامل وقضاء الوطر ولم أزل أدام الله عافيتك أرتاع لفراقك بتذكرك واشتياقك وأتعلل منك بالمنى وأعول فيك على التسليم لنافذ المنى وأرجع على ترداد لعل وعسى ومواصلة تجرع الكمد لانتزاحك والاسى والاشفاق يغور بي وينجد والتعلل يعين على مضض بعدك وينجد والتجلد يصور لي الامل ويثني

الرجاء المحقق الى أن أنتظر ان شاء الله في بابك الصنع الجميل وأثق انك منه عز وجهه باللطف الخفي والفتح الجليل وأتيقن انك بعادة الله السنية وعارفته السالفة الهنية وكونك نفرسنا وهضبة سرورنا المثل لعدم حيث كنت مسرة ولا تفقد بكل قطر تحلله تكرمة ومبرة وان قدرك لمعروف بكل مكان والنفيس نفيس حيثما كان ولكن علم الله كنت أتخيل خلو حضرتنا المزدانة بجلالك من العمل بمجدك وعلاك فأستوحش وأتمثل بقوله

نبئت أن النار بعدك أوقدت * فأجهش (طويل)

أقلب طرفي في الفوارس لا أرى * حزاقا وعيني كالحجاة من القطر

وايم الله ياسيدي الاعلى تكدر بعدك المحيا ونغص فراقك الدنيا واقشعرت بعدك العليا وأصبح طرفي لا أراك به أعمى الى أن وافى من فلان راجلك بشيرا فاغتديت لعمر الله جذلا وارتددت بصيرا وقلت عودة من الزمان وعطفة من درك الآمال والامان فالحمد لله الذي وهب هذه المسرة بتمامها وأطلق النفس من عقلة اغتمامها والشكر له على مامن به من ايابك وأنعم به من قفولك واقترابك فانها النعمة المالكة خلدي المالئة لساني ويدي التي هي أحلى من الامان وأسنى من كثرة العمر وعودة الزمان والرب يهنئك السلامة ويلطف أبراد العز في حالتي الظعن والاقامة ويعرفك يمن قفولك وبركة رحلتك وحلولك ويسعدك بمقدمك ويجعل الايام من خدمك بعزته الباهرة وقدرته القاهرة والسلام الجزيل العميم عليك ورحمة الله وبركاته (وله) من قطعة راجع بها الوزير أبا القاسم بن السقاط ارتجالا (كامل)

يا لابسا برد العلاء مفوّفا *	بأجل مأثرة وأسنى مفخر
اني وحقك لو جهدت مودّة *	نفسي لأبلغ كنه ما في مضمري
لو كنت أستطيع الوفاء بما أرى *	لجلال قدرك الاوحدي الشمري
لنضوت جلباب الشباب غفارة *	وخلعتها بدلا له من ممطر
أو كنت أرسل ما يليق بقدره *	لبعثتها من سندس أو عبقري
وبذلت نفسي دونه ووقيته *	بنفيس عمري من صروف الادهر
ولقد أتتنا خمسة *	مثل الفريد تظمن نظم الجوهر
جمعت من السحر الحلال محاسنا *	من كل معنى رائق مستنبدر

سرى وشيعته السان حائك * ووشى سداها خاطر كالسمهرى

فأتت حبيبا لن يفوه بمثلها * وأتت بما زرى بنبل البحترى

فالبس هنيئا برد مجد سابغ * واسحب ذيولك زاهيا وتبختر

(وله رسالة كتب بها الى أمير المسلمين) يعزيه فى الامير مزدلى رحمه الله أطال الله بقاء أمير المسلمين وناصر الدين الشائع عدله السابغ فضله العظيم سلطانه العلى مكانه السنى قدره وشانه فى سعد تطرف عنه أعين النوائب وجد تصرف دونه أوجه المصائب كل رزء أدام الله تأييده وان عظم وجل حتى استولى على النفوس منه الوجل اذا عدا بابه وتخطى جنابه فقد اخطأ بحمد الله المقتل وصدّ عن سواء الغرض وعدل واذا كانت أقدار الله تعالى غالبة لا تصاول وأحكامه نافذة لا تزاول فالصبر لواقعها أولى والتسليم لجوازها أوهب لرضا المولى والتزام أوامره أشرف وأعلى وفى كل حال أجمل وأولى وكتبته أدام الله تأييده والنفس بنار زفراتها محترقة والعين بماء عبرتها شرقة مغرورقة لما انفذ به الله المقدور وقضاؤه المسطور من وفاة الامير الاجل أبى محمد مزدلى قدس الله روحه وسقى ضريحه فيا له رزأ أقض المضاجع وسم النجوم الزهر وأذكى الاحزان وأبكى الاجفان وأقصى الجهاد بمكانته من الدولة المنيفة ومنزلته من الامرة الرفيعة الشريفة وعند الله يحتسبه ذخيرة عظمى ونسأله المغفرة له والرحمى فانه كان نور الله وجهه متوفر الهمة على الجهاد من أهل الجد فى ذلك والاجتهاد وحسبه أنه لم يقض نحبه الا وهو متجهز فى عساكره فأدركه الموت مهاجرا ومع الله تاجرا وأرجو أن يكون تعالى قد قرن له فاتحة السعادة بخاتمة الشهادة وأمير المسلمين أورى فى الرياسة زندا من أن تضعضعه الخطوب وان أهمت وتوجه الحوادث اذا ادلهمت والله يحسن عزاءه على فجعه ولا يدنى خادثا بعده من ربعه بمنه عز وجل

* (الفقيه الحافظ القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى) *

جاء على قدر وسبق الى نيل المعالى وابتدر واستيقظ لها والناس نيام ووردماءها وهم حيام وتلا من المعارف ما أشكل وأقدم على ما أحجم عنه سواه ونكل قصلت به العلوم نحور وتحلت له منها حور كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن

أنس قبلهم ولاجان قد ألحفته الاصالة رداءها وسقته أنداءها وألقت اليه الرياسة أقاليدها وملكته طريفها وتليدها فبذعلى فتائه الكهول سكونا وحلما وسبقهم معرفة وعلما وأزرت محاسنه بالبدر اللياح وسرت فضائله سرى الرياح فتشوفت لعلاه الاقطار ووكفت تحكى نداه الامطار وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة يعنى باقامة أود الادب وينسل اليه أربابه من كل حدب الى سكون ووقار كارسا الطود وجمال مجلس كما جليت الخود وعفاف وصون ماعلمنا فسادا بعد الكون وبهاء لو رأته الشمس لما باهت باضواء وخفر ولو بان للصبح مالاح ولا أسفر (وقد أثبت) من كلامه البديع الالفاظ والاغراض ماهو أسحر من العيون النجل والجفون المراض (فمن ذلك) رقعة حلى بها تحية للرئيس أبى عبد الرحمن بن طاهر رحمه الله وهى عمادى أبا نصر منشئ الوزارة ووحيد العصر هل لك فى منة تفوت الشهر تخف محملا وتبلغ أملا وتشكر قولا وعملا شكرا تترنم به الحداة القيلا ورملا اذا بلغت الحضرة العلية مستلما ولقيت الطاهر بن طاهر فخر الوزارة مسلما وحللت من فنائه الارحب حرما ولست بمصافحته ركن المجد يندى كرما فقف شوق بعرفات تلك المعارف وانسك ذكرى بمشاعر تلك العوارف وأطف بكارى بكعبة ذات الجلال سبعا ويؤى لوادى فى معترك ذلك الكمال ربعا وأبلغ عنى تلك الفضائل سلاما يلثم بصريح الحب التثاما ويعبس عنى بظهر الغيب مقاما ويسير عنى بارج الحمد انجادا واتهاما (وله) مراجعا عن كتابين كتبهما اليه معاتبا له (طويل)

أبا النصر ان شدوا رحالك للنوى * فان جميل الصبر عنك بها شدوا

وان تتركوا قلبى مقيما وترحلوا * فماذا ترى فى مهجة معكم تغدو

(وله فصل) من رسالة فى جانى فى علمك سدد الله على حكمك ماجمعه فلان من جلائل تنذ عن الحصر وفضائل يعترف له بها أبهاء العصر يقول فضلس العقول ويعن فيذهل الالباب ويحن ان نظم فعبيد أو لبيد أو نثر فعبد الحميد أو ابن العميد أو صال فأبو نعامة أو أنال فكعب بن مامة أو فاخر فتصير تسيادة أصلها ثابت وفرعها فى السماء أو ذاكر فبحر معارف لاتكدره الدلاء الى همة تصفع هامة الثريا وعزمة تزرى الفضل بن يحيى ولهيمة تغض من الحجاج

ويم بسنة تورى بنصر بن حجاج ولو كنت ابن أبي عقلة لما بلغت المنتهى له على أني لم أنبه لشأنه ذا جهالة لكنه الكلام يطرد والبداية حسب ما ترد واللسان ينطق بما فيه والجنان يرشح بما فيه ومن شعره قوله (طويل)

عسى تعرف العلياء ذنبي الى الدهر * فأبدى له بجهد اعترافي أو عذري
وقد حال ما بيني وبين أحبة * ألفتهم الف الخمائل للقطر
هتوا أدعو القلبي تبار يح لوعة * فتأبيهم أذكى وأنكى من الجمر
على أنني سلوى بأن فراقهم * وان طال لم يمزج بصد ولا هجر
سأنزع للريح الشمال لعلني * أحملها نجوى تطلع في صدري
* تبلغ منها الورد برتحية * معطرة الارجاء دائمة البشر *
تقللنه من حر كل هجيرة * وتونبه في وحشة البلد القفر
وتنبئه أني أكن صبابة * لحسن بدا في غير شعر ولا شعر
أهز بها عطفي من غير نشوة * وأرخي بها ذيلا من التيه والكبر
واني أشدو في النوادي بذكره * كما شدت الورقاء في الغصن النضر
أجل وعساها أن تبلغ مهجتي * فأبلي بها عذري وأقضي بها نذري

(وله) في غمامات زرع بينها شقائق نعمان هبت عليه ريح (سريع)

انظر الى الزرع وخاماته * تحكي وقد ماست امام الرياح
كتائبا تجفل مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

(وله فصل) من رسالة راجع بها وصلت لعظمى قرب ايلال وزهيت به رتب الكمال وتامت على مشرع مجده العذب طيور الآمال وغصت أفنية جنابه الرحب بوفود الاقبال لاغرو أعزك الله أني من لاحظ من آثار فضلك الرائقة لمحة وحظي من سماع محاسنك الرائقة ولو بلفظة أن تسير به همته في لقائك الخببا وتقتحم الطرق الى مورد جلالك وافدا حتى يشاهد الكمال لم يحرج الى شخص وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في شخص (وله) عند ارتحاله عن حاضرة وطنه (طويل)

أقول وقد جد ارتحالي وغردت * حداتي وذمت للفراق ركائبي
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي * وصارت هواء من فؤادي ترائبي
ولم تبق الارمقة يستعيها * وداعي للاحباب لا للحبائب

رعى الله جيرانا بقرطبة العلا * وسقى رباها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد ألفته * طليق المحيا مستلان الجوانب
أإخواننا بالله فيها تذكروا * معاهد جار أو مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفائهم * كأني في أهلي وبين أقاربي

وله في المتشابه (متقارب)

اذا ما نشرت بساط انبساط * فعنه فديتك فاطو المزاحا
فان المزاح كما قد حكى * أولو العلم قبل عن العلم زاحا

(وله فصل من رسالة) لابد أعزك الله لكل حين من بنين يجلون عاطله ويجاوبون فضائله ولكل مجال من رجال يقومون باعبائه ويرمون في كل واد بأنبائه ولئن كانت جمرة الادب خامدة وجذوته جامدة ولسانه حصيرا وانسانه حسيرا فلن يخليه الله من هلال يطلع فيشرق بسمائه بدرا وزلال ينبع فيتفجر بفضائه بحرا وشبل يبدو فيزأر من غابه ليثا وطل يبدو فيطرس ربابه غيثا

ومن شعره (متقارب)

لك الخير عندي لذا النزاع * فعقل بهيم وقلب براع
يعز علينا تنائي الديار * وذا السلام مني لك والوداع
لكم أمل كان لي في اللقاء * وأمنية قد طواها الزماع
فلم أجن منها سوى حسرة * فوجد جميع وأنس مضاع
لئن جل القلب ما لا يطاق * فما كلف الجفن لا يستطاع

(وخرجنا للنزهة) فلما انصرفنا أصاب عفارتي شوك شقها فلما وصلت موضعي أمرت أن أبعثها اليه مع أحد عبيده المتصرفين بين يديه فلما كان من الغد بأمر صرفها وحضرت الجمعة فكتبت اليه معاتبا في توقيفها قد بقيت أعزك الله كالاسير ولقيت التوحش بجناح كسير ان أردت النهوض لم ينهض وليت من لا يريش لم يهض وقد غدوت من المقام في مثل السقام فلتأمر بردها لعلي أحضر الصلاة وأشهدها لا زالت سرابا تطلق من يد الوحشة عبوسا بريا ان شاء الله (فراجعني) أدام الله يا وليي جلالك وأبقى جلبابا في جيد الدهر خلالك العفارة عند من يتطرفها وقد بلغت غير مصيح تلافيها ويرجو تمامها قبل الصلاة وادراكها وتصل مع رسولي وكأنما اقتسم تراكها ولئن عاق عائق فليس مع

صحة او تمضاتق والعوض رائق لائق وهو واصل وانت بضوله مواصل والسلام عليك مادر شارق وومض بارق

(الفقيه القاضي أبو الحسن بن زنباع رحمه الله تعالى)

ملئ حياء وفى استحياء طود سكون ووقار وروضة باهة يانعة الازهار وسمت صفحات المهارق غرره وانتظمت بلبات المغارب والمشارق درره ان نطق رأيت البيان منسربا من لسانه والاحسان منتسبا الى احسانه حوى العلوم وحازها وتحقق حقائق العرب ومجازها وروى قصائدها وارجازها وعلم اطالتها وايجازها وهو فى الطب موفق العلاج واضح المنهاج وله نظم تزهى به نحور الكعاب ويستسهل الى سماعه ساوك الصعاب (وقد أثبت) منه ما تجتليه فتستحليه وتعقله فتنقله فمن ذلك قوله (كامل)

أبدت لنا الايام زهرة طيبها * وتسربلت بنضيرها وقشيبها
واهتز عطف الارض بعد خشوعها * وبدت بها النعماء بعد شحوبها
وتطلعت فى عنفوان شبابها * من بعد ما بلغت عتى مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم * فبكت لها بعيونها وقلوبها
فعجبت للازهار كيف تضاحكت * ببكائها وتبشرت بقطوبها
وتسربلت حللا تجر ذيولها * من لدمها فيها وشق جيوبها
فلقد أجاد المزن فى انجادها * وأجاد حر الشمس فى تربيبها
ما أنصف الخيرى ينمع طيبه * بحضورها ويبيحه لمغيبها
وهى التى قامت عليه بدفئها * ونعاهدته بدرها وحليبها
فكأنه فرض عليه مؤقت * ووجوبه متعلق بوجوبها
وعلى سماء الياسمين كواكب * أبدت ذكاء العجز عن تغييبها
زهر توقد ليلها ونهارها * وتفوت شأو خسوفها وغروبها
فضلت على سير النجوم بأسرها * وسروها فى الخافقين وطيبها
فتمازجت أمواجها بهبوبها * وتعانقت أزهارها بنكوبها
وتصوبت فيها فروع جداول * تتصاعد الابصار فى تصويبها
تطفو وترسب فى أصول ثمارها * والحسن بين طفوها ورسوبها
فكأنها هى موجسات أساود * تنساب من أنقابها لصوبها

فأدر كؤس الانس فى حافاتها * واجعل سديد القول من مشروبها
فحديث اخوان الصفاء لذاذة * تجنى و يؤمن من جناية حوبها
واركض الى اللذات فى ميدانها * واسبق لسد ثغورها ودروبها
أعربت خيلك صيفها وخريفها * وشتاءها هذا أوان ركوبها
أو ماترى الازهار مامن زهرة * الا وقد ركبت فقار قضيبها
والطير قد خفقت على أفنانها * تلقى فنون الشدو فى أساوبها
تشدو وتهتز الغصون كأنما * بحركاتها رقص على تطريبها

وله (منسرح)

كذا تصان السيوف فى الخلل * و يفخر الخط بالقنا الذبل
وتكرم الخيل فى مرابطها * برّ القناة العروب بالرجل
ويعطف النبع كالحواجب أو * أحنى وتمهى السهام كالمقل
[illegible] الشرة الكمىّ اذا * خير بين الدروع والحلل
فتح انارت له البلاد كما * أشرفت المقربات للنهل
هدّت له الروم هتة ملأت * قلوب أبطالهم من الوجل
فما أطاقوا الولوج فى نفق * وما أطاقوا الصعود فى جبل
ألقوا بأيديهم ولاسبب * يفرق بين القناة والبطل
فجرى الاسد فى مرابضها * كجرى الغانيات فى الكلل
وربما لم تقم مناصلها * مقام تلك اللواحظ النجل
تغامسوا فى الدروع زاخرة * كى يسلموا من حرارة الاسل
فما أفادتهم الدروع سوى النقلة من خفة الى ثقل
كأنهم والرماح تحفزهم * جرى فصال سلكن فى الوحل
جاؤا بها سابقا مضاعفة * قد أخلصت بالحديد والعمل
مثل عيون الدبى فصيرها * دم وطعن كأعين الجل
هناك سل بالوزير من شهد الحرب وان كنت شاهدا فقل
ولا تخف ان حكيت مغربة * عنه مقام المكذب الخطل
فانه الاوحد الذى ترك الدهر بلا مشبه ولا مثل
حدث بما شئت عنه من حسن * وعظم الامر ثم لا تسل

فضله يهيز الاجلة فى * سعودها والشموس فى الحمل

وكتب الى أعزه الله مهاجيا (طويل)

هوى مضمد يلق به الليل متهم * يصرح عنه الدمع وهو مجمجم
يبيت بدارى أو يبارى ما به * ويغلبه أمر الهوى فيسلم
لاجفانه من كل شئ مؤرق * ومن أين للمشتاق شئ منوم
وليس الهوى ما الرأى عنه مزحزح * ولكنه ما الرأى فيه مفخم
وأعذر أهل الحب كل متيم * يرى أن من يهدى له النصح ألوم
واجلد أبناء الزمان مرزأ * يقاسى خطوب الدهر وهو متيم
ويسحب حمل الهم والهم مفرد * فكيف ترى فى حمله وهو توأم
ولولا أبو نصر وانفاس أنسه * تقضت حياتى كلها وهى علقم
فتى فتح الله المعارف باسمه * ومن دونها باب من الجهل مبهم
تأخر فى لفظ الزمان وانه * بمعناه فى أعيانه متقدم
أتوا بالمعانى وهى در منظم * وجاء بها من أفقها وهى أنجم
وما يستوى فى الحكم راق وغائص * لقد نال أسنى الرتبة المتسنم
اليك أبا نصر بديهة خاطر * توالى عليه الشغل وهو مقسم
أهبت به للقول وهو لما به * قلى ولم يسعده نطق ولا فم
وكم مصقع لا يرهب القول فعله * ثنته خطوب ما انثنت وهو مفحم
ولو لم يكن الا وداعك وحده * لاشفق منه يذبل ويلملم
فما يصنع الانسان وهو بفهمه * يحس بأشتات الامور ويفهم
وقد كنت تشكيني من الدهر دائبا * فقد صرت أشكو منك ما أنت تعلم
عليك سلام تسحب الريح ذيله * فيعبق منه كل ما يتنسم
وان لم يكن الا الوداع وفرقة * فان فؤادى قبلك المتقدم

وله أيضا (طويل)

أرى بارقا بالابلق الفرد يومض * يذهب جلباب الدجا ويفضض
كأن سليمى من اعاليه أشرفت * تمد لنا كفا خضيبا وتقبض
اذا ما توالى ومضه نفض الدجا * له صبغه المسود أو كاد ينفض
أرقت له والقلب يهفو هفوه * على أنه منه أحق وأومض

وبت أداري الشوق والشوق مقبل * علي وأدعو الصبر والصبر معرض
واستنجد الدمع الابي على الاسى * فتجدني منه جداول فيض
وأعذل قلبا لايزال يروعه * سنا النار يستشري أو البرق ينبض
تظنهما ثغر الحبيب وخده * فذ اضاحك منه وذا متعرض
اذا بلغت منك الضلالات ما أرى * فأنت لماذا بالنهوض معرض
الى أن تفرت عن سنا الصبح سدفة * كما انشق عن صفح من الماء عرمض
وندت الى الغرب النجوم مروعة * كما نفرت عين من السيل ركض
وأدركها من فجأة الصبح بهتة * فتحسبها فيه عيونا تمرض
كأن الثريا والغروب يحثها * لجام على رأس الدجا وهو يركض
وما غرني في الهقعة العين أنها * على عاتق الجوزاء قرط مفضض

ومنها في صفة الحرب

سل الحرب عنه والسيوف جداول * تدفق والارماح زرقا تنضنض
وبالارض من وقع الجياد تمدد * والكنه فيما تروم تقبض
وبالافق النقع المثار سحائب * مواخض لكن بالصواعق تمخض
وقد سهكت تحت الحديد من الصدا * جسوم بما علت من المسك ترحض
ومدت الى ورد السدو وعيونها * صدور العوالي والعيون تغمض
وأشرفت البيض الزلق الى الطلى * لتكرع فيها والرؤس تخفض
فلست ترى الادماء مراقة * تخاض الى أكباد قوم تخضخض

وله (وافر)

نزاع ما أرى بك أم نزوع * لقد شقيت به منك الضلوع
يروعك أو يريعك كل داع * أكل مثوب داع سميع
جهلت وقد علاك الشيب أمرا * يقوم بعلمه الطفل الرضيع
ولولا ذاك ما قدرت أني * أنوء بحمل ما لا أستطيع
فحسبك أو فحسبي منك دهر * يشت بصرفه الشمل الجميع
وشوق تقتضية نوى شطون * فتقضى عنه واجبها الدموع
حملت الحب مؤتمنا عليه * فكيف يضيع ذلك أو يذيع
لقد جشمت نفسك مخيلفات * بكل ثنية منها صريع

وسال السيف تخضبه دموع • كسال القرن تخضبه نجيع
وقد يحمى الدروع من العوالى • ولا تحمى من الحدق الدروع
ورب فتى تراع الاسد منه • تقنص قلبه الرشأ المروع

(وكتب اليه) الوزير أبو محمد بن القاسم معزيا فى قريب مات له (وافر)

يناطرك الصبابة والسهادا • ويمحضك المحبة والودادا
صديق لو كشفت الغيب عنه • وجدت هواك قد ملأ الفؤادا
يعز عليه رزء بت عنه • شفيق النفس تلهمها سدادا
انشفق العباد ونحن منهم • من الرب الذى خلق العبادا
أراد بنا الفناء على سواء • ولا يبقى لنا مما أرادا
لئن قد قمت علقا مستفادا • لقد أكرمت حظا مستعادا
ومثلك لا يضعضعه مصاب • ولا يعطى لنا نبة قيادا
ومازلت الرشيد نهى وحاشى • لمثلك أن نعلمه الرشادا

(فراجعه) القاضى أبو الحسن بن زنباع (وافر)

لعالك من جواد قد أجادا • ونال الغاية القصوى وزادا
وينمر بالتى يسمو اليها • سوالك فلا تبلغه مرادا
فانى قد رأيت الدهر طلقا • تنزل عن خملاتقه وحادا
ومنه خست سطك وهو كبر • أحال على الورى سنة جمادا
ولن يرضى الزمان وأنت فيه • تدافع عن محلك أو تعادى
ومثلك وهو أنت ولا مزيد • شفى وكفى الملمات الشدادا
ومن وقفته بالنوب الليالى • فكيف تطيق عدوا واشتدادا
ولولا ما كففت به فؤادى • من الحكم التى تسلى تمادى
ومن يطفى بجزل الماء نارا • فليس يزيدها الا اتقادا
جزاك الله خيرا من صديق • أفاد صديقه مما استفادا
ورد عليه صبرا ضل عنه • وأكسبه لا يسال له قيادا
وأنجده على خطب عراه • وأدرك فيه ثارا فاستقادا

وله أيضا (كامل)

لهواك فى قلبى كريضك فى فمى • غيرى يقول الحب مر المطعم

فأدرعلى بمقلتيك كؤسه * حتى يدب خماره فى أعظمى
ان التلذذ فى هواك تلذذ * لو كان أقتل من ذعاف الارقم
أحبب بحب لايشير ملامة * ملئت بعوليسه عيون النوّم
شغل النواظر والقلوب ولم يدع * من لم يسمه من الانام بميسم
ومن العجائب شغل شئ واحد * فى الحال أمكنة ولم يتقسم
وأقام أزمنة وليس بجوهر * وجرى وليس بمائع مجرى الدم
يا أيها القمر الذى انسانه * يرمى أناسا للعيون بأسهم
لم أبد حبك غير أن جوانحى * فاضت به فيض الاناء المفعم
لاذنب لى علم الذى أسررته * نظرا ولم أرمز ولم أتكلم
وأمرت بالشكوى اليك وانما * ينمى الى الانسان مالم يعلم
ولربما لم تشكنى فأماتنى * يأسى فذرنى تحت أمر مبهم
وتلافنى قبل التلاف فاننى * من حمير وسيأخذونك فى دمى
الطاعنين بكل أسمر مدعس * والضاربين بكل أبيض مخذم
والواردين الصادرين اذا الوغى * لفحت بجمرتها وجوه الحوّم
ولعلهم تسمو بهم همماتهم * ان يدركوا فى الظبى ثار الضيغم

(وزاره) نفر من اخوانه فقال فيهم مرتجلا (بسيط)

أهلا وسهلا وكم من سادة نجب * كالذبل السمر أو كالانجم الشهب
أجللتم وتفضلتم بزورتكم * وليس ينكر فضل من ذوى حسب
اضاء منزلنا من نور أوجهكم * وطاب من عيشنا ما كان لم يطب

انتهى القسم الثالث من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان والحمد لله حق حمده
والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده

القسم الرابع من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان
فى بدائع نبهاء الادباء وروائع فحول الشعراء

(الفقيه الاديب أبو اسحق بن خفاجه رحمة الله عليه)

مالك اعنة المحاسن وناهج طريقها العارف بترصيعها وتنميقها الناظم لعقودها

الراقم لبرودها المجيد لارهافها العالم بجلائها وزفافها تصرّف فى فنون الابداع كيف شاء وابلغ دلوه من الاجادة الرشاء فشعشع القول ورققه ومدّ فى ميدان الاعجاز طلقه فجاء نظامه أرق من النسيم العليل وآنق من الروض البليل يكاد يمتزج بالروح وترتاح اليه النفس كالغصن المروح ان شبب فغمزات الجفون الوطف أو أشارات البنان التى تكاد تعقد من اللطف وان وصف سراه والليل بهيم مافيه وضوح وخد الثريا بالندى منضوح فناهيك من غرض انفرد بمضماره وتجرد لحمى ذماره وان مدح فلا الاعشى للمحلق ولا حسان لاهل جلق وان تصرّف فى فنون الاوصاف فهو فيها كفارس خصاف وكان فى شبيبته مخلوع الرسن فى ميدان مجونه كثير الوسن بين صفا الانتهال وحجونه لا يبالى بمن التبس ولا أى نار اقتبس الا أنه قد نسك اليوم نسك ابن أذينة وغض عن ارسال نظره فى أعقاب الهوى عينه (وقد أثبت له) ما يقف عليه اللواء وتصرف اليه الاهواء (أخبرنى) انه لما أقلع عن صبونه وطلع ثنية سلوته والكهولة قد حنكته وأسلكته من طرق الارعواء حيث أسلكته نام فرأى أنه مستيقظ وجعل يفكر فيما مضى من شبابه وفيمن ذهب من أحبابه ويبكى على أيام لهوه وأوان غفلته وسهوه ويتوجع لسالف ذلك الزمان ويتبع الذكر دمعا كواهى الجمان ثم استيقظ وهو يقول (وافر)

الا ساجل دموعى يا غمام * وطارحنى بشجوك يا حمام
فقد وفيتها ستين حولا * ونادتنى ورائى هل أمام
وكنت ومن لباناتى لبينى * هناك ومن مراضعى المدام
يطالعنا الصباح ببطن حزوى * فينكرنا ويعرفنا الظلام
وكان لى البشام مراح أنس * فماذا بعدنا فعل البشام
فيا شرخ الشباب ألا لقاء * يبل به على برح أوام
ويا ظل الشباب وكنت تندى * على أفياء سرحتك السلام

(وأخبرنى) انه لقى عبد الجليل الشاعر بين لورقة والمرية والعدو يلبط لا يريم يفرع تلك الربا ولا يزال يروع حتى مهب الصبا فباتا ليلتهما بلورقة يتعاطيان أحاديث حلوة المساق وبو اليان آناشيد بديعة الاتساق الى أن طلع لهم الصباح أو كاد وخوّفهم تلك الانكاد فقام الناس الى رحالهم فشدوها وافتقدوا

أسلمتهم فأعدوها وساروا يطيرون وجلا وان رأوا غير شئ ظنوه رجلا فمال اليه عبد الجليل وفؤاده يطير وهو كالطائر في اليوم العاصف المطير فجعل يؤمنه فلا يسكن فرقه ويؤنسه فيتنفس الصعداء تثير ها حرقه فأخذ في أساليب من القريض يسليه باشغاله بها وايغاله في شعبها فأحيل على تذييل واجازة واختبل حتى لم يدر حقيقة النظم ولا مجازه الى ان مرا بمشهدين عليهما رأسان باديان وكأنهما بالتحذير لهما مناديان فقال أبو اسحق مرتجلا (طويل)

أيا رب رأس لا تزاور بينه * وبين أخيه والمزار قريب

أناف به صلد الصفا فهو منبر * وقام على أعلاه وهو خطيب

فقال عبد الجليل مسرعا (طويل)

يقول حذارا لاغترار فطالما * أناخ قتيل بي ومر سليب

وينشد كلا نا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

فان لم يزره صاحب أو خليله * فقد زاره نسر هناك وذيب

فما تم قوله حتى لاح لها اقتام كأنه أغيام فانقشع عن سربة خيل كقطع الليل فما انجلت الا وعبد الجليل قتيل وابن خفاجة سليب وهذا من أغرب تقوّل وأصدق تفوّل وبلغه أني ذكرته في هذا الكتاب بقبيح وأتيت في وصف أيام فتوته بتندير وتمليح فكتب الي يعاتبني (كامل)

خذها ترن بها الجواد صهيلا * وتسيل ماء في الحسام صقيلا

بسامة تسبي الحليم وسامة * لولا المشيب لسمتها تقبيلا

حملتها شوقا اليك تحية * حملتها عتبا اليك ثقيلا

من كل بيت لو تدفق طبعه * ماء لغص به الفضاء مسيلا

ايه وما بين الجوانح غلة * لو كنت أنقع بالعتاب غليلا

ما للصديق وقيت تأكل لحمه * حيا وتجعل عرضه منديلا

أقبلته صدر الحسام وطالما * أضفيته درعا عليه طويلا

ماذا ثناك عن الثناء ونشره * بردا على الرسم الجميل جميلا

ارجا كما عثر النسيم بروضة * رطبا كما نضح الغمام مقيلا

أعد التفاتك واذ كرنها خلة * لا تستقل به علاك مميلا

وأصخ الى سجع القريض فربما * ندب القريض من الوفاء هديلا

وعج المطى على الوداد وحيه * طللا على حكم الزمان محيلا
وابعث بطيفك واعتقدها زورة * وصل السلام على النوى تعليلا
ولئن سألت بك الغمامة وابلا * يسم الجديب لما سألت بخيلا
واذا دعيت ولا دعابة غيبة * فاغضض هنالك من العنان قليلا
واصحب وذكرك من هجير لافح * ذكرا كما سرت القبول بليلا
فلقد حللت مع الشباب بمنزل * يرتد طرف النجم عنه كليلا
وبدهت لانزر المحاسن مجبلا * ومضيت لا اقصم الغرار فليلا
متدفقا أعيا العقول طريقة * فكأنما ركب المجرة سبيلا
يستوقف العليا جلالا كلما * سجد اليراع بكفه تقبيلا
لاتستنير بك السيادة غرة * حتى يسيل بك الندى تحجيلا
وسواى ينشد فى سواك ندامة * ياليتنى لم اتخذك خليلا

(وله) فى وصف ورد نثر عليه نوار نارنج (كامل مجزوء)

وندى أنس هزنى * هز الشراب من الشباب
والليل وضاح الجبين قصير اذيال الثياب
فقنصت منه حمامة * بيضاء تنسج من غراب
والنور مبتسم وخد الورد مخطوط النقاب
يندى بأخلاق الصبا * ب هنالك لا بندى السحاب
وكلاهما نثر كما * نثروا القوافى فى الخطاب
فكأن كاس سلافة * ضحكت الهم عن حباب

وله فى صفته أيضا (مجتث)

وصدر ناد نظمنا * له القوافى عقدا
فى منزل قد سحبنا * بظله العز بردا
تذكو به الشهب جمرا * ويعبق الليل ندا
وقد تأرج نور * غض يخالط وردا
كما تبسم ثغر * عذب يقبل خدا

(وكتب) الى معاتبا على مخاطبة لم ير لها جوابا ولا قرع لانبائى بها بابا فكتبت اليه معتذرا بطول اغترابي وتوالى اضطرابي وأنى ما استقررت يوما

ولا

ولانقعت فى منهل الثواء ظمأ ولا جوما (فكتب الىّ) ياسيدى الاعلى وعلقى الاغلى حلى بك وطنك ولا خلا منك عطنك كتبت والودّ على أولاه والعهد بحلاه ترف زهرة ذكراه ويمج الرىّ ثراه منطويا على لدغة حرقة بل لوعة فرقة أبيت بها بليل لا يندى جناحه ولا يتنفس صباحه فها أنا كلما تناوحت الرياح أصيلا وتنفست نفسا عليلا أصانع البرحاء تنشقا واتنفس الصعداء تشوقا فهل تجد على الشمال نفحة كما أجد على الجنوب لفحة أم هل تحس لذلك الوهج ألما كما أجد الارج لمما وأما وحقك قسما يشتمل على الايمان لزما ان فى أدنى هذه اللواعج مايقتضى انضاء هذه النواعج ويحمل على حزق جيب الخرق وجرّ ذيل برد الليل حتى أهبط أرض ذلك الفضل فاغتبط وارد مشرع ذلك النيل فأتبرد وعسى الله بلطفه أن ينظم هذا البدد ويعيد ذلك الود فيبرد الاحشاء كيف شاء بمنه وان كتابك الكريم وفانى تحية هزتنى اريحية هز المدامة تمنى والحمامة تغنى فلولا أن يقال صبا للزمت سطوره ولثمت مسطوره ومانطقتنى صبوة استفزتنى فهزتنى ولكن فضله راح فى كاس العلا تناولتها فكلما شربت طربت فلولا وقوع غمرات الشيب لابتدرت شق الجيب ثم صحت واطرباه وناديت واحر قلباه (وبعد) فانى وقفت من جملته على ماوقع موقع القطر وحسبك ثلجا وطلع طلوع هلال الفطر وكفاك مبتهجا وما أعرب عنه من تفسير حالك وتفصيل حلك وترحالك ولا غرو أن تجذبك الرواحل وتتهاداك المراحل فالنجم أخيل من دار ولا فى غير الشرف من مدار فقع أنى شئت وارتع وطر حيث أحببت أوطر فما انتضتك يد المغارب الاماضى المضارب ولا تعاطتك أقطار البلاد الا طيب الميلاد فما صار ان نعق ببينك غراب وخفق برحالك سراب اذ لم يقض من فضلك اغتراب ولا أخل بنصلك ضراب لازالت مخيما بمنزلة مجد تجمع من اتساع فى ارتفاع وامتاع فى امتناع بين امرة بغدان ومنعة غمدان بحول الله تعالى وبركاته والسلام

(وله) فى وصف شجرة نارنج (متقارب)

ألا أفصح الطير حتى خطب * وخف له الغصن حتى اضطرب
فمل طربا بين ظل هفا * وطيب وماء هناك انثعب
وحل فى الحديقة أخت المنى * ودن بالمدامة أمّ الطرب

وحاملة من بنات القنا * أماليد تحمل خضر العذب
تنوب مورقة عن عذار * وتضحك زاهرة عن شنب
وتندى بها فى مهب الصبا * زبرجدة أثمرت بالذهب
فطورا تفاوح أنفاسها * وطورا تغازلها من كثب
فتبسم فى حالة عن رضا * وتنظر آونة عن غضب

وله يتغزل (مجتث)

وأهيف قام يسقى * والسكر يعطف قده
وقد ترنح غصنا * واحمرت الكاس ورده
وألهب السكر خدا * أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسى * وكدت أشرب خده

وله فى مثله (بسيط مخلع)

يا نزهة النفس يا مناها * يا قرة العين يا كراها
أما ترى لى رضاك أهلا * وهذه حالتى تراها
فاستدرك الفضل يا أباه * فى رمق النفس يا أخاها
قسوت قلبا ولنت عطفا * وعفت من ثمرة نواها

(وقال) يندب معاهد الشباب ويتفجع لوفاة الاخوان والاحباب بعقب سيل أعاد الديار آثارا وقضى عليها وهيا وانتثارا (طويل)

ألا عرس الاخوان فى ساحة البلا * وما رفعوا غير القبور قبابا
فدمع كما سح الغمام ولوعة * كما ضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتنى فى الديار عشية * تلذذت فيها جيئة وذهابا
أكر بطرف فى معاهد فتية * ثكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطال وقوفى بين وجد وزفرة * أنادى رسوما لا تحير جوابا
وأمحو جميل الصبر طورا بعبرة * أخط بها فى صفحتى كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم * فلم أر الا أعظما ويبابا
وحسبى شجوا أن أرى الدار بلقعا * خلاء واشلاء الصديق ترابا

ولقد أحلنى أحد الديار المندوبة وهى كعهدها فى جودة مبناها وعودة سناها فى ليلة اكتحلت ظلامها اغدا ومحونا بها من نفوسنا كمدا ولم يزل ذلك

الانس يبسطه والسرور ينشطه حتى نشر لي ماطواه وبث مكتوم لوعته وجواه واعلمني بلياليه فيها مع أترابه وماقضى بها من أطرابه وكان هذا المنزل أشهى اليه من سواه وأخص بهواه لانه كان كلفا بربه مسرفا في حبه وفيه يقول وقدمات باغمات (طويل)

أرقت أكفكف الدمع طورا واسفح * وأنضح خدى تارة ثم أمسح
ودون تلك طماح من الماء مائج * يعب ومغبر من البيد آفيح
و انى اذا ما الليل جاء بفحمة * لأورى زناد الهم فيها فأقدح
واتبع طيب الذكر انه موجع * فينفح هذا حيث هاتيك تلفح
وألقى بياض الصبح يسود وحشة * فأحسبنى أمسى على حين أصبح
ويوحشنى ناع من الليل ناعب * فازجر منه بارحا ليس يبرح
وأستقبل الدنيا بذكر محمد * فيقبح فى عينى ماكان يملح
وأشفق من موت الصبا ثم انى * لآمل ان الله يعفو ويصفح
غلام كما استحسنت جانب هضبة * ولان على طش من الماء أبطح
أقول وقدوا فى كتاب نعيه * بجمجم فى ألفاظه فيصرح
أرام بأغمات يسدد سهمه * فيرمى وقلب بالجزيرة يجرح
فيا الغريب فاجأته منية * أتته على عهد الشباب تجلح
كان لهيبا بين جنبى واقدا * به ورڪابا بين جفنى تمخ
جلست أسوم الدهر فيه ملامة * وكنت كما قد دقت أثنى وأمدح
غريقا ببحر الدمع والهم والدجا * ولو كان بحرا واحدا كنت أسبح
ففى ناظرى لليل مربط أدهم * وفى وجنتى للصبح أشهب يجمح
اذا كان قصد الانس بالالف وحشة * فما أشتهى أنى أسر فافرح
فيا عارضا يستقبل الليل والبلا * ويسرى فيطوى الاطولين ويمسح
تحمل الى قبر الغريب مزادة * من الدمع تندى حيث سرت وتنضح
وطيب سلام يعبر البحر دونه * فيندى وازهار البطاح فتنفح
وعرج على قبر الحبيب بنظرة * تراه بها عينى هنالك وتلمح

(وله) فى وردة طرأت فى غير أوانها (كامل)

وغريبة هشت الى غريرة * فوددت لو نسخ الضياء ظلاما

طرأت علىّ مع المشيب نشوقنى * شيخا كما كانت تشوق غلاما
مقبولة أقبلتها عن لوعـــــة * نظرا يكون اذا اعتبرت كلاما
عـذرت وقد أجللتها عن نشوة * كبرا وأوسعت الزمان ملاما
عقبت وقد حن الربيع على النوى * كرما فأهداها الىّ سلاما

(وكانت) بضفة الجزيرة ايكة يانعة وكان هو ومن يهواه يقعدان لديها ويوسدان خدودهما أبرديها فقربها ومحبوبه قد طواه الردى ولواه عن ذلك المنتدى فتذكر ذلك العهد وجاله وأنكر صبره لفقده واحتماله فقال (طويل)

الا ذكرتنى العهد بالانس أيكة * فأذكرتها نوح الحمام المطوّق
وأبكيت أبكى بين وجد اناخ بى * حديث وعهد للشبيبة مخلق
وأنشق انفاس الرياح تعللا * فأعدم فيها طيب ذاك التنشق
ولما علت وجه النهار كآبة * ودارت به للشمس نظرة مشفق
عطفت على الاجداث أجهش تارة * وألثم طورا تربها من تشوّق
وقلت لمغف لايهبّ من الكرى * وقد بت من وجد بليل المؤرّق
لقد صدعت أيدى الحوادث شملنا * فهل من تلاق بعد هذا التفرّق
* وان تك للخلين ثم التقاءة * فياليت شعرى أين أو كيف نلتقى
فأعزز علينا ان تباعد بيننا * فلم يدر ما ألقى ولم أدر ما لقى

(وله) يتوجع لفقد الشباب (طويل)

أما وشباب قد ترامت به النوى * فأرسلت فى أعقابه نظرة عبرى
لقد ركبت ظهر السرى بى نومة * فأصبحت فى أرض وقد بت فى أخرى
فهاأنا لانفس تحف بها المنى * فتلهى ولاسمع تطور به بشرى
أقلب جفنا لايجف فكلما * تأوهت عن شكوى تأملت بى سكرى
وانى اذا ما شاقنى لحمامة * رنين وهزتنى لبارقة ذكرى
لأجمع بين الماء والنار لوعة * فمن مقلة ريا ومن كبد حرا
وقد خف خطب الشيب فى جانب الردى * فصارت به الصغرى التى كانت الكبرى
وللشعر عندى كلما ذب الصبا * فأبكى محل ألحق الشعر بالشعرى
فليت حديثا للحداثة لوجرى * فسلى وطيفا للشبيبة لوأسرى

(وله) يستطيل الليل (مجتث)

يا ليل وجد بنجد * أما الطيفك مسرى
وما لدمعي طليقا * وأنجم الجو أسرى
وقد طمى بحر ليل * لم يعقب المد جزرا
لا يعبر الطرف فيه * غير المجرة جسرا

وله في الشقيق (كامل)

يا حبذا والبرق يزحف بكرة * جيشا رحيق دونه وحريق
حتى اذا ولى وأسلم عنوة * ما شئت من سهل وذروة نيق
أخذ الربيع عليه كل ثنية * فبكل مرقبة لواء شقيق

وله مما يتعلق بصفة نار (كامل)

ومعين ماء البشر أبرق هشه * فكرعت من صفحاته في مشرب
متهلل يندى حياء وجهه * فتراه بين مفضض ومذهب
أنضى الحسام حسادة فغرنده * دمع ترقرق فوقه لم يسكب
خيمت منه بين طود شامخ * نال السماء وبين روض معشب
تهفو به نار القرى فكأنها * مهما عشا ضيف اليها تطرب
حمراء نازعت الظلام رداءه * وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها * لم تدر فيها شعلة من كوكب
وتنفست عن كل لفحة جمرة * باتت لها ريح الشمال بمرقب
مشبوبة وكأنما هي زفرة * من محنق أو نظرة من مغضب
قد ألهبت فتذهبت فكأنها * لسكون شر شرارها لم تلهب
تذكو وراء رمادها فكأنها * شقراء تمرح في عجاج أكهب
والليل قد ولى يقلص برده * كبرا ويسحب ذيله في المغرب
وكأنما نجم الثريا سحرة * وكف تمسح من معاطف أشهب

(ووصلت شاطبة في فطر سنة عشر وخمسمائة) والامير أبو اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين أيده الله معيد بها ومجدد ذاهب رتبها وكان عيدا كان عهد أهلها بمثله بعيدا بل لم يعهد بالقطر شبيهه ولم يحضر مثله خامله ولا نبيهه وكان ابن خفاجة هذا حاضر الاستنجاز وعده بالتوقيع على صك يحذى نعاله من عنده فلما كان يوم العيد واحتفل جمعه واحتشد قام أبو اسحق وأنشد (طويل)

سجعت وقد غنى الحمام فرجعا * وما كنت لولا أن تغنى لأسجعا
وأندب عهدا بالمشقر سالفا * وظل غمام للصبا قد تقشعا
ولم أدر ما أبكى أرسم شبيبة * عفا أم مصيفا من سليمى ومربعا
وأوجع توديع الاحبة فرقة * شباب على رغم الاحبة ودعا
وما كان أشهى ذلك الليل مرقدا * وأندى محيا ذلك الصبح مطلعا
وأقصر ذاك العهد يوما وليلة * وأطيب ذاك العيش ظلا ومكرعا
زمان تقضى غير ذكر معاهد * يسوم حصاة القلب أن يتصدعا
تحولت عنه لا اختيارا وربما * وجعت على طول التلذذ أخدعا
ومن لى ببرد الريح من أبرق الحمى * وريا الخزامى من أجارع لعلعا
وقد فات ذاك العهد الا تذكرا * لوانى على ظهر المطى توجعا
وكنت جليد القلب والشمل جامع * فما انفض حتى حان فارض أدمعا
وبلت نجادى عبرة مستهلة * أكفكف عنها بالبنان تصنعا
وانى وعينى بالظلام كحيلة * لآبى لجنبى أن يلائم مضجعا
وبأبى بنفسى ان أرى الصبح أبيضا * بعين ترى ربع الشبيبة بلقعا
كأنى لم أذهب مع اللهو ليلة * ولم أتعاط البابلى المشعشعا
ولم أتخايل بين ظل لسرحة * ومجمع لغريد وماء بأجرعا
ولم أرم آمالى بأزرق صائب * وأبيض بسام وأسمر أصلعا
وأبلق خوار العنان مطهم * طويل الشوى والشأو أقود أتلعا
جرى وجرى البرق اليمانى عشية * فأبطأ عنه البرق عجزا وأسرعا
كأن سحابا أسحما تحت لبده * تضاحك عن برق سرى فتصدعا
وحسب الاعادى منه أن يزجروا به * مغيرا عرابا صبح الحى أبقعا
كأن على عطفيه من خلع السرى * قميص ظلام بالصباح مرقعا
ركضت به بحرا تدفق مائجا * وأقبلت ام الرأل نكباء زعزعا
يؤلل من اذن فاذن تشوقا * الى صرخة من هاتف وتطلعا
كأن له من عامل الرمح هاديا * منيعا ومن ذلق الاسنة مسمعا
ولما انتحى ذكر الامير استخفه * فخفض من لحن الصهيل ورفعا
حنينا الى الملك الاعز مرددا * وشجوا على المسرى القصى مرجعا

فعن حبّ ابراهيم أعرب صاهلا * وفى نصر ابراهيم كرّ تشيعا
امام يباهى الحمد وشيا مذهبا * به وبرأس المجد تاجا مرصعا
عشيت به أندى من المزن راحة * وأطيب أفياء وأمرع مربعا
طمى الجود فى يمناه بحرا وربما * تدفق فى أرجائه فتدفعا
وغذى نداه الغيث فانهلّ واكفا * وحسبك من سقياه أن أسجما معا
فربّ حديث عن علاه سمعته * وما طائر البشرى بأحسن مسمعا
فيا شائمى برق توضح موهنا * وقعقع ارعاد بنجد فأطمعا
اذا كف من قطر بكما عارض الندى * وانكما برق البشاشة فاربعا
فانّ أبا اسحق أخصب تلعة * وأشهى مدى ظل وأعذب مربعا
وحسبكما أن قد تأسى به الحيا * فعاود من رحماه ما كان أقلعا
وعز الهدى منه بأوحد أمجد * طويل نجاد السيف أبلج أدرعا
أحلّ به العود اليبيس سماحة * وأخدم مطرود الظبى لا تورّعا
اذا دبّ أخفى من حبال مكيدة * يصوّب أبرى من شهاب وأسرعا
وما السيف فى كف الكمى مجرّدا * بأسطى وراء النقع منه وأسطعا
دعا باسمه داعى الحفيظة والندى * فلبى على شرخ السباب وأهطعا
وهبّ كما هبّ الحسام استنامة * وعبّ كما عبّ الخضمّ تبرعا
وجرّ به ذيل الخميس ابن غابه * تردى غلاما با لعلا وتلفعا
وداس العدى ركضا وأجرى الوغى دما * بأطوع من يمناه فعلا وأطبعا
ولما تدرّى منهما النصل منطقا * سديدا فريدا أوجيدا مقطعا
فبيد فى ذات المكارم واتقى * ورقوه فى جنب الاله ورفعا
وخفض من صوت الابىّ وصيته * وزلزل من ذكر العصىّ وضعضعا
وألقت اليه بالمقادة قادة * تطامن من أعراقها ما ترفعا
وذلل من أخلاقه كل ريض * وأصحب خوّار الشكيمة طيعا
فمن مبلغ الايام عنى أننى * تبوّأت منه حيث شئت تمتعا
وطرت ثناء واطلعت ثنية * فأسرفت ايضاعا وأشرفت موضعا
وهل بقيت للنفس الاطلاعة * الى القلم الاعلى بخط موقعا
فما القمر السارى بأجمل غرّة * ولا الوابل الغادى بأكرم مصنعا

وهنئت عبدا قد تلقاك قادما * ولم يك لولا أن طلعت ليطلعا
وحسبك جد قد أظلك خادما * فما هو الا أن تقول فيسمعا
وحياك من فرع لأشرف دوحة * نسيم كأنفاس العذارى تضوعا
يلاعب من خوط الاراكة معطفا * ويمسح من مسرى الغمامة أدمعا

وله فى الاخذ بحظ من الجد والهزل والزهد والغزل (منسرح)

قل للقبيح الفعال يا حسنا * ملأت جفنى ظلمة وسنا
فاسمح طرفك الضنى أقلا * فاسم عينى ذلك الوسنا
انى وان كنت هضبة جلدا * اهتز للحسن لوعة غصنا
قسوت بأسا ولنت مكرمة * لم ألتزم حالة ولا سننا
لست أحب الجود فى رجل * تحسبه من جوده وثنا
لم يكحل السهد جفنه كلفا * ولا طوى جسمه الغرام ضنى
ممن عصى داعى الهوى فقسا * وكان صلدا من الصفا خشنا
فلى فؤاد أرق من ظبية * يأبى الدنايا ويعشق الحسنا
طورا منيب وتارة غزل * يبكى الخطايا ويندب الدمنا
اذا اعترت خشية شكا فبكى * أو انتحت راحة دنا فجنا
كأننى غصن بانة خضل * تثنيه ريح الصبا هنا وهنا

* (الاديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى رحمه الله تعالى) *

أحد الفحول البرىء من المطروق والمنحول تفتحت كمائم رويته عن زهر المعانى وأبدت قصائده غرض المدارى لها المعانى فما يبين فى معناه انحلال معاقد ولا تلين قناته لغمز ناقد مع أدب منساب تفرع من دوحتى روية واكتساب وكان بينه وبين ابن عمار ذمام تذكره لما أسهل وأعاد معلما ذلك المجهل فأعلقه بدولته وألحقه بجملته ونفقه بعد الكساد وطوقه من استخلاصه ما أغاظ به الحساد كان يعتقد تقدمه ويعقد بنواصى الشعراء قدمه الا أنه مع تمييزه له بالاحظاء وتجويزه اياه عند الاقتضاء لم يوصله عند المعتمد الى حظ ولم ينله منه الا كرة لحظ فمن بديعه الحسن ومطبوعه المستحسن انه ركب باشبيلية زورقا فى النهر الذى لا تدانيه السمرات ولا يضاهيه الفرات فى ليلة تنقبت بظلمتها ولم يبد وضح فى دهمتها وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما فى اللجة وزاد فى تلك البهجة

فقال مرتجلا فى الحين (منسرح)

كانما الشمعتان اذ سمتا * جيد غلام محسن الغيد
وفى حشى النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدى

وكان معه غلام البكرى معاطيا للراح وجاريا فى ميدان ذلك المراح فلما جاء عبد الجليل بما جاء وحلى للابداع الجوانب والارجاء حسده على ذلك الارتجال وقال بين البطء والاستعجال (كامل)

أعجب بمنظر ليلة ليلاء * تجنى بها اللذات فوق الماء
فى زورق يزهى بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغيناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاح تحت الماء ضوء جبينه * كالبرق يخفق فى غمام سماء

وساير الوزير الاستاذ أبا بكر بن القبطرنة وهو غلام يحار مجتليه ويغار غصن البان من تثنيه وقد وضع يمناه فى شماله وتضوع عرف آماله والناس ينظرون هلال شوال فقال (خفيف)

يا هلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك قابض بشمالى
هبك تحكى سناه خد ابجد * قم تجنى لقده بمثال

وله من قصيدة فريدة (بسيط)

بينى وبين الليالى همة جلل * لو نالها البدر لاستخذى له زحل
سراب كل يباب عندها شنب * وهول كل ظلام عندها كحل
من أين أبخس لا فى ساعدى قصر * عن المعالى ولا فى مقولى خطل
ذنبى الى الدهر فلتكره سجيته * ذنب الحسام اذا ما أحجم البطل

ومن هذه القصيدة وهو بديع فى بابه

جيش فوارسه بيض كانصله * وخيله كالقنا عسالة ذبل
اشباه ما اعتقلوه من ذوابلهم * فالحرب جاهلة من منهم الاسل
يمشى على الارض منهم كل ذى مرح * كأنما التيه فى اعطافه كسل

ودخل المرية وقد أحرج المعتمد على الله واضجره حتى أبعده وهجره فلما كان يوم العيد وحضر المعتصم شعراؤه واجتمع كتابه ووزراؤه بعث فى عبد الجليل فتأخر وزرى بالحال وسخر وقال أبعد المعتمد أحضر منتدى أو استمطر جودا

أوندى وهل تروق الاعياد الا فى فنائه أو تحسن الامداح الا فى سنائه ثم قال (طويل)

دنا العيد لو تدنو النا كعبة المنى * وركن المعالى من ذؤابة يعرب

فوا أسفا للشعر ترمى جماره * ويا بعد ما بينى وبين المحصب

وكان كلفا بالغلمان مكسفا بين الخوف والامان فان الانفراد بهم كان عليه محجورا وكان من أجلهم ممقوتا ومهجورا فانه اشتهر فى حبهم أشد اشتهار واستظهر على كلفه بهم بالشظف والاقتار فعلق بغلام باشبيلية علاقة لم تدع له مجالا ولم تبق له روية ولا ارتجالا فبيناهو يستدنى منه عطفة المساعد ويجتنى زهرات المنى بساحات المواعد سنحت له رحلة ما أمهلته ولا راعه منها الا كل روعة اذهلته فقال وما عطل من حلى الابداع ذلك المقال (كامل)

ان سرت عنك ففى يديك قيادى * أو بنت عنك فما يبين فؤادى

صيرت فكرى فى بعادك مؤنسى * وجعلت لحظى من بعادك زادى

وعلى أن أذرى دموعى ان أنا * أبصرت شبهك فى سبيل بعادى

كم فى طريقى من قضيب يانع * أبكى عليه ومن صباح باد

تلقاك فى طى النسيم تحيتى * ويصوب فى ديم الغمام ودادى

وله فى غلام وسيم كان يشاربه فنام وتقلد سمطا من در العرق شاربه (بسيط)

وشادن قد كساه الروض حلته * يستوقف العين بين الغصن والكثب

مموه الحسن لم يعدم مقبله * فى خده رونقا من ذلك الشنب

تدعو الى حبه لمياء كللها * زبرجد النبت يجلو لؤلؤ الحبب

وعلق باشبيلية بأحد قيانها وأنجد اعيانها وكان أجمل من جال فى خلد واستطال على جلد وهام به هيام الاحوص بدعد والرعى بهند بنى سعد وكان الفتى ينافر وصله ويطرد فى مباعدته أصله الى ان أطل شعر عارضه وذل لمعارضه فعاد الى مساعدته واستعاذ بدنوه من مباعدته فقال (بسيط)

يا نوم عاود جفونا طالما سهرت * فان باعث وجدى رق لى ورثى

عانقته وهلال الافق مطلع * فعاد من حسدى حيران مكترثا

وكان للحسن سر فيه مكتتم * وشى به ناظرى من طول ما بحثا

لام يدل على بلبال مبصره * مازال يبعث وجدى كلما انبعثا

من آل مذحج فى شخص كلفت به * لم ينقض العهد من ودّى ولا نكثا

وله يتغزل (كامل)

أهوى سكيران اللواحظ مارنا * الا واسكر كل قلب صاح
أمل من الآمال أحور أهيف * خلعت عليه لطافة الارواح
متجند جعل الفؤاد وطيه * ولحاظه بدلا من الارماح
علمته سفك الدماء بمهجتى * وتركته يجنى بغير جناح

وله يصف بازيا (منسرح)

وصارم فى يديك منصلت * لو كان للسيف فى الوغى روح
يجتاب مما لبست ضافية * لها على معطفيه توشيح
متقد اللحظ من شهامته * فالجو من ناظريه مجروح
والريح تهفو كانما طلبت * سليلها فى يمينك الريح

وله يصف حرشفة (طويل)

وحرشفة ان كنت ذا قدرة على * نفوذ الى ذاك الجنى الحلو فانفذ
كانى قد توجت منها ببيضة * وقد وضعت للصون فى جلد قنفذ

وله وقد اجتاز على فرن وبيده مرتطة بيد أحد فتيان أهل اشبيلية يسمى ربيعا فقال له صف لنا هذا الفرن فقال (خفيف)

رب فرن رأيته يتلظى * وربيع مخالطى وعقيدى
قال شبه فقلت صدر حسود * خالطته مكارم المحسود

وله يتغزل (طويل)

سقى فسقى الله الزمان من اجله * بكاسين من لميائه وعقاره
وحيا فحيا الله زهرا أتى به * بآسين من ريحانه وعذاره

* (الاديب أبو بكر الدانى المعروف بابن اللبانة رحمه الله تعالى) *

المديد الباع الفريد الانطباع الذى ملك للمحاسن مقادا وغدا له البديع منقادا أى مقال ينبئ عن معناه وفصله وأى ارتقال ينتهى الى مداه وخصله وقد شد ذ فايشرك وبذ فايدرك رقى الى ما أحبه وقطع سنام كل معارض وجبه وتقلد النظام حساما لا تنبو مضاربه وولد غرضا لا يدانيه أحد ولا يقاربه فبدا سابقا وغدا لفظه لمعناه مطابقا (وقد أثبت) له ما تبصر له لمعا وشروقا وتهصر

غصنه ناعما وريقا كان المعتمد على الله يميزه بالتقريب ويستعذب ما يأتي به من النادر الغريب ويوليه انعاما واحسانا ويريه الزمان كله أذارا ونيسانا فلما نبت صعاده وأعوزه من دهره اسعاده ورحل به الى المغرب وحل فيه محل النازح المغترب وغدرته الايام غدر أهل خراسان لقتيبة وفى له أبو بكر بالرحلة الموفاء الطعينة اعتيبة وتراسلا هنالك باشعار شفى بها المعتمد نفسه واستوفى سلوه وانسه وشكر له ما ناله من مسلاته وحمد عقد موالاته وصار له بذلك حق مشهور وفخر لا تبليه الدهور (وقد أوردنا) من ذلك فى اخبار المعتمد أعدل شاهد ووصفنا تلك المحاضر والمشاهد ومن بديع قوله يتغزل (وافر)

تولى السرب خيفة من بليه * وأفلت من حبائل قانصيه

على شرف الجبلة كان حتى * توجس نبأة من خاتليه

فمر على مهب الريح يعدو * بأسرع من مدامع عاشقيه

تعلق آخر البطحاء هضبا * تأمل منه خيبة آمليه

وصادف عنده مرعى مريعا * فأصبح يشرئب ويرتعيه

توجه حيث لم تقف خطاه * بمنسوب الى آل الوجيه

بمياع الاديم يكاد يغشى * بنقبته لواحظ مبصريه

ودخل ميورقة فى عهد ناصرها وسلامة مقاصرها وهى باهرة الجمال عاطرة الصبا والشمال تقيد الناظر ببهجتها وتنبه بذى ملكها على لجتها فتلقاه ناصر الدولة بعهود اجماله وصدق له ظنون آماله فقال يمدحه (كامل)

حنيت جوانحه على جمر الغضى * لما رأى برقا أضاء بذى الاضا

واشتم فى ريح الصبا أرج الصبا * فقضى حقوق الشوق فيه بان قضى

والتف فى حبراته فحسبتها * من فوق عطفيه رداء فضفضا

قالوا الخيال حياته لو زاره * قلت الحقيقة قلتم لو غمضا

يهوى العقيق وساكنيه وان يكن * خبر العقيق وساكنيه قد انقضى

ويود عودته الى ما اعتاده * ولقلما عاد الشباب وقد مضى

ألف السرى فكأن نجما ثاقبا * صدع الدجا منه وبرقا مومضا

طلب الغنى من ليله ونهاره * فله على القمرين مال يقتضى

فهما بدت شمس يكون مذهبا * واذا بدا بدر يكون مفضضا

هـذا أفاد وفاد غير مقصر * جهد المقل بان يموت مفوضا
ولرب ربة حانة نبهتها * والجو لؤلؤ طله قد رضرضا
وقد انطفت نار القرى وبقى على * مسك الدجا مذرور كافور الغضى
والليل قد سدى وألحم ثوبه * والفجر يرسل فيه خيطا أبيضا
ومتى ركبت لها أعالى ايكة * نشرت جناحا للرياح معترضا
والبحر يسكن خيفة من ناصر * أرضى الرياسة بعد موت المرتضى
ملك سمت علياه حتى دوحت * وذكا ثرى نعماه حتى روضا
ماء الغمائم جرعة مما سقى * وسنا الاهلة خلعة مما نضا
خفقت عليه راية وذؤابة * فكأن صلا نحو صل نضنضا

وكان المرتضى رحمه الله هو الذى أورث ناصر الدولة الملك ونظم بابته ذلك السلك فلم يكفريده ولم ينثن عن مجازاة ما قلده ولم يزل يتعهد ساقته ويفتقدها ويبر من كان يوالى دولته ويعتقدها الى ان ماتت أخته فاحتفل فى جنازتها احتفالا شكر فيه فعله ومشى الى لحدها وما ركب الا نعله وندب الشعراء الى رثائها وتأبينها وايضاح فضائلها وتبيينها فقام أبو بكر على قبرها وقال (طويل)

أبنت الهدى جددت منعا علا منعا * مضى المرتضى أصلا وأتبعته فرعا
جرى الموت جرى الريح فى منبتيكما * فأذوى ريحانا وكسره نبعا
على نسق جاء المصاب وانما * تقدم وترا ثم أتبعته شفعا

وقال يمدحه بقصيدة أولها (كامل)

هلا ثناك على قلب مشفق * فترى فراشا فى فراش يحرق
أنت المنية والمنى فيك استوى * ظل الغمامة والهجير المحرق
لك قد ذابلة الوشيج ولونها * لكن سنانك أكحل لا أزرق
ويقال انك أيكة حتى اذا * غنيت قيل هو الحمام الاورق
يامن رشقت الى السلو فردنى * سبقت جفونك كل سهم يرشق
لو فى يدى سحر وعندى أخذة * لجعلت قلبك بعض حين يعشق
جندى من الاعداء فيك لانه * لا يستبين لطرف طيف يرمق
لم يدر طيفك موضعى من مضجعى * فعذرته فى أنه لا يطرق
جفت لديك منابعى ومنابتى * فالدمع ينشع والصبابة تورق

وكأنّ اعلام الامير مبشر * نشرت على قلبي فاصبح يخفق
الخيزرانة تلتظى فى كفه * والتاج فوق جبينه يتألق
وكأنّ صوب حيا وصعقة بارق * ماضم منه نديه والمازق
متباعد الطرفين جود غافل * عما يحل به وعزم مطرق
باس كما جمد الحديد وراءه * كرم يسيل كما يسيل الزئبق
لا تعجب الاملاك كثرة مالهم * النبع أصلب والاراك أورق
ضدان فيه لمعتد ولمعتف * السيف يجمع والعطاء يفرّق

ومنها

وبنو الحروب على الحرابي التى * تردى كما تردى الجياد السبق
خاضت غدير الماء سابحة به * فكأنما هى فى سراب أينق
ملأ الكماة ظهورها وبطونها * فاتت كما يأتى السحاب المغدق

وله (وافر)

رأت بك أوجه العليا مناها * وعاد على لواحظها كراها
وجاءت فيك ألسنة المعالى * بآيات تشرف من تلاها
سوالك يسير فى أرض فاما * خطاك فبالمجرة لا سواها
كأنّ الشهب اذ تجرى لسعد * تخطّ لك الطريق على ذراها

وله أيضا (طويل)

بكت عند توديعى فما علم الركب * اذاك سقيط الدرّ أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وانى لمخطئ * نجوم الدياجى لا يقال لها سرب
لئن وقفت شمس النهار ليوشع * فقد وقفت شمس الهدى لى والشهب
عقيلة بيت المجد لم ترها الدجا * ولا لمحتها الشمس وهى لها ترب
ظبى الهند مما ذب عنها وانما * تلطف لى فيها بخدعته الحب
سرت وبروج النيرات قبابها * وقدامها من كل خاطفة قب
وما دخلت الا المجرّة واديا * فليس لها الا باعطانها شرب
وبحر سوى بحر الهوى قد ركبته * لامر كلا البحرين مركبه صعب
غريب على جنبى غراب نهوضه * بقادمتى ورقاء مطلبها شعب
كأنى قذى فى مقلة وهو ناظر * بها والمجاذيف التى حولها هدب
ولما رأت عينى جناب ميورق * أمنت وحسب المرء بغيته حسب

نزلت

نزلت بكافور وتبر وجوهر * يقال لها الحصباء والرمل والترب
وقلت المكان الرحب اين فقيل لى * ذرا ناصر العلياء أجمعه رحب

وسعى به الى ناصر الدولة وبغى ونبذ حق نباهته والغى فلم يرع انقطاعه ولا جوزى احسانه ولا ابداعه وهجر هجر الجرب وأقام مقام الحائر المضطرب وكانت عادة ناصر الدولة فى غير طار ولا ضيف النفى أو السيف فلم يفتح مع أبى بكر فى أحدهما باب ولا أغبه جزع ولا ارتياب فكتب اليه يستمرحه (متقارب)

عسى رأفة فى سراح كريم * أبل بها برد نداء الغليلا
وعلى أراح من الطالبين * فاسكن للامن ظلا ظليلا
ومن بلد الغيث فى بطن واد * وبات فلا يأمن السيولا
لقد أوقد والى نيرانهم * فصيرنى الله فيها الخليلا
أفز بنفسى وان أصبحت * ميورقة مصر وجد والنيلا

وقال يمدحه (كامل)

عرج بمنفرجات واديهم عسى * تلقاهم نزلوا الكثيب الاوعسا
أطلبهم حيث الرياض تفتحت * والريح فاحت والصباح تنفسا
مثل وجوههم بدورا طلعا * وتخيل الخيلان شهبا كنسا
واذا أردت تنعما بقدودهم * فاهصر بنعمان الغصون الميسا
بابى غزال منهم لم يتخذ * الا القنا من بعد قلبى مكنسا
لبس الحديد على لجين أديمه * فعجبت من صبح توشح حندسا
وأتى يجر ذوابلا وذوابلا * فرأيت روضا بالصلال تحرسا
لا ترهب السيف الصقيل بكفه * وارهب بعارضه العذار الاملسا
وام العدا فتلى عليه فخفهم * والنجم ليس يمكن ان يلمسا
وفككت بغيهم وفزت وهكذا * فك الصحيفة خلص المتلمسا
كابد الى العز الهجير ولا تكن * فى الذل ما بين الظلال معرسا
واذا وصلت الى الامير مبشرا * فاجعل بساطك فى ذراه السندسا
نوع وجنس فى مثالك فانه * ملك تنوع فى العلا وتجنسا

وكان بينه وبين وزيره أبى القاسم ذمام ائتلاف ومعاطاة سلاف وروحات والتهاب بكر وراحات راح السرور عليها وابتكر ووداد أشبه عصر الشباب

وعهداً قفر من التعاهد حتى عاد كالقفر اليباب فلما وصل ميورقة تجدد دارسه وعادت آجامها مكانسه فكان أبو بكر يظن ان تلك الموات تنفقه وان كسد وتخلصه وان حصل فى لهوات الاسد ولم يعلم ان لا جديد لمن تخلقه الايام وتبله ولم يسمع وجدت الناس اخبر تقله فلما تغير له ناصر الدولة وتنكر ورأى من قعود أبى القاسم عنه ما أنكر هب من غفلته واحتال فى نقلته فلاذ بالفرار وعاذ ببنى حماد بحكم الاضطرار وجعل يستنزله ويستعطفه ويداريه من هنالك ويستلطفه ليمن باعادته وصرفه الى عادته بكل مقال يحل سخائم الاحقاد ولا تلين قناته لغمز الانتقاد فمن بديع ذلك قوله (متقارب)

نسيمك حتام لا ينبرى * وطيفك حتام لا يعترى
أعيذك من عرض ان يكون * وأنت الذى كنت من جوهر
أتذكر أيامنا بالحمى * وأيا منا بذوى الاعصر
الارأفة من وفى صفى * الاعطفة من سنى سرى
رمى زحل فى أظفاره * وحل يداعى المشترى
عطارد هل لك من عودة * فأرجع منك الى عنصرى
سيطلبنى الملك مهما أراد * لباس نسيج من المفخر
ولو ان كل حصاة تزين * لما جعل الفضل للجوهر

فلم يراجعه بحرف ولم يطالعه بنفس منه ولا عرف فكتب اليه (طويل)

أذكر من لم ينس عهدا ولا ينسى * وأبسط فى اكناف ساحته النفسا
وأنشئها خلقا جديدا واغتدى * بظل علاه اعتدى معه الانسا
وألبس ريعان الشباب وطالما * لبست الخطوب السود ماذيةً ورسا
وانى واياه لمزن وروضة * يباكرنى سقيا وأزكو له غرسا
صفا بيننا من خالص الود جوهر * غلبنا به فى نور جوهرها الشمسا
وما انا الا من علاه مكون * غدوت له نوعا وأصبح لى جنسا
مكارمه مرعى الى جنب معقل * أرود اذا أضحى وآوى اذا أمسى
وأورد خمسا كل يوم بمائه * وكم لى دهر قد مضى لم أرد خمسا
أبا القاسم اشرب قهوة العز واتقل * ثنائى ومن فضل الكؤوس اسقنى كأسا
وخذ بيدى من عثرة قصرت يدى * وكنت أخا بأس فلم تبق لى بأسا

رميت لها فضفاضتى ومهندى * وخطيّى والنبل والقوس والترسا
ثغور المعالى قابلتك ضواحكا * فصل لثمها وامصص مراشفها اللعسا
وأجيادها مالت عليك نواعما * كما مالت الاغصان فانعم بها لمسا
ولا ذكر فى الافواه حاشاك انما * صفاتك آيات ولعنا بها درسا
اليك بها درّا تلقب أحرفا * وقطعة ديباج يسمونها طرسا
وفضلك فى الاغضاء عما بعثته * فليس يجيد الشعر من عدم الحسا

ولما نوى الانفصال خاف الانتهاب والاستئصال فأراد أن يكتم ذلك الفرار ويطوى اعلانه فى الاسرار وخشى أن يفطن لخروجه ويطلع عليه من خلال فروجه فعزم على موادعة بعض الاخوان ومطالعة ما فى ذلك الخوان فكتب اليهم (وافر)

أقول تحية وهى الوداع * خداعا لى ومايغنى الخداع
أعلل بالمنى قلبا شعاعا * ولن يتعلل القلب الشعاع
وأترك جيرة جاروا وشدوا * أضاعونى وأى فتى أضاعوا
اذا لم يرع لى أدب وبأس * فلا طال الحسام ولا اليراع
لقد باعتنى الايام بخسا * وعهدى بالذخائر لا تباع
أجفتنى فلم ينبت ربيع * وحطتنى فلم يثبت يفاع
ومكنت العدا منى فعاثت * بلحمى ضعف ماعاثت السباع

ولما لم يرا علانه وتصريحه ولم تلق اعصارا ريحه أعلن بوداعه وفتن باحسانه وابداعه فقال يخاطب ناصر الدولة مودّعا ومعاتبا (متقارب)

سلام على المجد يندى بليلا * كنشر الربا بكرة وأصيلا
سلام وكنت أقول الوداع * ولكن أدرج قلبى قليلا
أخاف عليه انصداع الصفاة * والا يكون زجاجا عليلا
جرحت لديك وكنت البرى * كما يجرح اللحظ خدّا أسيلا
ولو لم أكن ماضى الشفرتين * لما فلنى الدهر عضبا صقيلا
أتت ذلة منك محبوبة * فلم أرض بالعز منها بديلا
تلقيت فيها سواد الخطوب * فاشبه عندى طرفا كحيلا

وله متغزلا فى صاحب خيلان (كامل)

لحظ النجوم بمقلتيه فراعها * ما أبصرت من حسنه فتردّت
فتساقطت في خدّه فنظرتها * عمدا بمقلة حاسد فاسودّت

وله عندما فارق المتوكل بيطليوس (متقارب)

رضى المتوكل فارقتـه * فلم يرضنى بعده العالم
وكانت بطليوس لى جنة * خرجت بما جاءه آدم

وله يتغزل فى صبى نساخ (كامل)

أبصرت أحمد ناسخا فرأيت ما * أعمى واعيا ان يحدّ ويوصفا
فكأنما منه السماء صحيفـة * والليل حبرا والكواكب أحرفا

وله (سريع)

أبصرته قصر فى المشـبه * لما بدت فى خدّه اللحيه
قد كتب الشعر على خدّه * أو كالذى مرّ على قريه

وله (متقارب)

غناه يلذ ولا أكؤس * تسكن من أنفس طائشه
وأعجب كيف شدا طائر * بروض منابتـه عاطشه

(الاديب الحكيم أبو الفضل بن شرف أعزه الله تعالى)

الناظم الناثر الكثير المعالى والمآثر الذى لا يدرك باعه ولا يترك اقتفاؤه واتباعه ان نثر رأيت بحرا يزخر وان نظم قلد الاجياد درّا تباهى به وتفخر وان تكلم فى علوم الاوائل بهرج الاذهان والالباب وولج منها فى كل باب وقد كان أوّل ما نجم بالاندلس وظهر وتسمى بحول القريض واشتهر تسدد اليه السهام وتنتقده الخواطر والاوهام فلا يصاب له غرض ولا يوجد فى جوهر احسانه عرض وهو اليوم بدرهذه الآفاق وموقف الاختلاف والاتفاق مع جرى فى ميدان الطب الى منتهاه وتصرف بين سماكه وسهاه وتصانيف فى الحكم ألف منها ما ألف وتقدّم فيها وما تخلف فمنها كتابه المسمى بسرّ البرّ وجزء الملقب بنجح النصح وسواها من تصانيف اشتغل عليها الاوان وحواها فمن حكمه قوله العالم مع العلم كالناظر للبحر يستعظم منه ما يرى وما غاب عنه أكثر ومنها لولا التسويف لكثر العلم ومنها الفاضل فى الزمن السوء كالمصباح فى البراح قد كان يضىء لو تركته الرياح ومنها لتسكن بالحال المتزائدة أغبط منك بالحال المتناهية فالقمر آخر

ابداره أول ادباره ومنها لتكن بقليلك أغبط منك بكثير غيرك فان الحى
برجليه وهما اثنتان أقوى من الميت على اقدام الحملة وهى ثمان ومنها المتلبس
بعمال السلطان كالسفينة فى البحران أدخلت بعضه فى جوفها أدخل جميعها
فى جوفه ومنها التعليم فلاحة الاذهان وليست كل أرض منبتة ومنها
الحازم من شك فروى وأيقن فبادر ومنها قول الحق من كرم العنصر كالمرآة
كلما كرم حديدها أرت حقائق الصفات ومنها رب سامح بالعطاء على باخل
بالقبول ومنها ليس المحروم من سأل فلم يعط وانما المحروم من أعطى فلم يأخذ
ومنها يا ابن آدم تذم أهل زمانك وأنت منهم كأنك وحدك البرىء وجميعهم
الجرىء كلا بل جنيت وجنى عليك فذكرت ما لديهم ونسيت ما لديك ومنها اعلم
ان الفاضل الذكى لا يرتفع أمره أو يظهر قدره كالسراج لا تظهر أنواره
أو يرفع مناره والناقص الدنىء لا يبلغ انفعه الا بوضعه كهوجل السفينة لا ينتفع
بضبطه الا بعد الغاية فى حطه (وله فصل من رسالة) توسل الهمم أعزك الله
كتوسل الذمم ورب راق بوسيلة ذى اشتياق واستباق الى فضيلة رصد
فقصد واحتشد فتحرى الرشد ولما طلع بك الجد من معالمه وانبع لك الحمد
من كمائمه فلاح محيا الثقر زاهرا وفاحت محيا الزهر عاطرا وأنار بأفقك منار
الانوار ودار على قطبك مدار الفخار وخف لديك بالقلوب ارتياحها وطار
اليك بالنفوس جناحها فجوامع الجوانح لديك حضور ونواظر الخواطر اليك
سور وقد تخيلتك نظرات الغيوب ويممتك خطرات القلوب فحنت اليك حنين
اليفن الى صباه واهتزت اهتزاز الغصن الى صباه ولا غرو أن رمت اليك القلوب
بأرواحها وتلقتك العيون بالتماحها فقد يرقب الصباح ويلمح القمر اللياح
وليس على عاشق الفضل جناح (وكتب الى وزير) أطال الله بقاء الوزير الامجد
الاجل الاوحد وأعلى مرتقاه فى رفعة العز ومنعة الحرز الوزير الامجد دام
عزه كالمطر الجواد يملأ الحياض وينبت الرياض بل كالقمر يقذف بالنور
ويذهب بالديجور وقد اتحفنى من سناه وسقانى من سقياه بما أنار فأضوى
وجاد فأروى فلله أيادى الوزير ما أنزلها بكل فناء وأسمعها الكل نداء حين رعى
قصدى وهو مجفق ووعى صوتى وهو خفى فالآن أدام الله رفعة الوزير أضرب
بحسام اعتناؤه جرده وآوى الى ذمام علاؤه وكده والله بفضله يديم نعماءه

ويعلى ارتقاءه حتى أظهر فى سمائه وأشتهر بأرفع أسمائه (ومن بديع قوله فى قصيدة أولها (بسيط)

قامت تجرذيول العصب والحبر * ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخطو فتولى الحصى من حليها نبذا * وتخلط العنبر الوردى بالعفر
غيرى الحلى بما تبديه من قلق * فى الوشح أوغصص تخفيه فى الازر
لم أدرهل حنق الخلخال من غضب * عليه أم لعب الزنار من أشر
تلفتت عن طلى وسنان وابتسمت * عن واضح مثل نور الروضة العطر
ان نلت رياه لم أطمع بمطعمه * لان روض الصبا نور بلا ثمر
ما للعين نوم بعد ماذكرت * ليلا سمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق النحور به * تساقط الدر فى اللبات والثغر
ومفرق الليل قد شابت ذوائبه * فبت أدعوله بالطول فى العمر
والليل يعجب والظلماء جانحة * من ساهر يشتكى لليل بالقصر
فبت أجزع من ليل لواضحة * تبدو وأبخل من روض على سحر
يامن جفا جفنانى الطيف مجرلنى * بأى عذر فعذر الضيف فى السهر
ذكرت بالسفح شملا غير منصدع * بالنائبات ونظما غير منتثر
بكل بيضاء خود خلتها جمدت * من السكينة أوذابت من الخفر

ومنها فى وصف السيف

ان قلت نارا أتندى النار ملهبة * أوقلت ماء أيرمى الماء بالشرر

ومنها فى وصف الدرع

من كل ماذية أثنى فيا عجبا * كيف استهانت بوقع الصارم الذكر

وله من قصيدة أخرى أولها (بسيط)

ما الرسم من حاجة المهرية الرسم * ولا مرام المطايا عند ذى ارم
ردى شبا الخط تهدين الركاب فما * بالبيد للركب من هاد ولاعلم
حتى المطى وشدى فى دوائرها * هذا أوان اقتضاء الشد من زيم
ربعت لنبأة سامى السوط فالتفتت * صعرى الخدود الى سواقة حطم
ثبت على صهوات الناجيات وقد * أخفت سروج المطايا صولة اللجم
منوطة بغواشى البيض راحته * كانما اختلطت بالصارم الخذم

بتنا نكالئ طرف العين عن سنة * والطيف يستأذن الاجفان فى الحلم
معترسين باغفال البطاح لنا * تحت الوشيج مبيت الاسد فى الاجم
قامت تغبطنى بالحرص سالكة * بين السبيلين لم تقعد ولم تقم
ظنت بى العجز وارتابت تخاصمها * جور الزمان فلم تعذر ولم تلم
انى وان غرنى نيل المنى لارى * حرص الفتى خلة زيدت الى العدم
فما عكفت بآمالى على وثن * ولا سجدت باشعارى الى صنم
أهل المناظر والالباب خالية * لا يعدمون من الدنيا سوى الفهم
نالوا الحظوظ فحازوها موافقة * كما تقاسمت الايسار بالزلم
لما رأيت الليالى قد طبعن على * جدب الاسود وخصب الشاء والنعم
رجعت أضحك والاعوال أجدر بى * من ميسر كان فيه الفوز للبرم
تقلدتنى الليالى و هى مدبرة * كاننى صارم فى كف منهزم
ذهبت بالنفس لا أنوى على نشب * وان دعيت به ابن المجد والكرم
فللمصارع اطراف اليراع يد * بنت لى المجد بين السيف والقلم

ومن مديحها

وان أجد فى الدنيا وان عظمت * لواحد مفرد فى عالم أمم
تهدى الملوك به من بعد ما نكصت * كما تراجع فل الجيش للعلم
رحب الذراع طويل الباع متضح * كأن غرته نار على علم
من الملوك الاولى اعتادت أوائلهم * سحب البرود ومسح المسك باللمم
زادت مرور الليالى بينهم شرفا * كالسيف يزداد ارهافا على القدم
تسموا انكبات الدهر واختلطوا * مع الخطوب اختلاط البرء بالسقم
معوق السيل لا تنفك راحته * من كف معتلق أو ثغر مستلم
مكارم حكمت فى ذاته يدها * فكدت أرحمها من سطوة الكرم
أضنى فؤادى وأوهاه تحملها * حتى وضعت يدى منه على ألمى
كأننى اذ أوالى قبل راحته * عجزت عن شكره حتى سددت فمى

ومن أخرى أولها (طويل)

سروا ما امتطوا الا الظلام ركائبا * ولا اتخذوا الا النجوم صواحبا
وقد وخطت ارماحهم مفرق الدجا * فبات باطراف الاسنة شائبا

وليل كطى المسح جبنا سواده * كأنا امتطينا من دجاه النوائبا
خبطنا به الظلماء حتى كأنما * ضربنا بأيدى العيس بالاغرائبا
وركب كأن البيض أمست ضرائبا * لهم وهم أمسوا الهن ضرائبا
اذا أوبوا صاروا شموسا منيرة * وان أدلجوا أمسوا نجوما ثواقبا
طوال طوال الباع والخيل والقنا * تخالهم فوق الجياد أهاضبا
فما يحملون السمر الا عواليا * ولا يركبون الخيل الا سلاهبا
اذا اعتقلوا للطعن سمرا عواليا * أو انتضوا للضرب بيضا قواضبا
وطال بليل الدارهم أبت له * نجوم الدياجى أن تعود غواربا
ومذ وطئت أبناء مروان ذروة * من الشرف آلت لا تحب المغاربا
ثوابت فى جو السماء تخالها * بها لبنى عبد العزيز مناقبا

وله من أخرى أولها (بسيط)

أرح خطاك فخلى النجم قد نهبا * وقد قضى الشرق من وصل الدجا أربا
انا ركبنا من الظلماء جانحة * كأننا من دجاه نمتطى نوبا
سل النجوم هل ارتابت بصحبتنا * لما أثرن البهن القنا السلبا
اذا استمرت بمجرى النجم سالكة * خلت المجرة من آثارها ندبا
تهفو الركاب فتهدينا أسنتنا * كأنما عارضت أطرافها الشهبا
وباتت الخيل يقدحن الحصى حنقا * حتى تضرم ذيل الليل والتهبا
تلك الفوارس لا تثنى أعنتها * عن وجهة أو ينال السيف ما طلبا
باتوا على نشوة ماهاجها طرب * وقد أداروا بطاسات السرى نغبا
اذا أثاروا القتام عن جنح مظلمة * شالوا النجوم على أطرافها عذبا

وله (وافر)

خيال زارنى عند الصباح * وثغر الشرق يبسم عن أقاح
وقد حشر الصباح له ونادى * فأصغى النجم منه الى الصباح
وفاض على الكواكب وهو طام * فطار النسر مبلول الجناح
وزائرة طردت لها منامى * وقد عقد الكرى راحا براحى
وأدناها الهوى حتى أحلت * وباتت بين ريحان وراح
تهز الغصن فى حقف مهيل * وتفرى الليل عن قمر لياح

واضنانى الهوى فنعت نحولى * وهل يثنى النحول على الصفاح
وقد حملت عبء الحب ضعفى * كحمل الخصر للكفل الرداح
أحن الى رضالك وفيه برئى * كما حن العليل الى الصباح
وقد أحللت حبك من فؤادى * محل المال من أيدى الشحاح
سأفزع فى هواك الحسن صبرى * كما فزع الجبان الى السلاح
واقتدح الرغيبة من ركاب * براهن السرى برى القداح
تعنف ان رأت شأوا بعيدا * ومن يثنى الجواد عن الجماح
سرى جبنا به الظلماء حتى * سبقنا البائتين الى الصباح
اذا ونت الكواكب عن مداها * حفزناها بأطراف الرماح
ومن كان الوزير له ظهيرا * يسم راعيه فى حى لقاح
بحيث الرعى فى أحوى أحم * وحيث الورد فى شبم قراح
من القوم العزيز بين أهل الـعلا والطول والنسب الصراح
أقاموا المجد فى سمك على * ومدوا العز فى أرض فياح
فآوى كل عاف من ذراهم * الى بيض اللمى خضر البطاح
وقد قام العلا عنهم خطيبا * وصاح الجود حى على الفلاح
بأبنية وأعمدة طوال * وراحات وساحات فساح
أبا بكر كتمت علاك حلما * فنم على الربا طيب الفواح
فكم تحيى الموالى بامتنان * وكم تردى المعادى باجتياح
يمين ملكت رق المساعى * وكف أعذبت ماء السماح
وفضل لا ينيب الى نصيح * وجود لا يصيخ لقول لاح
وحلم أوسع الدنيا وقارا * وقد خفقت له خفق الجناح
لاعى الفكر عن عيب الموالى * أصم الجود عن قول اللواح
فتى تجد الامانى فى يديه * وجود الرى فى الماء القراح
يجلى حادث الدنيا بوجه * كأن جبينه فلق الصباح
أضاء بوجهه أفق الدياجى * وقام بكفه علم النجاح
طلعت على العلا من كل باب * وحزت المجد من كل النواحى
وجاء بك الزمان على اكتهال * فكنت الروض فاح مع الرواح

فكف للسيادة ذات بسط * وطرف للمعالى ذو طماح
غضبت لكل حق مستباح * ولم تغضب لمال مستباح
فكيف نصرت كل حمى مدال * ولم تنصر حمى المال المباح
نوالك من ولاتك ذو تدان * وقدرك عن عداتك ذو انتزاح
تداركت انصداعا بانشعاب * وصيرت الفساد الى الصلاح
فقد بدلت كربا بانفراج * وقد عوضت ضيقا بانفساح
وداويت الليالى من رداها * وقد نادتك يا آسى الجراح
فقد أشفيتها من كل داء * وقد أسقيتها بعد التياح
دعوت المعتفين لخير مأوى * وأحللت الطريد أعز ساح
فما للفضل فيها من زوال * وما للمجد عنها من براح
لقد أنسى زمانك كل عيد * بعز ثابت وأسى مزاح
وذى الايام أعياد الايادى * فكيف تضيفهن الى الاضاحى

(وله فصل من رقعة) مثلى أعزك الله فى عناء بلا غناء كمن خض الماء يريد الزبد ووعده الابد بل لا والله واستغفر الله ما استضأت بغير منار ولا اقتدحت بغير عفار * ولكن حرمت الدر والضرع حافل * (طويل)

وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق

وما فعلت أبا عبد الله تلك الابيات والرجاء الذى فى بطون الحاملات أأزعجته الارحام أم كره الزحام أم استقر به المقام فأقام وتلك النتيجة هل حان نفاسها أم خانها احتباسها أم ولدت ثم وئدت أم وضعت ليلا وأرضعت غيلا فهى لا تدب ولا تشب والنجم آفل والكفيل غافل ومهما يكن من أمرها ضاعت الا فى ضمانك ولا جاعت الا على خوانك هلا حلبت أبا عبد الله مادر وطب وطبعت والطين رطب فلا أمان من الزمان ومن ذا الذى يبقى على الحدثان (وكتب اليه) ابن اللبانة (كامل)

يا روضة أضحى النسيم لسانها * يصف الذى تهديه من أرجائها
ومن اغتدى ثم اهتدى لطريقة * ما ضل من يسعى على منهاجها
طافت بكعبتك المعالى اذ رأت * ان النجوم الزهر من حجاجها
شغلت قضيتك النفوس فاصبحت * مرضى وفى كفيك سر علاجها

هلا كتبت الى الوزير برقعة * تصبو معاطفه الى ديباجها
تجد السبيل لهم ولاتك للمنى * وينير سعيهم بنور سراجها
أنت السماء فما بها لك رفعة * طلعت عليه الشهب من ابراجها
وضحت مفارق كل فضل عنده * فاجعل قريضك درة فى تاجها

فراجعه أبو الفضل (كامل)

يا منجدي والدهر يبعث حربه * شعثاء قد لبست رداء عجاجها
لله درك اذ بسطت الى الرضا * نفسا تمادى الدهر فى احراجها
وارقت ماء الود فى نار الاسى * كالراح يكسر حدها بمزاجها
فبأتى تلك الغمام فبردت * من غلة كالنار فى انضاجها
فأويت تحت ظلالها ووجدت بر * د نسيمها وكرعت فى ثجاجها
حاولت منى ان اطار دحاجة * مرضت فاعيا الناس باب علاجها
قل كيف تنعش بعد طول عثارها * أم كيف تفتح بعد سد رتاجها
هيهات لا تثنى النفوس لوجهة * من بعد ما رجعت على ادبارها
لا زيد فى أمرى وضوحا بعد ما * قامت براهين على منهاجها
فأكون ان زدت الصباح أدلة * خرقاء تمشي فى الضحى بسراجها
دعنى أبرد بالقناعة غلة * يأس النفوس أحق فى اثلاجها
بكر بخلت على الانام بوجهها * ومنعتها من ليس من أزواجها
وصرفتها محجوبة بصوانها * مثل السلوك تصان فى ادراجها
كالنور فى أكمامها والبيض فى * أغمادها والغيد فى احداجها
فالنفس ان ثبتت على اخلاقها * أعيا على النصاح طول لجاجها

(وله) وقد استدعاه المتوكل فى يوم ماطر ونسيم روض عاطر فصحبته فى ممشاه اليه سحابة وبلت عليه ثيابه فلما دخل على المتوكل أدناه وأكرم مثواه وهزه الى القول فى ذلك فاهتز وأتى بما طبق مفصل الابداع وحز (سريع)

صاحبنا الغيث الى الغيث * لكنه غيث بلا عيث
سحابة تهمى حياها سرى * لا تخلط الاعجال بالريث
يا ليث غاب حسنه باهر * والحسن لا يعرف لليث
أحلى قربك فى موضع * يجل عن أين وعن حيث

(الاستاذ الاديب أبو محمد بن سارة الشنتريني رحمه الله تعالى)

سابق الحلبة وعقد تلك اللبة لايشق غباره فى ميدان نظام ولا تنسق اخباره فى قلة ارتباط وانتظام أعان على نفسه الزمان واستجلب لها الحول والحرمان فلا يطير الا وقع ولا يرقع خرقا من حاله الا خرق مارقع وهو اليوم مكتتم فى كسر تواريه متقنع بفلذة تنعشه وشملة تواريه وكانت له أهاج سددها نبالا وأورث بها خبالا الا أنه قد قوض اليوم عن فنائها ونفض يده من اقتنائها وله بدائع تستحسن وتستطاب كانها الوسن فمن ذلك قوله (طويل)

متى تجتلى عيناى بدر مكارم * تود الثريا أنها من مواطئه
ولما أهل المدلجون بذكره * وفاح نسيم الترب مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادى بخضرة شاطئه
أيا من محل الهم فى جنباته * منيف مدى الايام ليس بلاطئه
عليك باعراض ودع ما وراءها * فما صائبات النبل مثل خواطئه

وكقوله (كامل)

ومعذر رقت حواشى حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه صباغها الاحداق

وكقوله يتغزل (كامل)

يامن تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه أسماعى
انى لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظرى يحسدن فيك رقاعى
لم نطوك الايام عنى انما * نقلتك من عينى الى أضلاعى

وله (كامل)

أما الوراقة فهى أنكد حرفة * أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بابرة خائط * تكسو العراة وجسمها عريان

وله (كامل)

ومهفهف يختال فى أبراده * مرح الغصون اللدن تحت المارح
أبصرت فى مرآة فكرى خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحى
لا غروان جرح التوسم خده * فالسحر يفعل فى البعيد النازح

وله يصف قرواله (كامل)

أودت بذات يدى فريه أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
ان قلت باسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت
يتجشم الفراء فى ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى اصلاحها * يحصى لزاد على رمال الدجلة

وله (كامل)

ساروا وللريح البليل صراصر * تلهى بسافرة القناع شموع
يستنبط المقدور ماء حياته * بوسيطها القرار من ينبوع
شقراء أشبهت الظلام بعارج * كالبرق مع سحابه بهموع
واذا النسيم طفا عليها بصبصت * بلسان أرقش كالزمام لسوع
وكأنما اشتملت عليه ضلوعها * والبين يقذف روعه فى روعى

وله (خفيف)

وصقيل مدارج النجم فيه * وهو مذ كان مادرجن عليه
أخلص التبن صقله فهو ماء * يتلظى السعير فى صفحتيه

وله (طويل)

غنيت منه قبلة حين زارنى * فقبلته ثنتين فى الخد والخد
وقلت له جد لى بثغرك اننى * أقول بتفضيل الاقاح على الورد

وله (وافر)

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على عقيره

وله (متقارب)

وبشر بالصبح برد النسيم * وسكر النديم وضعف السراج

(وكتب) الى القاضى أبى أمية يمدحه (كامل)

قدمت بين يدى مديحك هذه * والوبل يبدأ أولا برذاذه
والسهم يبدو فى ترنم قوسه * مقدار غلوته وكنه نفاذه
والطرف يعلم عتقه من طرفه * قبل احتماء الحصر فى أفخاذه
وكذا المهند يستبان مضاؤه * فى صفحتيه ولم يقع بجذاذه
كم ذا يعذبنى الرجاء ولا أرى * للحظ اقبالا على اغذاذه

والذكر منك على لسان مودتى * أحلى من البرنىّ أو آزاذه
فى قلب ليل قطعته عزائمى * فبكت فراقده على افلاذه
أو فى رداء ضحى تراه معصفرا * عند الاصيل بحمرة من ذاذه
وسراب كل ظهيرة مترقرق * يختال عطفى فى ملاءة لاذه
والركب من كأس الكرى مترنح * كالشرب فى المأخوذ من كاواذه
والشمس فى كف الهواء مجنل * يتوقد الهندى من فولاذه
ان قابلت مرآة رأيك أبصرت * منها شبيها فى يدى انفاذه
لو أن عدلك يحتذيه زماننا * لم يلقنا بالجور فى استحواذه
ولكان بالاسعاف يلتقى ناظرى * فيطوف منه بركنه وملاذه
أصبحت ليثا فى مخالب ثعلب * من مطلبى فى روغه ولواذه
استاذه الزمن الخبيث وللفتى * شيم تلوح عليه من استاذه
للناس عيش درت الدنيا الهم * من دوننا بنعيمه ولذاذه
أخذوه موفورا كما شاؤا ولم * يؤذن لنا فنكون من أخاذه
حضروا وغبنا شذذا ولربما * حرم الغنى من كان من شذاذه
وأراهم هذوا وأبطأنا وقد * يدنو بعيد الخطو من هذاذه
ليست تؤدأ خا اقتضاء غيلة * مستظهرا فيها بخفة حاذه
فكذا اذا زحف الزمان بجمعه * رفض الجميع وحل فى افذاذه
يصمى الافق من السهام وربما * انمى المريش على وفور قذاذه
والمرء قد يجنى الرضا من سخطه * كالليث يفرس وهو فى استنباذه
وكذا الزمان جوانحى ووقذته * فانظر الى موقوذه ووقاذه
ان صدّ عن رمحى بثغرة نحره * فسنان رمحى واقع فى كاذه
لماذكرتك لاذ بين صروفه * يبغى النجاة ولات حين لياذه
انى منيت من الزمان بصاحب * قاسى الفؤاد خبيثه لوّاذه
وافيت مرسية فوافى قائلا * بتصلف ما شاء ليست هذه
فتى أصول عليه بابن عصامها * سباق ميدان العلا بذاذه
ومتى أرى سعيى بدهرى هازلا * وعلاه منه مجد فى استنقاذه
ياويح قلبى كم يضيق وكلمه * يسع الفجاج الفيح فى انفاذه

زادت عوائق دهره في برحه * اذحان منها عوكه بعصافه
قاض تقابلنا حبي ابراده * بأبي هريرة في التقى وعفافه
ظمئت الى ماء الفرات جوانحي * وأنا مقيم في ثرى بغداذه
ناديت بحر العلم ان شئت السنا * من غير نقص فالقه ملوذه
فلا لقين به الزمان وأهــــله * في تيه قيصره وزهو قباذه

(ومما) كتب اليه أيضا (وافر)

اداراتها يدا خود فتاة * يميل بقدها عطف القناة
وقام يعارض اللحظات منها * غــزال لحظه لحظ المهاة
تسول لى شياطين التصابي * بعقلته التهور في الهنات
ولكنى أريد شبا غرامى * بشيب لاح موق الشواة
واستحيي لانى فى مكان * مكين من هدى قاضى القضاة

وكتب اليه يستفيده (طويل)

أشيع أيامى بعـل وليتما * واشغل أوصافى بمنا وكأنما
وأزمع بأسائم أذكرانى * بحضرة أزكى الناس فرعا ومنتمى
فأرتقب العتبى وأشدو تعللا * عسى وطن يدنو بهم ولعلما
أ فضيه علينا كوثريا لعله * يبرد نار في الحشى من جهنما
وردجوابى وهى تنى صوامتا * كفاها لسان الحال أن تتكلما
فما جئت جالينوس مستشفيا به * ولا عاتنى حين المسيح بن مريما

(وقال) يمدح الفقيه القاضي أبا بكر بن العربي أدام الله بالطاعة عزه (خفيف)

أيها البدر لا عداك التمام * وسقانا من راحتيك الغمام
لح ظلبها النا بسيف صقيل * مثل ما رق الفرند الحسام
واجل ثغرا تشيم منه الامانى * بارقا للسماح فيه ابتسام
قد حططنا الرحال في ظل دوح * أثمر البر فيه والاكرام
ورأينا تواضعا من مهيب * بمعاليه توج الاعظام
قاعد والزمان بين يديه * قائم والصروف والايام
كلها سامع اليه مطيع * ينفذ النقض فيه والابرام
من يطع ربه تطعه الليالى * وتحبه الورى وهم خدام

هو رضوان فى سكينة رضوى * رضى الله عنه والاسلام
يا كتابى بادر قبل يديه * بدلا من فتى فضه احتشام
ثم بين له بأن ثوانى * كان عاما والآن قدجاء عام
وليد لم يشترط لبكاه * غير حول مضى وقال سلام
قل له قد أتته منك القوافى * كالازاهير شق عنها الكمام
جالبات من المديح اليه * مسك دارين فض عنه الختام
وأرتنا فرائد المدح بحرا * يغرق الدر فيه وهو تؤام
والاماني شبائب لم تفارق * غرة العيش والرجاء غلام
يتغنى من المديح بلحن * فهمته منه الايادى الجسام
رش وطوق فانما أنت دوح * رفت بالمكرمات وهى حمام
حسنا الرحيل عنك اضطرار * ولا رواحنا اليك مقام

(وقال) يمدح الامير أبا بكر بن ابراهيم وقد قدم حضرة غرناطة واليا أمرها فدخل فى جملة من الشعراء اليه وأنشدها بين يديه وهى (كامل)

اليوم أخمدت الضلالة نارها * واسترجعت دار الهدى عمارها
واستقبلت حدق الورى غرناطة * وهى الحديقة فوفت ازهارها
فكان تشرينا بها نيسان اذ * يكسو رباها وردها وبهارها
فى غب سارية ترقرق أدمعا * يحكى الجمان صغارها وكبارها
ماشئت من نهر كصدر عقيلة * شقت أناملها عليه صدارها
أوجدول كالنصل فى يد ثائر * أمهى صفيحته وهز غرارها
مابين أشجار تميد كأنها * شراب جريال يدير عقارها
مترنحون اذا لحاها عاذل * تركت سكون حلومها ووقارها
لله أروع من ذوائب حمير * راع العداة فما تقر قرارها
راقت به أرض الجزيرة عزمة * خلعت على حب الجهاد عذارها
ماهاله بيد تعسفها ولا * لجج بخضم الليل خاض بحارها
فى فتية تسرى الى نصر الهدى * فتظنهم سدف الدجا أقمارها
خضبوا السواعد بالرقاق فما ولا * ان سوف تخضب بالنجيع شفارها
وتلثموا صونا لرقة أوجه * جعل السماح شعارها ودثارها

المنعمين على العفاة اذا وشوا * والناقضين على العدى أوتارها
غرسوا الايادى فى ثرى معروفهم * فجنوا بألسنة الثناء ثمارها
لولا تراح شريعة التقوى بهم * وبحفونها منهم ترى انصارها
ضربوا اسرادق بأسهم من دونها * وقد اشرأب الكفر يهدم دارها
فوقوا بجز عبان الرماح جنابها * وحموا بقضبان الصفاح ذمارها
ومسوّمات تحزب ان أحضرت * نفضت على ثوب السماء غبارها
لبسوا القلوب على الدروع فدوخوا * أرض العدا واستأصلوا كفارها
شهب اذا أوفت على أفق الوغى * جعلت أبا يحيى الامير مدارها
متلثم بالصبح فوق أسرة * تهدى الى شمس الضحا أنوارها
أورت زناد المسلمين له يد * بالنجح تقدح مرخها وعفارها
حاشا الا تحمد مرعناه من كبوة * ويد ابن ابراهيم تورى نارها
أصفى مواردها أزاح سقامها * أرخى جرارتها أقال عثارها
أولى أئمة أحمد أبهجتها * مذ صرت من جور الحوادث جارها
جلبت لك الانعام ضرعا حافلا * ورنت على افنانها أطيارها
وأرى زناد الرأى منذ قدحتها * أوريت فى مقل النجوم شرارها
حط الرعية فى مريع جنابها * وارأب ثأها واصطنع أحرارها
وزد الاكابر من بنيها خطة * واردد كبارا بالحباء صغارها
واقذف ثغور المشركين بجحفل * يمحو معالم أرضها ومنارها
لجب تظن السابغات عوجه * زرقا ونقع السابحات بحارها
واحلل عرا تلك الجماجم انها * عقدت على بغض الهدى زنارها
وكأنى بك قد ثللت عروشهم * وسلبت بيضة ملكه جبارها
وقتلت من نجادها انجادها * وصرعت فى أغوارها أغوارها
لا ترضى منهم بالنفوس تحوزها * سمر القنا حتى تحوز ديارها
وترى بها عينك لنيل ضلالها * ويد الهدى فيها تشق زرارها
صمت سيوفك فى الغمود وجردت * يوم النزال فحدثت أخبارها
لما احتست خمر الهياج نصالها * أهدت الى هام الطغاة خمارها
زارتك فى قصر الامارة كاعب * زانت محاسن جيدها أقصارها

رضعت من الآداب محض لبانها * وتجنبت ممذوقها وسمارها
تثنى الليالى هائمات كلما * نفثت على بسحرها أسمارها
فأجل جفون رضاك فى اعطافها * كرما وشرف بالقبول مزارها

(وله) فى الزهد (بسيط)

يامن يصيخ الى داعى السفاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

(وقال) أيضا من كلمة (بسيط)

تمر الدهر حتى مافرقت له * من قسورى الدجى فى فروة النمر
لا بد أن يقع المطلوب فى شركى * ولو بنى داره فى دارة القمر
قاضى الجماعة فى دار الامارة لى * قاض على الدهر ان لم يقض لى وطرى
لولا ضلوع توارى نار فطنته * لاحرقت وجنات الشمس بالشرر

(وله) يصف نارا (خفيف)

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى دجى الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى * ألديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها صفائح تبر * رصعتها بالفضة البيضاء
كلما رفرف النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
لوترانا من حولها قلت شرب * يتعاطون أكؤس الصهباء
سفرت فى عشائها فأرتنا * حاجب الشمس طالعا بالعشاء

(وله) فيها (كامل)

جاءتك فى تنورها المسجور * زهراء فى حلل من الديجور
لما تهلل فى الظلام جبينها * لبس الظلام بها غلالة نور
ياحسنها وقد ارتمت جنباتها * شررا كمثل العسجد المنثور
والجمر فى حلل الرماد كأنه * ورد عليه ذريرة الكافور
فى ليلة خلنا دجاها اثمدا * ونجومها مرضى عيون الحور

(وله) فيها (بسيط)

باتت لنا النار دريا لها وقد جعلت * عقارب البرد تحت الليل تلسعنا
زهراء قدّت لنا من دفئها لحفا * لم يعلم البرد فيها اين موضعنا
لها حريق بكانون نطيف به * كمثل جام رحيق فيه مكرعنا
تبعنا قربها حينا وتبعدنا * كالام تفطمنا حينا وترضعنا

(وله) فيها (طويل)

دعوا الامرئ القيس بن حجر طلوله * يظل عليها سافح العبرات
وعوجوا بيا قوتية ذهبية * يهيم بها المغرور في السبرات
اذا ما ارتمت من فحمها بشرارها * رأيت نجوم الليل منكدرات
حكى لى منها الجمر تحت رمادها * دما بدقيق الريط معتجرات
وقد عصفر التخميش بيض خدودها * فأبدت منها يانع الثمرات
عليها فذب ان لم تجدها كا بة * ودع للسواقى برقة العبرات
وقل حين تمشى فى الندى وطيبها * ينم على أذيالها العطرات
تضوع مسكا بطن نعمان ان مشت * به زينب فى نسوة خطرات

(وله) فيها ايضا (سريع)

قد شابت النار بكانوننا * لما تناهى عمرها واكتهل
كانها لما خبا جمرها * مطيب الورد اذا ما ذبل

(وله) فى النارنج (طويل)

أجمر على الاغصان أبدى نضارة * به أم خدود أبرزتها الهوادج
وقضب تثنت أم قدود نواعم * أعالج من وجدبها ما أعالج
أرى شجر النارنج أبدى لنا جنى * كقطر دموع ضرجتها اللواعج
جوامد لو ذابت لكانت مدامة * تصوغ البرى فيها الاكف النوازج
كرات عقيق فى غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طورا وطورا نشمها * فهن خدود بيننا ونوافج
نهى صبوتى أن لا تصيخ الى النهى * عروس من الدنيا عليها دمالج

(وله) ايضا فيه (بسيط)

يارب نارنجة يلهو النديم بها * كانها كرة من أحمر الذهب

أوجذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

(وقال) يمدح قاضى قضاة المشرق أبا أمية ابراهيم بن عصام رحمه الله تعالى (بسيط)

يامن عزائمه أمضى اذا انتضيت * عن نادث الدهر اذ يسطو بها القدر
ومن اذا مابدا فى أفق مكرمة * جبينه المسفر استحذى له القمر
عين الرجاء الى علياك شاخصة * فى حاجة أنت فيها السمع والبصر
فابعر الصفوف الى استنزالها قدما * وصاحبالئ بها التأييد والظفر
حتى تلاقى من قاضى القضاة بها * شمائلا نارت بها الاحكام والسير
فى حبو تيه اذا استقبلته ملك * مقصد من الروح الا أنه بشر
أضنى على الدين أبراد الشباب فقل * صديقه البر أوفاروقه عمر
من ادعى الشرك فى أكرومة معه * فاغلظ عليه وقل للعاهر الحجر
وقل له ماترى فى روضة أنف * وافت ليسقيها من جودك المطر

(وقال) يمدحه أيضا (خفيف)

هاكها كالجنوب تزجى القطارا * صافح الورد نفحها والعرارا
فى جبين من حالك الحبر تبدى * للذليلا من طرسه ونهارا
رق ديباجه فراق زلالا * حيث دارت به النواسم دارا
تتلالا من المعانى شموس * فوق صفحيه تخطف الابصارا
خجل الصبح من شكاتى فأهدى * سوسن الخد منه جلنارا
ورآنى بلا عقار فكادت * صفحة منه تستهل عقارا
ورآنى العصاب أعجب حالا * ذات عدم فذاب ماء ونارا
عثر الدهر بى وقد جئت حرا * ذا كى الاصل ينعش الاحرارا
ان تكن عصمة فان عصاما * جده لم يزل يقيل العثارا
قاضى الشرق أشرقتنى بريقى * نائبات يطلبن عندى ثارا
لا لذنب الا لانى أديب * طاب عودمنه فكان نضارا
أجتلى در ابرف حسنا وان كا * نت ضلوعى تهفو عليه حرارا
حاش لى ان أزفها ثيبات * عنسا بل كواعبا أبكارا
لفحت أضلعى بها فاستهلت * بين كفيك تنشد الاشعارا
طلعت فى أهلة من ضلوع * لى تجلو بنا تها اقمارا

أرضعتها درّ البلاغة منها * أمهات لم تحتلب أظآرا
وأرتك الرياض منها كمام * جادها النيل وابلا مدرارا
ما على بابل لو استقبلتها * فاجتنت من ثمارها الأثمارا
كل خمرية ولم تسق خمرا * تلبس الحسن والدلال خمارا
تذر السامعين يثنون أعطا * فا سكارى وما هم بسكارى
لو تغلغلن في مسامع رضوى * لانثنى راقصا وخلى الوقارا
ليس في فسحة من الشعر إلا * من صبا خيلها إليها العذارا
وجهها أجزل المهور فلولا * أنت ما أدلجت بهن المهارا
أبصرتها النجوم أشرق منها * فسرت تخبط الظلام حيارى

(وله) في فتى وسيم نزل مكانه أسود (طويل)

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها أنا أشقى بعدما كنت أنعم
وما هي إلا الشمس حان غروبها * فأعقبها قطع من الليل مظلم

(وله) في غلام أزرق (كامل)

ومهفهف أبصرت في أطواقه * قمرا بآفاق المحاسن يشرق
تقضي على المهجات منه صعدة * متألق فيها سنان أزرق

(وقال يرثي) (طويل)

أيا واقفا والترب بيني وبينه * ترحم على قبر الحبيب وسلم
وقل إنه قبر تضمن أعظما * رمام عريق في الندى والتكرم
أتى يومه من دون شرخ شبابه * ولم يقض منه حاجة المتلوم

(وقال) في ابنة ماتت له (وافر)

ألا يا موت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حماد لفعلك المشكور لما * كففت مؤونة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

(وله) يصف نجما جرى في السماء وترك وراءه مستطيل ضياء (بسيط)

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذكي إثره لهبه
كفارس حل إحضار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه

(وله) (طويل)

وليل كأنّ الدهر أقصى بعمره * جميعا اليه فانتهى فى ابتدائه
يحدّث بعض القوم بعضا بطوله * ولم يمض منه غير وقت عشائه
تكاثف ظل الغيم فيه فلم يكن * به العين تدرى أرضه من سمائه
اذا افترّ فى استبعاده برق دجنة * حكى حبشيا ضاحكا من بكائه
ضربت بسيف العزم عنق ظلامه * وضرّجت بردى نحره من دمائه
ولم أر لابن الهمّ أشقى من السرى * اذا مات رفق العزم مات بدائه
وانى لالقى كل وجه بمثله * ولا عجب والماء لون انائه

(وله) (كامل)

ان كنت تستشفى بأنفاس الصبا * فالمسك من أنفاسها يتنسم
وأتتك عاطرة النسيم كأنها * رسل الحبيب أتتك عنه تسلم
والجوّ يلبس للغمام مطارفا * منها على عطفيه برد أسحم
أومى الى روض الثرى بتحية * وبكى فأقبل نورها يتبسم
واستجلته الارض صنعة بردها * فيد يحوك بها وأخرى ترقم

(وله) (كامل)

النهر قد رقت غلالة صبغه * فعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنه * عكن الخصور تهزها الاعجاز

(وله) (بسيط)

ما فى السفرجل شئ يستطار به * ولا تكن منه مطويا على وجل
انى نظرت الى تصحيف أحرفه * فانفك منهن لى تب تفرج لى
ولم أقل سفرجل البلاء به * أوحل منه وقوع الحادث الجلل

(وله) (كامل)

عابوا الجهالة وازدروا بحقوقها * وتهافتوا بحديثها فى المجلس
وهى التى ينقاد فى يدها الغنى * وتجيئها الدنيا برغم المعطس
انّ الجهالة للغنى جذابة * جذب الحديد حجارة المغنطس

(وله يمدح الامير أبا بكر بن ابراهيم) فى نوروز سنة ٤٩٩ (سريع)

طاف بأكواس مسراته * ما بين ريحان مسرّاته
وراح فى ابراد ايناسه * ثانى عطفى أريحياته

قل لابي يحيى امام الهدى * محيي الندى جامع اشتاته
رعاه من فى الارض سلطانه * ودونه حجب سمواته
يا ملكا أيامه لم تزل * تجرى على وفق اراداته
ومن بكفى عزمه صارم * يخاف صرف الدهر هناته
أصلته التوفيق فى كفه * فابتهج الدين لاصلاته
واقبل الفتح له رائدا * والنصر معقودا براياته
واتصل الانس بآصاله * واقترن الروح بروحاته
وانما الدهر له خادم * منتقد لمح اشاراته
قد صارت الشمس الى جريها * واستقبل اليوم بآداته
وأشرف النيروز فاستشرفت * لى الامانى نحو عاداته
فى شارق ابرز مشبوبة * أشرق منها الليل مشتاته
يريك خد الورد كانونها * معصفرا فى غير أوقاته
روض اذا الريح هفت نضنضت * مذهبة ألسن حياته
عقارب الشتوة مقبولة * بالشمس منها حول حافاته
لما بدت فى ابنوسيها * ونورها عسجد ياقوته
منمنما فى صفح كافورها * واوات همّاز ولاماته
علمت أن الحسن منها نوى * يبدى لنا معجز آياته
كانما النارنج أبدى لنا * وجنته عند محازاته
أو هى شدت عقد أزراره * حتى التغلى خامد حباته
فى مجلس يختال عطف المنى * فى رفرف من عبقرياته
زبرجد النبت على ساقه * ولؤلؤ الطل بلباته
والثلج كالهندب فى كرسف * تحلجه أيدى غماماته
أو زهر من دوحه ساقط * قد هامت الريح بهاماته
سقوط جدواك على آمل * همت بتكثير عطياته
فعاد يغشى طرف حساده * بياض نعمان بساحاته
رددت فى جسم الندى روحه * حتى غدا املٍ ءملاآته
وزار بالغيث الى أن تنا * بعث سحاب صوب ملمأته

في بلد منذ تبوّأته * جرّ سرابيل مسراته
وكفّ عنا كفه حادثا * آلمناس ملماته *
لاحظه الله بعين الرضا * فانفتحت أبواب جناته
وأصبح الجامد من صخره * والروح يجرى في جماداته
بوّأ الله بفردوسه * رضوانه خازن جناته
لازلت معضودا بتأييده * ظلا على أرض برياته

(وله) يمدح أبا العلاء بن زهر (كامل)

للرزق أسباب ومن أسبابه * اعمال ناجية وشد حزام
حرف كانى فوق عوج ضلوعها * ألف أقيمت فوق عطفة لام
وكان زورتها ربابة ياسر * لزت بأربعة من الازلام
لم يبق منها نصفها الاسفل * كالريح تمسكه يدى بزمام
* من نام عن حاجاته لم يلقها * الا بواسطة من الاحلام
شيئان في الاسفار يكتنفانها * كسب الخطير وصحة الاجسام
لا أم لى ان لم أيمم مسلكا * يهدى الحياة الى فيه حمامى
فالعذب يأجن طعمه مالم يكن * ينساب بين أباطح وآكام
والعضب يدركه الصدا مالم يبل * في كل معركة بضرب الهام
خيمت من حنق بأرض مضيعة * والرأى خلفى والهوى قدامى
حتى رأيت العجز أودى بى كما * أودى الغرام بعروة بن حزام
أ كل النحول بها بنات خواطرى * أكل الوصى ذخائر الايتام
يادهر دعوة من يؤمّل أن يرى * بعلاك منتصفا من الايام
فأثيل مجدك نلته عن آدم * وسموّ قدرك حزته عن سام

وله أيضا (كامل)

يامن رمى غرضى بمقلة أشرس * وقد امتلا صلفا على وريده
لاتعجبنّ بحسن وجهك انه * وال بعزلته يحث بريده
كم قد رأت عيناى مثلك واليا * للحسن تنتهب القلوب جنوده
الدهر طوع يديه والدنيا له * أمة وأحرار الانام عبيده
زحف العذار اليه في جيش له * ملأت أساوده الملا وأسوده

فرأيت رونق وجهـه وجماله * بيد الشحوب طريفه وتليده

وله أيضا (كامل)

ياشادنا ترك الاراك بمعزل * ورعى سويداء القلوب أراكا
حجبوك عن بصرى فصرت برغمهم * بسجنجل الفكر الصقيل أراكا
فرجعلت سواد قلبي برجه * وحنى اضلاعى له افلاكا

وله يصف بركة (بسيط)

لله مسجورة فى شكل ناظرة * من الازاهر آهداب لها وطف
فيها لاحف ألهانى تقامصها * فى مائها ولها من عرمض لحف
تنافر الشط الاحين يحضرها * برد الشتاء فتستدلى وتنصرف
كأنها حين يبديها تصرفها * جيش النصارى على اكتافها الجحف

(الاديب أبو جعفر الاعمى التليطلي رحمه الله تعالى)

له ذهن يكشف الغامض الذى يخفى ويعرف رسم المشكل وان كان قد عفا أبصر الخفيات بفهمه وقصرها على خاطره ووهمه فجاء بالنادر الذى أعجز وعطل التطويل بالمقتضب الموجز ونظم أخبار الامم المفترقة فى لبة القريض واسمعها أطرب من نغم معبد والغريض وكان بالاندلس سرا للاحسان ومزريا على زياد وحسان الا انه اختصر حين احتضر واعتبط عندما استبشر به واغتبط فلم يطل زمانه ولم يهطل درا كاعنانه وأغفل الاوان من وسمه وأشكل لفقد اسمه فاصبحت نواظر الآداب بعده رمدة ونفوسها متوجعة كمدة وقد أثبت له مايبهر سامعه ويثنى اليه الاحسان مسامعه فمن ذلك قوله (بسيط)

ملت حمص وملتنى ولو نطقت * كما نطقت تلاحينا على قدر
وسولت لى نفسى ان أفارقها * والماء فى المزن أصفى منه فى الغدر
أما اشتفت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق فيما عز من وطرى
ولاقضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ماكان فى الشعر

وله من قصيدة (وافر)

سطا أسدا وأشرق بدر تم * ودارت بالخسوف رحى زبون
وأحدقت الرماح به فأعيا * على أهالة هى أم عرين

وله يتغزل (بسيط)

هو الهوى وقديما كنت أحذره * السقم مورده والموت مصدره
بالوعة وجلا من نظرة أمل * الآن أعرف رشدا كنت أنكره
جد من الشوق كان الهزل أوله * أقل شئ اذا فكرت أكثره
ولى حبيب دنا لولا تمنعه * وقد أقول نأى لولا تذكره

واغتيل فتى من فتيان اشبيلية ليلا وجرّت الايام اليه حربا وويلا فأصبح قتيلا قد قضى نحبه ومضى وما ودّع صحبه وكان معروفا بوجود موصوفا بكرم وجود يبارى بهما وابل القطر مع كونه عينا من أعيان القطر وكان لابى جعفر هذا كثير الافتقاد جميل الرأى فيه والاعتقاد ينيله فى كل وقت ويزيله عن مواقف كل خزى ومقت فقال يرثيه (طويل)

خذا حدثانى عن فلى وفلان * لعلى أرى باق على الحدثان
وعن دول حسن الديار وأهلها * فنين وصرف الدهر ليس بفان
وعن هرمى مصر الغداة أمتعا * بشرخ شباب أم هما هرمان
وعن نخلتى حلوان كيف تناءتا * ولم تطويا كشحا على شنآن
وطال ثواء الفرقدين بغبطة * أما علما أن سوف يفترقان
وزايل بين الشعريين تصرف * من الدهر لاوان ولامتوان
فان تذهب الشعرى العبور لشانها * فان الغميصا فى بقية شان
وجن سهيل بالثريا جنونه * ولكن سلاه كيف يلتقيان
وهيهات من جور الزمان وعدله * شآمية ألوت بدين يمان
فأجمع عنها آخر الدهر سلوة * على طمع خلاه للدبران
وأعلن صرف الدهر لابنى نويرة * بيوم تناء غال كل تدان
وكانا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر لو لم تنصرم لأوان
وهان دم بين الدكادك فاللوى * وما كان فى أمثالها بمهان
فضاعت دموع بات يبعثها الاسى * يهيجه قبر بكل مكان
ومال على عبس وذبيان ميلة * فأودى بمجنى عليه وجان
فعوجا على جفر الهباءة فاعجبا * لضيعة أعلاق هناك ثمان
دماء جرت منها التلاع بملئها * ولا دخل الا ان جرى فرسان
وأيام حرب لا ينادى وليدها * أهاب بها فى الحى يوم رهان

فأتت

فما عبد يبع والكلاب بتهزم * ولا مثل مودٍ من وراء عمان
وأفنى على ابنى وائل فتهاصرا * غصون الردى من كرة وولدان
تعاطى كليب فاستمر بطعنة * أقامت لها الابطال سوق طعان
وبات عدى بالذنائب يصطلى * بنار وغى ليست بذات دخان
فذلت رقاب من رجال أعزة * اليهم تناهى عز كل زمان
وعجوا بلا قوت الصوارم والقنا * بكل جبين واضح ولبان
فلا خد الا فيه حد مهند * ولا صدر الا فيه صدر سنان
وصال على الجونين بالشعب فانثنى * بأسلاب مطلول وربقة عان
وأمضى على أبناء قيلة حكمه * على شرف أدلوا به ولسان
ولو شاء عدوان الزمان ولم يشأ * لكان عذير الحى من عدوان
وأى قبيل لم يصدع جميعهم * ببكر من الارزاء أو بعوان
خليلى أبصرت الردى وسمعته * فان كنتما فى مرية فسلانى
غدا من فى هلا وسوف فانى * أرى بهم ما غير الذى تريان
ولا تعدانى أن أعيش الى غد * لعل المنايا دون ما تعدانى
ونبهنى ناع من النجم كلما * تناقلت عنه عقلى وعنانى
أغمض أجفانى كأنى نائم * وقد علت الاحشاء فى الخفقان
أبا حسن أما أخوك فقد مضى * فوا طول لهفى ما التقى اخوان
أبا حسن احدى يديك رزيتها * فهل لك بالصبر الجميل يدان
أبا حسن أغر المذاكى شزبا * تجر الى الهيجاء كل عنان
أبا حسن ألق السلاح فانها * منايا وان طال المطول أمانى
أبا حسن هل يدفع المرء حينه * بأيد شجاع أو بكيد جبان
أبا حسن ان المنايا وقيتها * اذا أتلفت لم تتبع بضمان
أقول كأنى لست أحفل وانبرت * دموعى فأبدت ما يجن جنانى
أبا حسن ان كان أودى محمد * وهيهات عدوى فلك من رسفان
أجبك لم تشهده اذ أحدقوا به * ونادى بأعلى الصوت يال فلان
وقوه شيأ ثم كروا وجمعوا * بأروع فضفاض الرداء هجان
أبى عزمات لا يزال يحثها * بحزم معين أو بعزم معان

وأى كل ما يستعظم الناس دونه * فولى غنيا عنه أو متغانى
فتى كان يمروري به الفيافى والربا * ذوات جماح أو ذوات حران
تداعت له أبيات بكر بن وائل * ولم ترجحه لا ظفرت بثان
بنفسى وأهلى أى بدر بجنة * لست تخلت من دهره وقنان
وأى أبى لا تقوم له الربا * ثنى عزمه دون القرانة ثان
وأى فتى لو جاءكم فى سلاحه * متى ملت كف بغير بنان
يقولون لا يبعد وقد دره * وقد حيل بين العير والنزوان
ويأبون الا ليته ولعله * ومن أين للمقصوص بالطيران
دوهى الامانى ان دونه محمد * عدا الفلك الاعلى عن الدوران
وحسب المنايا أن تفوز بمثله * ككفه الذى لو اخطأته لكفانى
سقتك كدمعى أو كجودك وابل * من المزن بين السح والهملان
شآبيب غيث لا تزال ملثة * بقبرك حتى يلتقى الثريان
أبا حسن وفى اعتزائك حقه * فقد كنتما أرضعتما بلبان
عمامك قليلا لست أول مبتلى * ببين حبيب أو بغدر زمان
أتاك كنيه والثرا كل نعمة * لو انكما بالناس تأتسيان
أتيلا وصبرنا واجزعا وتجلدا * ولا تأخذنا الا بما تدعان
وعودا على الباقى الخلف فيكما * بفضل حنو منكما وحنان
غذاء فضماه الى كنفيكما * فانهما للمجد مكتنفان
سدى ليس يدرى ما السرور وما الاسى * محيل على ضعفى يد ولسان
لعلكما أن تستقلا بثقله * غدا ان هذا الدهر ذو ضربان
لئن كما السلوان ان محمدا * مجاور حور فى الجنان حسان

وقال يمدح القاضى أبا الحسن على بن القاسم بن عشيرة بقصيدة منها (بسيط)

كم مقلة ذهبت فى الغى مذهبها * بنظرة هى شأن أوله شان
رهن باضغاث أحلام اذا هجعت * وربما حلمت والمرء يقظان
فانظر بعقلك ان العين كاذبة * واسمع بحسك ان السمع خوان
ولا تقل كل ذى عين له نظر * ان الرعاة ترى ما لا ترى الضان
دع للغنى لرجال ينصبون له * ان الغنى لفضول الهم ميدان

واخلع لبوسك من هم ومن أمل * لا يقطع السيف الا وهو عريان
وصاحب لم أزل منه على خطر * كأنني عند غيب وهو حسبان
أغراه حظ توخاه وأخطأني * أما درى ان بعض الرزق حرمان
وغره ان رآه قد تقدمني * كما تقدم بسم الله عنوان

ومن مديحها

ان استجرت على ريب الزمان فتى * الا يكن ليث غاب فهو انسان
حسبي بطباعلى معقلا أشبا * زمان سرى به في الامن أزمان
صعب المراقي ولكن ربما سهلت * سبل المنى منه أوطار وأوطان
الواهب الخيل عقبانا مسومة * لو سومت قبلها في الجو عقبان
من كل ساع امام الريح يقدمها * منه مهاة وان شاءت فسرحان
دجنة تصف الانوار غرتها * ونبعة يدعى أعطافها البان
عصا بجد عنة الا ما أتيح لها * من أمر موسى بغلات وهي ثعبان

ومنها في صفة السيف

هيم رواء لو ان الماء صاغها * لزال أو زل عنها وهو ظمآن
يكاد يعلق مهراق الدماء بها * فلا تغسل حى أنصاب وأوثان
موتى فان خلعت أكفانها علمت * أن الدروع على الابطال أكفان
تقسى فنداولئلا كفؤا ولا ثمنا * ولو غدا المشترى منها وكيوان
والتبر قد وزنوه بالحديد فما * ساوى ولكن مقادير وأوزان

وله يتغزل (كامل)

بجبيلة عصبانى عليك عواذلى * ان كانت القربات عندك تنفع
هل تذكرين لياليا بتنابها * لا أنت باخلة ولا أنا أقنع

وله يرثى (كامل)

سل دمعى المبذول هل من حيلة * لى أو له فى نومى الممنوع
وسنيني الموصول كيف تعرضت * شبهاته لرجائى المقطوع
لا تركنن الى الزمان وصرفه * فتلك الزمان بآمن ومروع
ودع الاحبة والدنو أو النوى * ما أشبه التسليم بالتوديع
يا وانيا يأسى على ما فاته * ان الونى طرف من التضييع

يوماً احياً تخذ الخديعة جنة * الا انفت لرأيك المخدوع

دافع بعزمك أو بجهدك انها * عزمات حكم ليس بالمدفوع

واقتل بجدك أو بفتكك هل ترى * الا صريعاً أو مثال صريع

ابل جيد الله أين سر الحكم * من عاثر بعنانه المخلوع

دهر كان صروفه قد جمعت * من نثر منتظم وشت جميع

يبس البقيع ولتعلم بانه * قبر غدا شرفاً بكل بقيع

جمله وضع المكارم والعلا * ودعا له الداعون بالتوسيع

واذا انجبت من الزمان بحادث * فتابع يبكي على متبوع

واذا اعتبرت الصبر فهو ظلامة * والموت منها موضع التوقيع

وله في المعنى (بسيط)

اليوم نحن انفلت الحدق كأن * نفسي الفداء على أن لات حين فدا

ياحسرة نشأت بين الضلوع جوى * ما ضر لاعجها أن لا يكون ردا

في ذمة الله قبر ما مررت به * الا اختبلت أسى ان لم أمت كمدا

لودي المرتاح وكيف اسطاعه يفتى * قد طال ما راح في اتباعه وغدا

عن القواضب بلالا والمتون سنا * والحرب بأسا واكناف الندى ندى

من لا يقدم في فخر العلا قدما * ولا يمد لغير المكرمات يدا

كأنه كان ثأراً بات يطلبه * حتى رآه فلم يعدل به أحدا

يا يوم منعى عبيد الله أي أسى * بين الجوانح يأبى ان يبيت ندا

وأي غرب مصاب لا يكفكفه * دمع الهتون ولا أمثاله الصعدا

ولا البلابل عن مثنى وواحدة * باتت تسل ثبوتاً وتسني مدى

ولا الهموم وقد أعيت طوارقها * كأنما بتن لي أو للدجا رصدا

قل للدجا وقد التفت غياهبها * فلو تصوب فيها المنايا ما اطردا

ان الشهاب الذي كنا نجوب به * أحوازها قد خبا في الترب أو خمدا

لهفي ولهف المعالي جارين وبها * صرف الردى وأبو نا آية قصدا

يا صاحبي ولا تحسبكما ظمأ * مال الحمام وهذي أدمعي قردا

أجدتهما قبعدا ما بعد أوبته * عن أن تهيم بذكراه أو تجدا

وحقه نائيا عن العلا وقد رزئت * مستوثنا اللدن أو مصقولها الفردا

آه لهما وتربة ثم قد علت * أن لاتنال به عقبلا ولا قودا
هل نافعي والاماني كلها خدع * قولي له اليوم لاتبعد وقد بعدا
وهل تذم هذا الرزء من قلق * فام المصاب به أضعاف ماقعدا
أماويوم عبيد الله وهو أسى * لقد تخير هذا الموت وانتقدا
ياماجدا أنجز العلياء موعده * اليوم أنجز فيك الموت ماوعدا
ان الفؤاد الذى مازلت تعمره * قد ريع بعدك حتى صار منفأدا
سلى المنايا على علم وتجربة * فى أى شئ يبقى الانسان أو جدا
تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * ان سوف تقتلهم لذاتها بددا
بادروها وقد آذتهم فشلا * وكاثروها وقد أحصتهم عددا
قل للمحدث عن لقمان أو لبد * لم يترك الموت لقمانا ولا لبدا
ولا الذى همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر فى الثرى أحدا
مالابن آدم لاتفنى مطالبه * يرجو غدا وعسى أن لايعيش غدا

* (الاديب أبو بكر يحى بن تقى أبقاه الله تعالى) *

رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أعلم شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود فما عليه سرماته وماصفا له زمانه فصار رقعيد صهوات وقاطع فلوات مع توهم لايظفر بأمان وتقلب ذهن كرا هى أيمان وقد أثبت من قوله مايستحلى ويتزين به الزمان ويتحلى فمن ذلك قوله (بسيط)

عندى حشاشة نفس فى سبيل ردى * ان سمتها اليوم لم أمطل بها الغد
وكيف أقوى على السلوان عنك وقد * ربيت حبك حتى شاب فى خلدى
خذهاوهات ولاتمزج فتفسدها * الماء فى النار أصل غير مطرد

وله (طويل)

وقالوا ألاتبكى فقلت مطيهم * على الشهب يحملن الخرائد كالدمى
لئن بعد تسيق المدموع تغامرا * وقالوا سلا أو لم يكن قبل مغرما
فهلا أحاشوا كالبكا تنهدى * اذا مابكى القمرى قالوا ترنما

وله (كامل)

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق

خلى فؤادك بمشنة البكرى * زجر حشنبا أو كان معانق
أبعده عن أضالع بثنيانه * كيلا ينام على وسادة خافق

وله (طويل)

الى الله أشكوها نوى أجنبية * لهامن أبيها الدهر شيمة ظالم
اذا ضاق صدر الارض بى كنت منجدا * وان لم يضق بى كنت بين التهائم
أكل بنى الآداب مثلى ضائع * فأجعل خلى اسوة فى المظالم
ستبكى قوافى الشعر ملء جفونها * على عربى ضاع بين أعاجم

ولهمن قصيدة (طويل)

هو الشعر أجرى فى ميادين سبقه * وأفرج عن أبوابه كل مبهم
وصل أهله عنى هل امترت منهم * بطبعى وهل غادرت من متردم
سلكت أساليب البديع فأصبحت * بأقوالى الركبان فى البيد ترتمى
وربتما غنى به كل ساجع * يردده فى شدوه والترنم
وضيعنى قومى لانى لسانهم * اذا أفحم الاقوام عند التكلم
وطالبنى دهرى لانى رتقته * وانى فيه غرة فوق أدهم

ولهمن قصيدة أخرى (بسيط)

صبحت كل حريم فى مطربة * بغارة أشعلها الفارس النجد
بنص الصياح صباح المنذرين بها * ونم غمز وأصبر أمر مرشد
لها الصفايا مع المرباع من نفل * فى طيه سيد الكفار والبلد
قالوا الصهيل ظلباء أقبلت سنحا * الى حما نسل ترعاهن أو ترد
تلك الظباء عراب الخيل دونكم * نهد وورد وذبال ومنجرد
من كل سابحة طارت بفارسها * كأنها لبوة فى عطفها أسد
يسبيهم الجيش ما اشتدت أعنته * كالنار توسع حرقا كلما تجد
فكانت الخيل تطعام دراهمها * والمشرفية للقاهم فتنتقد
غل الرقاب بمن الاصلاح ان غلبوا * على الحريم وتسعبا المهى الطرد
اذا رأى ابنة العمران قد سبيت * مضى يقول ألا الله من شد
لما رأوك وجسرا لموت ملتطم * ومن حيم المذاكى فوقه زبد
ملوا الى سيفك المسلول واصرفوا * عن الصليب الذى تلقاه ومعبدوا

وكان

وكان موعظ رهم والحين أنجزه * لكي ترافع دمله ماله تورد
يوما من القيظ بسوداً السلام به * كأن كل كلام فيه منقاد
وفاض سيفك نهراً في ظهيرته * فأقبلت نحوه الارواح تبترد

وله من أخرى (بسيط)

اما ترى الليل قد ألهبته شمعا * مثل الكواكب كانت حوله حرسا
من كل ناشرة فرعاله شعب * عند القيام واسبال اذا انكسا

وله من أخرى (بسيط)

وفتية لبسوا الادراع تحسبها * سلخ الاراقم الا أنها رسب
اذا الغدير كساأعطافهم حلقا * طفا من البيض في هاماتهم حبب

وله من قصيدة (بسيط)

يا أقتل الناس ألحاظا وأطيبهم * ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهو الشمس طالعة * ورد يزيد له فيه الراح والخجل
ايمان حبك في قلبي تجدده * من ختلك الكتب أو من لحظك الرسل
ان كنت تجهل أني عبد مملكة * مرني بما شئت آتيه وأمتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به * من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

وله يستنجد الوزير أبا محمد بن مسعدة رحمه الله (كامل)

قل للوزير أبي محمد الرضا * وفعاله وقف على العلياء
رعدت سماؤك ساحتي بسحابها * فأنا أشيم بوارق الانواء
واذا مطلت مضت بشاشة منطق * وذوى قضيب الروضة الغناء

وله في غلام مغن قام يرقص (كامل)

بأبي قضيب البان يثنيه الصبا * عوض الصبا في الروضة الغناء
نادمته سحرا فأمتع مسمعي * بترنم كترنم الورقاء
وكأنما أكمامه في رقصه * تعلم الخفقان من أحشائي
ويمر يلتقط الزجاج بذيله * مر النسيم على حباب الماء

(وله) مضيا على أهل المغرب وقد ذم عندهم مثواه وصفرت من نائلهم يداه (بسيط)

أقت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبي النفس لم أقم

وظلت أبكى لكم عذرا لعلكم * تستيقظون وقد نمتم عن الكرم
فلا حديقتكم يجنى بها ثمر * ولا سما وكم تنهل بالديم
لا رزق عندكم لكن سأطلبه * فى الارض ان كانت الارزاق بالقسم
أنا امرؤ ان نبت بى أرض أندلس * جئت العراق فقامت لى على قدم
أين الرجا والعلا من حازم يقظ * يغزو أعاديه فى الاشهر الحرم
ان كان سهما فلا تثنى رميته * أو كان سيفا فمسلول على البهم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالقعدد البرم
لا يحسبن الله متن الرمح انّ به * نيل العلا وأتاح الكسر للقلم
ولا أراق دما من باسل بطل * ومات كل أديب عبطة بدم
أوغلت فى المغرب الاقصى وأعجزنى * نيل الرغائب حتى أبت بالندم

ومنها.

وساقط نال من عرضى فقلت له * اليك عنى فليس السب من شيمى
أعرضت عنه ولو أنى عرضت له * سقيته حمة الافعى من الكلم

وله من أخرى (وافر)

ولى هم ستقذف بى بلادا * نأت اما العراق أو الشآما
وألحق بالاعاريب اعتلاء * بهم وأجيد مدحهم اهتماما
لكيما تحمل الركبان شعرى * بوادى الطلح أو وادى الخزامى
وكيما تعلم الفصحاء أنى * خطيب علم السجع الحماما
وقد أطلعتهن بكل أرض * بدورا لا يفارقن التماما
فلم أعدم واياها حسودا * كما لا تعدم الحسناء ذاما

وله من أخرى (طويل)

أخلاى والآداب تجمع بيننا * وبعض طباع لست أقضى على كل
ذوى أملى عند اهتزاز غصونه * وأرخصنى الدهر الذى كان بى يغلى
منى النفس فى حصن وحص لذى الحجا * فرولا لامر ما تصد عن البعل
نبت بى كما ينبو الجبان بنصله * ويحمل ما يأتيه ذنبا على النصل
وآيسنى من كل خير رجوته * كثير وما شاهيت فى الكثر والقل
أناس كما شاء الزمان ولا كما * تشاء المعالى عقدهم بيد الحل

أزورهم لاللودا د وقد دروا * فيلقونني بين التودّد والغلّ
وأمد حهم يا حسبي الله كاذبا * فيجزونني بالمنع شكلا الى شكل
وما نقموا مني سوى بعد همتي * وأني أخيراجئت أخلف من قبلي

وله من قصيدة يمدح بها أبا العباس بن عليّ رحمه الله تعالى (بسيط)

ونوبة من صهيل الخيل يسمعها * بالرمل أطيب ألحانا من الرمل
لا ينفذ العزم الا أن ينفذه * والسيف يكهم الافي يد البطل
يا كوكبا يغرق العافون في دفع * منه وتحترق الاعداء في شعل
تهويمة في بساط البيد يجعها * أشهى اليه من التهويم في الكلل
لا يدرك الناس لو راموا ولو جهدوا * بالريث بعض الذي أدركت بالعجل

(الاديب أبو العلاء بن صهيب رحمة الله عليه)

نبيل المنازع جميل المنازع كريم العهد ذو خلائق كالشهد كثير الافتنان جار في ميدان الذكاء بغير عنان (طويل)

وكالسيف ان لا ينته لان متنه * وحدّاه ان خاشنته خشنان .

مع فخر متأصل وفهم الى كل غامض متوصل شقي بأبي أمية أوانا ولقي كلّ من صاحبه خزيا وهوانا ثم ائتلفا بقلوب دغلة وضمائر نغلة واخلاق متنافرة ونفوس بعضها ببعض كافرة وله فيه أهاج مقذعة وأقوال مستبشعة أضربت عن ذكرها وصنت كتابي عن نكرها وقد أثبت من بدائعه نكتا يباهي بغرائبها وتنتظم في لبات الايام وترائبها فمن ذلك قوله يمدح أبا أمية رحمه الله (طويل)

ذكرت وقد نمّ الرياض بعرفه * فأبدى جمان الطلّ في الزهر النضر
حديثا وحرأى للسعيد يروقني * كما راق نور الشمس في صفحة الدهر
سريت وثوب الليل أسود حالك * فشق بذاك السير عن غرّة البدر
فلا أفق الا من جبينك نوره * ولا نفس الا في أنا ملك العشر
حنانيك في برّ النفوس لعلها * تردّ بلثم الكف عارفة البرّ
وعندي حديث من علائك علقته * يسير كما سار النسيم على الزهر
فيبلغ أقصى الارض وهي عريضة * ويهدي جني نور من الروضة الشعر
ففي كل أفق من حديثك عاطر * يسير به لفظي و يطلعه فكري

ودونك مني قطعة الروض قطعة * تحييك عن ودي وتنفح عن شكري

ولقيني في أحد أسفاري الى ذلك الافق وأنا في جملة من حملة البيان ولمة من نبهاء الاعيان فأوما الى الترجل فمنعته وأقطعني من البر مثل ما أقطعته فقال (طويل)

سلام كما فاح العبير النواسم * عليك أبا نصر خلال النواسم

أحيي به ذات الجلال وانما * أحيي به شخص العلا والمكارم

(وله الى ذي الوزارتين الكاتب أبي بكر بن القصيرة) وكانت بينهما مودة متأكدا ومع بلى الايام متجددة على نأى دارهما وبعد قطبهما من مدارهما وكثيرة ما كان يرفهه عن المعونة بعنايته وينزله الرتبة المصونة من حمايته عملا على شاكلة الجلال وانصافا لمشاكلة الخلال (طويل)

كتبت على رسمي فبر ابطالب * رضا الود طولا من نهاك بأحرف

أباهي بها عبد الجيد براعة * وأحملها حمل الغريب المصنف

وله اليه (كامل)

نافس فديتك في ذمام المنعم * ركن العلاء وحج ذا الموسم

فالدهر يخدم ان وصلت بجيده * والجد ينفح عن خطير أعظم

أهدى على نأى المزار عناية * رفعت بذكرى فوق زهر الانجم

فوصلت من عز الذمام أمانيا * وركضت في نيل المراد بمقدم

فعلى في شكر الملاذ ألية * وقفت على شكر الملاذ تيمى

ولما طوى أبا بكر مقدور حمامه وخوى نجم اهتباله به واهتمامه عاد الى المغرم فقال قول الضجر المبرم (متقارب)

فمن كان ينقص أغلاله * فان المعونة لا تنقص

تكر سريعا بلا ونية * وكل طريد بها يقنص

(الاديب أبو القاسم بن العطار رحمه الله تعالى)

أحد أدباء أشبيلية ونحاتها العامرين لارجاء المعارف وساحاتها لولا مواصلة راحاته وتعطيل بكره وروحاته وموالاته للفرج ومغالاته في عرف لانس أو أرج لا يعترج الا على ضفة نهر ولا يلهج الا بقطعة زهر ولا يحفل بملام ولا ينتقل عن المدام الا في طاعة غلام ناهيك من رجل مخلوع العنان في ميدان

الصبابة

الصبابة مغرم بالمحاسن غرام يزيد بحبابة لا تراه الا في ذمة انهمالٍ ولا تلقاه الا في ملة انتهالٍ رافعا الرايات الهوى قارعا الثنيات الجوى لا يقفر فؤاده من كلف ولا يبيت الا رهن تلف أكثر خلق الله علاقة وأحضرهم لمشهد خلاقة مع جزالة تحرك السكون وتضحك الطير في الوكون وقد أثبت له ما يرتجله في أوقات أنسه وساعاته ويتفث به أثناء زفراته ولوعاته فمن ذلك ما قاله في يوم ركب فيه النهر على عادة انكشافه وارتضاعه لثغور اللذات وارتشافه (طويل)

ركبنا على اسم الله نهرا كأنه * حباب على عطفيه وشي حباب
والاحسام جال فيه فرنده * له من مديد الظل أي قراب

وله في ذلك اليوم (طويل)

عبرنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس في تلك البرود رقوم

وله فيه (كامل)

لله بهجة منزه ضربت به * فوق الغدير رواقها الانشام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحا يلتاح فيه حسام

وله فيه (طويل)

مررنا بشاطي النهر بين حدائق * بها حدق الازهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وله فيه (خفيف)

هبت الريح بالعشي فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هدء فصاغت * كفه للقتال منه أسنه

وله فيه (كامل)

مالي على سطوات الدهر من جلد * ألقيت نحو تباريح الهوى بيدي
جليت عن منهل السلوان في رشا * بجيده حلية من صنعة الغيد
مذ قادني طرفه للحين أعلمني * ان العيون لها قتلي بلا قود

وله يخاطبني وقد رحلنا الى قرطبة (وافر)

كتبت اليك يارب الكتابه * حروفا خطها قلم الكآبه
وبين جوانحي للشوق نار * تجول بين أجفاني سحابه

لئن تاهت بك الدنيا بهاء * لقد هامت بك العليا صبابه
ولو رفعت عيون المجد بندا * تلقى منها رايتها عرابه
بقرطبة البيان تعب عبا * وليس بحمصنا منه صبابه
عبرت الى المكارم بحر بيد * على وجناء سارية سحابه
وأما حمص منذ رحلت عنها * فيأبى وجهها الا كآبه

وله يصف عشية انس (كامل)

ما كالعشية فى رواء جمالها * وبلوغ نفسى منتهى آمالها
ماشئت شمس الارض مشرقة السنا * والشمس قد شدت مطى رحالها
فى حيث تنساب المياه أراقما * وتعيرك الافياء برد ظلالها

وله متغزلا (كامل)

هب النسيم مع العشى فشاقنى * اذ كان من جهة الحبيب هبوبه
وكأنه اذهب من تلقائه * عرف القرنفل والعبير يشوبه
قد كنت ودعت الصبا وادعه * وأخو الصبابة لا تفيق ندوبه
فدعا الهوى لى دعوة لم أعصها * والصب راحة قلبه تعذيبه
لولم أجب داعى الهوى وعصيته * لغدت جفونى بالدموع تجيبه

وله أيضا (كامل)

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال فى حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

(وله) متشكيا من وجده وغرامه متبككا بالظبا نه وآرامه على عادته فى بوحه وسجيته فى عويله ونوحه (بسيط)

لابد للدمع بعد الجرى أن يقفا * وههنا سال فؤادى عنده أسفا
ولى غزال اذا ضادفت غرته * جنيت من وجنتيه روضة أنفا
كالبدر مكتملا كالظبى ملتفتا * كالروض مبتسما كالغصن منعطفا
ماهمت فيه ولاهام الانام به * حتى غدا الدهر مشغوفا به كلفا
أيرتضى الفضل أن أطوى على حرق * وفى مراشفه اللعس الشفاه شفا
ماصافح الروض كف المزن ترمقه * الا أرتنا به من خطه صحفا

وله فى مثله (طويل)

ألا يا نسيم الريح بلغ تحيتي * فمالي الى الغي سواك رسول
وقل لعليل الطرف عني بأنني * صحيح التصابي والفؤاد عليل
أينشر ما بيني وبينك في الهوى * وسرك في طي الضلوع قتيل

وله في مثله (كامل)

بأبي غزال ساحر الاحداق * مثل الغزالة في سنا الاشراق
شمس لها فوق الجيوب مشارق * ومغارب بجوانح العشاق
نثر العقيق ونظم در رائق * في حرشفيه وثغره البراق
عقد من السحر الحلال بلفظه * وبها تحل معاقد الميثاق
هلا وقد مدت اليه ضراعتي * يدها تصافحها يد الاشفاق
ديم الغمام برعدها وبرقها * كاثرتها بسحائب الاشواق
ما أدمعي تنهل سحا انما * هي مهجتي سالت على الآماق

وله (بسيط)

الحب تسبح في أمواجه المهج * لومد كفا الى الغرقى به الفرج
بحر الهوى غرقت فيه سواحله * فهل سمعتم ببحر كله لجج
بين الهوى والردى في لحظه نسب * هذى القلوب وهذى الاعين الدعج
دين الهوى شرعه عقل بلا كتب * كما مسائله ليست لها حجج
لا العدل يدخل في سمع المشوق ولا * شخص السلو على باب الهوى يلج
كأن عيني وقد سالت مدامعها * بحر يفيض ومن آماقها خلج
جار الزمان على أبنائه فغدت * تغتال أعمارنا الآصال والدلج
بين الورى وصروف الدهر ملحمة * وانما الشيب في هاماتهم رهج

وله يتغزل (كامل)

رقت محاسنه وراق نعيمها * فكأنما ماء الحياة أديمها
وشأ اذا أهدى السلام بمقلة * ولحى بلب سلمها تسليمها
سكرى ولكن من مدامة لحظه * فاغضض جفونك فالمنون نديمها

(وله في الوزير الاجل أبي حفص الهوزني) رحمه الله وقد مات بنهر طلبيرة عند افتتاحها قصيدة طويلة منها (طويل)

وفي كفه من مائع الهند جدول * عليه لارواح العداة تحوم

بحيث الصدى بين الجوانح يلتظى * ونار الوغى بين الاسنة تضرم
وما من قليب غير قلب مدجج * ولاشطن الا الوشيج المقوم
ووجه الضحا من ساطع النقع كاسف * بيوم له زرق الاسنة أنجم
ولما رأوا أن لامفر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرأ منهم
فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثلم السد الحسام المثلم
فهلا ثنى عنه الردى فى زلاله * رداء برقراق الفقاقيع معلم
فياعجبا للبحر غالته نطفة * وللاسد الضرغام أرداه أرقم

وله يتغزل أيضا (كامل)

ليل يعارضه الزمان بطوله * مالى به الا الاسى من مسعد
نظمت لؤلؤ أدمعى فى جيده * فكانها فيه النجوم الاسعد

وله أيضا (منسرح)

وسنان ماان يزال عارضه * يعطف قلبى بعطفه اللام
أسلمنى للهوى فواحزنا * ان بزنى عفتى واسلامى
لحاظه اسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامى

(الاديب الحاج أبو عامر بن عيشون)

رجل حل المشيدات والبلاقع وحكى النسرين الطائر والواقع واستدر خلفى البؤس والنعيم وقعد مقعد البائس والزعيم فآونة فى سماط وأخرى بين درانك وأغماط ويوما فى ناموس وآخر فى مجلس مأنوس رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته ولم يعلق بأمل نحلته فارتد على عقبه وردّ من حبالة الفوت الى منتظره ومرتقبه ومع هذا فله تحقق بالادب وتدفق طبع اذا مدح أو نسب وقد أثبت له ما تعلم به حقيقة نفاذه وترى سرعة وخده فى طرق الاحسان واغذاذه (فمن ذلك) ما كتب به الىّ يستدعينى بفاس (طويل)

أياموضع الشكوى أراح نجيها * غوارب آمالى على تشواردا
وروضة آداب تعهدها النهى * فأزهارها تجنى تؤاما فواحدا
تهيم بعليائك النفوس جلالة * فتحسد من حب عليك الحواسدا
تناهبت الافكار أنسى ولايد * اذود بها فكرا عن الانس ذائدا
بطارحنى الوسواس حتى كأنما * اساوره منها كل حين أساودا

سوى أن قربا منك ان سمحت به * ليال ضنينات وسمن مجاودا
فأجلو بعزآلك البهي نواظرا * تبيت برغم المجد رمدا سواهدا
هلم الى ورد من الانس سائغ * تظلله الآداب هدلا موائدا
يرق جناها حكمة وبلاغة * فتنتظم مقطوعاتها والقصائدا
اذا انتدبت كانت قنا وقنابلا * وان عزلت كانت طلا وقلائدا
تشير على الايام حربا لعلها * تفيد لنا يوما الى البين فائدا
تتوج بالكاسات منك أناملا * يظل لها تاج ابن ساسان ساجدا
وان أنا واقعت الجفاء بغرم * قد أورده حب المعالى الموارد

(وأخبرنى) أنه دخل مصر وهو سارفى ظلم البوس عار من كل لبوس قد خلا من النقد كيسه وتخلى عنه الاتقديره وتنكيسه فنزل بأحد شوارعها لا يفترش الانكده ولا يتوسد الاعضده وبات بليلة ابن عبدل تهب عليه صرصر لا ينفح منها عنبر ولا صندل فلما كان من السحر دخل عليه ابن الطوفان فأشفق لحاله وفرط امحاله وأعلمه أن الافضل استدعاه ولو ارتاد جوده بقطعة يغنيها له لاخصب مرعاه فصنف له فى حينه (بسيط)

قل للملوك وان كانت لهم همم * تأوى اليها الامانى غير متئد
اذا وصلت بشاهنشاه لى سببا * فلن أبالى بمن منهم نفضت يدى
من واجه الشمس لم يعدل بها قمرا * يعشو الى ضوئه لو كان ذا رمد

فلما كان من الغد وافاه فدفع اليه خمسين مثقالا مصرية وكسوة وأعلمه أنه غناه وجود الاظهار للفظه ومعناه وكرره حتى أثبته فى سمعه وقرره فساله عن قائله فأعلمه بقلته وكلمه فى رفع خلته فأمر له بذلك وكتب الى يستعتبنى (طويل)

كتبت ولو وفيت برك حقه * لما اقتصرت كفى على رقم قرطاس
ونابت عن الخط الخطا وتبادرت * فطورا على عينى وطورا على راسى
سل الكاس عنى هل أديرت فلم أصغ * مديحك ألحانا يسوغ بها كاسى
وهل نافح الآس الندامى فلم أدع * ثناءك أذكى من منافحة الآس

وله (طويل)

قصدت على أن الزيارة سنة * يؤكدها فرض من الود واجب
فألفيت بابا سهل الله قصده * ولكن عليه من عبوسك حاجب

مرضت ومرضت الكلام تثاقلا * الى ان خلت انك عاتب
فلا تتكلف للعبوس مشقة * سأرضيك بالهجران اذ أنت غاضب
فما الارض تدمير ولا انت أهلها * ولا الرزق ان أعرضت عنى حاجب
(ورأى على غفارة) وخاتما كلاهما مستغرب فوجه الى فى الغفارة فبعثها اليه فكتب الى (طويل)

نشقنا من المجد المؤثل نفحة * تزيد على الند المثلث والمسك
وماذاك الا ان سألت مجادلى * أبو نصر الاعلى ببرنسه المسكى
ينظم فى جيد المعالى قلائدا * هى الدر للجدوى وعلياه للسلك
اذا ختمت يمناه منى عاطلا * خلعت على اليسرى به خاتم الملك
وان محكت أيدى اللئام بشكرها * محكت فلم أجعل بلائى ولا محكى

(الاديب أبو الحسن غلام البكرى رحمه الله تعالى)

ذو الخاطر الجائش البارى لنبل المحاسن الرائش الذى اخترع وولد وقلد الاوان من احسانه ما قلد طلع فى سماء الدولة العبادية نجما وصار لمسترق سمعها رجما وكان له فيها مقام محمود وتوقد لم يعره خمود ثم استوفى طلقه ولبس العمر حتى أخلقه وصحب الدولة المرابطية برهة من الزمان لا يألو تقليد نحرها اللآلئ وجمان (وقد أثبت) له ما تستغربه وينير لك به مشرقه ومغربه فمن ذلك قوله من قصيدة أولها (طويل)

ألاحت وللظلماء من دونها سدل * عقيقة برق مثل ما انتضى النصل
أطارت سناها فى دجاها كأنه * تبلج خد حفه فاحم جثل
لدى ليلة رومية حبشية * تغازلنا من شهبها أعين شهل
تود عيون الغانيات لو أنها * اذا مرضت عند الصباح لها كحل
بدت فى حلاها فالتقتنا نجومها * بانجم راح فى الشفاه لها أفل
الى ان بدا للصبح فى طرة الدجا * دبيب كما استقرت مدارجها النمل
نعيم أرى الايام تثنى عنانه * علينا اذا التقى ثنيته الحسل
أفى لهوات الليث ربع أبيه * ولو على فيها مجاجته الصل
نكرت الدنا والارض فيها فليس لى * بها عقوة آوى اليها ولا أهل
وأفردنى صرف الزمان كأننى * طرير من الهندى أخلصه الصقل

فياليت شعري هل مقامي لنية * تخب بنا الوجناء والمطية والرجل
وسير يخلي المرء منه قريبه * فريدا كما خلي تريكته الرأل
فكم من حبيب كان روضة خاطري * يرف ويندى بين افنانها الوصل
يحاط له اذ كورت لي شمسه * فشخص نعيمي لا يقوم له ظل
غبرت وبادوا غير ان تلبثي * وراءهم عيش يلذ له القتل
اذا كان عيش المرء أدهى من الردى * ففائدة الايام داهية ختل
اذا قنع المضطر كانت بكفه * مفاتيح لم يبهم لها أبدا قفل
ومن راد لم يعدم من الله نجعة * ففي كل محل من غمامته وبل

وله (متقارب)

أعز البرية في نفسه * فتى خاشع الطرف من غير ذل
ومن يزن القول وزن النضار * فلا يفتح القول او يعتدل
ترى كل ألوث من قوله * يضاحك حكمته بالخطل
ويحكي الاقاويل جهلا بها * كما حكت الصوت بنت الجبل
يكاثر نوع الاذى في الورى * فلست ترى غير سمع أذل
وقل أولو الفضل ان حصلوا * وهل يتحصل نور المقل
نخالط أناسا وزايلهم * وكن فيهم ظالك المستقل
لقاؤهم يستدر الدموع * ويذكي الضلوع كواهي الطلل
وفيهم تشابه ما في الفلاة * خداع السراب وجور السبل
وبين ضلوعي ما بينها * وينهضني الحادث المضمثل
وفي راحتي ثمراني الهدى * تريني انتعاشي قبل الزلل
وطعن قواف لها شكة * مجن وقاح ونصل نجل
يموت ويحيا بها من علا * وليست تعوج على من سفل
حديقة فكر سقاها الحجى * فأثمرت الكلم المنتحل
تمر على اذن المستعيد * مرور الحيا بالجديب المحل
يسربلها الحسن وصف الحسود * ويصفي لها الود قلب الدغل

وله أيضا (بسيط مخلع)

أرقني بعدك البعاد * فناظري كحله سهاد

ياغائبا وهو فى فؤادى * ان كان لى بعده فؤاد
الله يدرى وأنت تدرى * ان اعتقادى لك اعتقاد
نذكر والحاد ثات بله * ليس لها ألسن حداد
ونحن فى مكتب المعالى * يصبغ أفواهنا المداد
يسدل ستر الصبا علينا * والامن من تحتنا مهاد
لا نهتدى لما خلقنا * نجهل ما الكون والفساد
تكلؤنا من حفاظ بكر * لو اخط ما اهيا رقاد
وهمة ناصت الثريا * تقود صعبا ولا تقاد
أذمة بيننا لعمرى * يحفظها السيد الجواد
ياغرر المجد فى جباه * لم يبد أشكالها الجياد
آثاركم فى العلا قديما * دانت لها جرهم وعاد
سبحان من خصكم بأيد * بهن تستعبد العباد
اذا استهلت لها سماء * أورق من تحتها الجماد
والآن تبلى ورب جود * حل على ناره الرماد
وأنت فى ألسن البرايا * معنى بألفاظها معاد
حسب العدا منك ما رأوه * لا وريت للعدا زناد
لم يعلم الصائدون منهم * أنك عنقاء لا تصاد
وان فى راحتيك سعدا * تندق من دونه الصعاد
والليث شجعان لا يبالى * اذا نزت حوله النقاد

(الاديب أبو عبد الله بن الفخار المالقى رحمه الله تعالى)

صاحب لسن وراكب هواه من قبيح وحسن لا يصد اذا صمم ولا يرد عمايم حمى الانف لا يضام قوى الشكيمة لا يرام وقف للمطالبة والاسنة قد أشرعت وثبت والاطواد قد تضعضعت حتى أقعد عدوه وصفا رواحه وغدوه وقد أثبت له ما يستطاب ويسرى فى النفس كما يسرى فى البلح الارطاب (فمن ذلك قوله (طويل)

بأى حسام أم بأى سنان * أنازل ذاك القرن حين دعانى
لئن عرى اليوم الجواد لعلة * فبالامس شدوا اسرجه لطعان

وان عطل السهم الذى كنت رائشا * ففيه دم الاعداء أحمر قانى
ألا ان درعى نثرة تبعية * وسيفى صدق ان هززت يمانى
وماقصبات السبق الا لادهمى * اذا الخيل جالت فى مجال رهان
تمنى لقائى من حللت وثاقه * وأعطى غداة المن ذلة عان
وقد علم الاقوام من صح وده * ومن كان منادائم الشنآن
ومازدهنى قول كل مموه * وليس له بالمعضلات يدان
ويزعم أنى فى البيان مقصر * ويأبى بنانى واقتدار لسانى
وانى لنهاض بكل عظيمة * يضيق عليها ذرع كل جنان
نهضت بها وحدى وغيرى مدع * يشارك أهل القول شرك عنان
أينسى مقامى اذ أكافح دونه * وقد طار قلب الذعر بالخفقان
ويذكر يوما قت فيه بخطبة * كأن ثارعد الماء بالسيلان
فقرى جعارى ان دونك حارسا * يمنيك بالاخلاف والولعان
وما هو الا المرء يقطع رأسه * وان دهنوه حيلة بدهان
تهاون بالانصاف حتى أحله * وقد كان ذا عز بدار هوان
ولو كان يعطى الزائرين حقوقهم * لما تركوه فى يد الحدثان

وله (طويل)

الى كم يجد المرء والدهر يلعب * ويبعد عنه الامن والخوف يقرب
وهل نافعى ان كنت سيفا مصمما * اذا لم يكن يلقى لحدى مضرب
أبيتهم والليل كالنقس أسود * واهجمهم والصبح كالطرس أشهب
فلا أنا عما رمت من ذاك مقصر * ولا خيل عزمى للمقادير تغلب
أبا حسن سائل لمن شهد الوغى * لئن كنت لم أصبح أهش وأطرب
وأعتنق الابطال حتى كأنما * يعانقنى منهم من البيض ربرب
أخاتلهم كالذيب وحدى وتارة * يصول بهم منى المزعفر يقضب
وفى كل باب قد ولجت لكيدهم * ولكن أمور رأيس تقضى فتصعب
فوا أسفا كم ذا أبيت بذلة * وسيفى فجيعى والجواد مقرب

وله أيضا (طويل)

أمستنكر شيب المفارق فى الصبا * وهل ينكر النور المفتح فى غصن

أطلق طلاب المجد شيب مفرقي * وان كنت في احدى وعشرين من سني
(وكتب الى أبي عبد الله بن أبي زنغي) رحمه الله عند ولايته سجلماسة والشعر طويل أثبت بعضه (طويل)

بمن حل في سرغ فؤادك هائم * وهيهات منك اليوم من حل في سرغ
وتكلف بالداعي هلم الى الوغى * طماعا بأن تدنو من ابن أبي زنغي
وكنايه تبغي قضاء لبانة * ولو أنه يبقى لقضى الذي نبغي
سلام عليه عذب النفس بعده * عقارب هم لا تفيق من اللدغ
وشوقا اليه أصبح القلب عنده * ولم تثنه خود معقربة الصدغ

وله أيضا (متقارب)

أقل عتابك ان الكريم * يجازى على حبه بالقلا
وخل اجتنابك ان الزمان * يمر بتكديره ما حلا
وواصل أخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلا
وقل كالذى قاله شاعر * نبيل وحقك أن تنبلا
اذا ما خليل أسى مرة * وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاولا
أبا حسن ان أتى حادث * يجرد لى سيفك المصقلا
فودي جديدك لم أبله * بروقك في حليه والحلا
أولى الملامة عنك الزمان * واصحبك الاكرم الافضلا
أقول وأنت لسان المقال * وعين الكمال ورأس العلا
لئن جار فيك على الزمان * فقد كان لى حكما أعدلا
ليالى كنت صحيح الاخا * صريح الوفاء بما أملا
تدافع عنى خطوب الزمان * بضرب الرقاب وطعن الكلى
ولكن أطعت غواة الرجال * وبعت صديقك لا بالغلا
سأصبر للخطب حتى يزول * وأدعوله رأيك الاجملا
ودونكها كالعروس الكعاب * عليها من الحلى ما فصلا
فكالزبد بالدهن في لينها * وتخزى بشدتها الجندلا
اذا صيد للشعر طير بغاث * رأيت لها الطائر الاجدلا

ولم ألف جدك جدا الذى * أكف به النازل المعضلا

(الاديب أبو عامر بن المرابط رحمه الله تعالى)

مديد الباع شديد الانطباع سلك مسلك المرقين وترك سبيل المتشدقين وأتى من الابداع بما أراد وسابق الافذاذ والافراد الا انه لاله لم يدرك الاقمار وطواف عمره لم يبلغ الاعتمار فاحتضر صغيرا وأغار على المعانى حتى كر الدهر عليه مغيرا وكانت له همة لم تعلق يده بعمل ولم تطلق له عنان أمل فأغرى بالخمول وبرئ من منازل المأمول حتى حواه ملحده وطواه دهره وهو أوحده وقد أثبت له ماتعرف به نبله وترى الى أى غرض كان يرمى نبله (فمن ذلك) قوله يتغزل (رمل مجزو)

سران اسطعت فانى * لست أسطيع مسارا
ذلك البدر الذى قا * بلت لايلقى السرارا
قلدوا مبسمه الدر * وجفنيه الشفارا
كلما أومأ باللحـ * ـظ يمينا أو يسارا
لا ترى عيناك الا الـ * ـقوم قتلى أو أسارى
لا ترع ياشادن الاجـ * ـراع كم تهوى النفارا
لك هذا القلب ترعا * ه اراكا وعرارا

وله أيضا فى المعنى (بسيط مخلع)

هنالك الرى من دموعى * ياظبى والظل من ضلوعى
فردمعينا ورد ظليلا * غير مذود ولا مروع

وله فى غير ذلك (طويل)

يشرد أنسى موعد بعد اوة * ويبسط نفسى مقبل بوداد
لقلوا اذا والوا فغير أصاحب * وهانوا اذا ولوا فغير أعادى
وقول له وقع الاسنة لم أزل * أكف عنانا عنه يوم طراد
تهاوى قلوب فيه بين أسنة * وتأوى جنوب منه فوق قتاد
وحال تثير البيض والسمر مثل ما * أسام العلا فى مسرح ومراد
لبست اليها الصبر سرد مفاضة * وأمطيت فيها العزم ظهر جواد

وله (مديد)

من رأى ذاك الغزال ضحا * يتمشى فى اجارعه
ينفض الاجفان عن سنة * أشربتها فى مضاجعه
نظرات الظبى روعه * قانص أدنى مراتعه
بشر أو مثله قمر * سن قتلى فى شرائعه

وله (طويل)

تركت الليالى لا أذم صروفها * ولا أحمد الايام ايان تقبل
ونبهت عزمى للسرى فأجابنى * وكالعزم ما استنجدت من ليس يخذل
ويسعدنى ان جذبنى الشوق فتية * اذا ركبوا لم يحتو المجد منزل
تجافوا عن الاوطان عزة أنفس * قصرن خطا الاعمار والضيم منهل
بمصر عيون ان تراك قريرة * وعنى أوطان ببغداد تسأل

وله من قصيدة (طويل)

أعيدوا على الربع الاتحية * أخفف منها والركاب ربوع
دعونى والاطلال أبكى فان يكن * ضلالا فانى للضلال تبوع

وله من أخرى (كامل)

فتناوحت فيه الرياح مع الصبا * حتى تبل ترابه المزن
ويسيل أبطحه وأجرعه معا * ويرق ذلك السهل والحزن

وله (وافر)

تقول مطيتى لما رأتنى * وبينك لا تواد عنى فواقا
وقد أخذ السرى منى ومنها * مآخذ لا نطيق لها مساقا
لقد عيت بنا النكبات حتى * لودت كل نائبة فراقا

وله أيضا (طويل)

سل الركب عن نجد فان تحية * لساكن نجد قد تحملها الركب
والا فابال المطى على الدجا * خفافا وما للريح حرجفها رطب

وله أيضا (رمل مجزوء)

راقنا النهر صفاه * بعد تكدير صفائه
كان مثل السيف مدمى * نجلوه عن دمائه
أو كمثل الورد غضا * فهو اليوم كمائه

(الاديب أبو الحسن باقى بن أحمد رحمه الله تعالى)

شيخ الانقباض وسهم المعانى والاغراض لم يكن له ظهور ولا يوم فى الحظوة مشهور مع أدبه الباهر ومذهبه الطاهر ونفسه الزكية ومنازعه الذكية فاقتصر على القاضى أبى أمية يتمدب بربعه انتداب غيلان باطلال مية واقتنع بوشله فاضطلع بعبء تكاليفه على ضعفه وفشله لم ينتجع سواه ولم يسترجع الامن ضيق محله لديه ومثواه وقد أثبت له ما تستعذبه وتستطيبه وتعلم به انه امام الاحسان وخطيبه فمن ذلك ما كتب به الىّ (بسيط)

الدهر لولاك ما رقت سجاياه * والمجد لفظ عرفنا منك معناه
كان العلا والنهى سرا تضمنه * صدر الزمان فلما لحت أفشاه
آيات فضلك نتلوها ونكتبها * فى صفحة البدر ما أبدى محياه
فأنت عضب وكف الدهر ضاربة * تنبو الخطوب ولا تنبو غراراه

(وله) الى أبى العباس الغرباقى وقد وافى مرسية فعزم على زوره وقطف أزهاره ونوره فانه من ابداع المجالسة وامتاع المؤانسة فى حد يستنبل وكانه شهاب يقتبل (كامل مجزوء)

ياماجدا فى قربه * من كل هم لى فرج
ومملكا بمقاله * وفعاله رق المهج
هل طن اذنك للقا * ء فان عينى تختلج

(وصحب أبا أمية الى العدوة) فمروا بفاس وفيها الوزير أبو محمد بن القاسم وزير ملكها وبدر فلكها وكان من سموّ الهمة بحيث يجلو الظلام العاكر ويخجل الوسمىّ الباكر فكتب اليه (متقارب)

نسيم الصبا بذمام العلا * تمش على الروض مشى الكسير
وسر عبق النشر حتى تحل * محل السيادة ربع الوزير
فطأ من حشاها دوين الضلوع * حذار مهابته أن يطير
وقبل أنامله انها * ضرائر فى فيضها للبحور
وذكر بحاجة ضيف له * فؤاد يقيم وجسم يسير
له أمل قبل وشك الرحيل * طويل المدى ومداه قصير
وقل ان لقيا الوزير الاجل * يقرب كل بعيد عسير

(الاديب أبو جعفر بن البنى رحمه الله تعالى)

مطبوع النظم نبيله واضح نهجه فى الاجادة وسبيله ويضرب فى علم الطب بنصيب وسهم يخطئ أكثر مما يصيب وكان أليف غلمان وحليف كفر لا ايمان ما نطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا وربما تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا لايبالى كيف ذهب ولا بما تمذهب وكانت له اهاج جرع فيها اصابا ودرع منها أوصابا وقد أثبت له ما يرتشف ريقا ويلتحف به الاوان شروقا فمن ذلك قوله يتغزل (كامل)

من لى بغرة فاتر يختال فى * حلل الجمال اذا مشى وحليه
لو شب فى وضح النهار شعاعها * ما عاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت بماء الحسن حتى خلصت * ذهبية فى الخد من فضيه
فى صفحتيه من الحياء أزاهر * غذيت بوسمى الصبا ووليه
سلت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام سميه

وله (رمل مجزو)

كيف لا يزداد قلبى * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت علىّ * بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد * ر قواما واعتدالا
أشرق البدر سرورا * وانثنى الغصن اختيالا
ان من رام سلوى * عنه قد رام محالا
لست أسلو عن هواه * كان رشدا أو ضلالا
قل لمن قصر فيه * عذل نفسى أو أطالا
دون أن تدرك هذا * يسلب الافق الهلالا

(وكنت بميورقة) فدخلها متسميا بالعبادة وهو أسرى الى الفجور من خيال أبى عبادة قد لبس اسمالا وأنس الناس منه أقوالا لا اعمالا وسجوده هجود واقراره بالله جحود وكانت له بسواحلها رابطة كان يلوازمها مرتبطا ولسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحمى وكان لا يتصرف الا فى صفاته ولا يقف الا فى عرفاته ولا يؤرقه الا فى جواه ولا يشوقه الاهواه فدخلت عليه يوما لازوره وأرى زوره فاذا أنا بأحد دعاة محبوبه ورواة تشبيبه

فقال

فقال له كنت البارحة مع فلان بحماه وذكر له خبرا ورّى عنه وعماه فقال مرتجلا (وافر)

تنفس بالحمى مطلول روض * فأودع نشره ريحا شمالا
فصحت العقيق الى كسلى * تجرر فيه اردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا أو شمالا
نسيم بات يجلب منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا
ينمّ الى من زاهرت روض * حشوت جوانحى منه ذبالا

ولما تقرّر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرّر وتردّد على سمعه انتهاكه وتكرّر أخرجه ونفاه وطمس رسم فسوقه وعفاه فأقلع الى الشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار نشأت له ريح صرفته عن وجهته وردّته الى فقد مهجته فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة اباحته وابراء الدين منه واراحته ثم آثر صفحه وأخمد لهيب ذلك الحنق ولفحه وأقام أياما ينتظر ريحا تزجيه ويستهديها لتخلصه وتنجيه وفى أثناء تلويه لم يتجاسر أحد من اخوانه على اتيانه وجعلوا أثره كعيانه فقال يخاطبهم (وافر)

أحبتنا الاولى عتبوا علينا * فأقصرنا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وأنسا * فهل فى العيش بعدكم انتفاع
أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله (وافر)

بنى العرب الصميم ألا رعيتم * ما آثركم بآثار السماح
رفعتم ناركم فعشا اليها * عشاء فارس الحى اللقاح

وله فى القاضى عبد الحق بن الملجوم (بسيط)

وسائل كيف حالى اذ مررت به * ومن لواحظه كل الذى أجد
ولى يد اذ توافقنا أشدّ بها * على فؤادى وفى عينى يديه يد
والجمر فى خدّه الوضاح رونقه * يندى وفى قلبى المشغوف يتقد

وله فيه أيضا (بسيط)

يا من يعذبنى لما تملكنى * ماذا تريد بتعذيبى واضرارى

تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل في السيف أو كالنور في النار

وله يهجوهم ويمدح القاضي أبا الوليد هشاما وأخاه عليا (بسيط)

ما في بني يوسف ساع لمكرمة * سواك أو صنوك العالي أبي الحسن
كرمتما واعتدى باللؤم غيركما * والشوك والورد موجودان في غصن

وله (كامل)

وكأنما رشأ الحمى لما بدا * لك في مضلعة الحديد المعلم
غصب الحمام قسيه فأعارها * من حسن معطفه قوام الاسهم

وله (طويل)

وذي وجنة وقادة الصقل قاسمت * حياتي فبات صقالها بجراحي
نظرت اليه فاتقاني بمقلة * تردّ على نحري صدور رماح
حميت الجفون النوم يا رشأ الحمى * وأظلمت ايامي وأنت صباحي

وله (طويل)

غضبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نورها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

وله يتغزل (بسيط)

قالوا اتصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر
تعلمت قوسه من قوس حاجبه * وأيد السهم من ألحاظه الحور
يلوح في بردة كالنقس حالكة * كما أضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق في خضراء مورقة * كما تفتح في أوراقه الزهر

(الاديب الوزير أبو بكر بن الصائغ)

هو رمد جفن الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا ومسنونا فما يتشرع ولا يأخذ في غير الاضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل ماتطهر من جنابة ولا أظهر مخيلة انابة ولا استنجى من حدث ولا أشجى فؤاده بتوار في جدث ولا أقر بباريه ومصوره ولا فزع عن تباريه في ميدان تهوره الاساءة اليه اجدى من الاحسان والبهيمة عنده أهدى من الانسان نظر في تلك التعاليم وفكر في اجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم العليم ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه وأراد ابطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من خلفه واقتصر على الهيئة وأنكر أن تكون له الى الله تعالى فيئة وحكم للكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهى والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو يعتقد ان الزمان دور وان الانسان نبات له نور حمامه تمامه واختطافه اقتطافه قد محى الايمان من قلبه فماله فيه رسم ونسى الرحمن لسانه فما يمر له عليه اسم وانتمت نفسه الى الضلال وانتسبت ونفت يوما تجزى فيه كل نفس بما كسبت فقصر عمره على طرب ولهو واستشعر كل كبر وزهو وأقام سوق الموسيقا وهام بحادى القطار وسقا فهو يعكف على سماع التلاحين ويقف عليها كل حين ويعلن بذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشئ فادنا الى الله فى أسلس مقاد مع منشا وخيم ولؤم أصل وخيم وصورة شوهها الله وقبحها وطلعة اذا أبصرها الكلب نبحها وقذارة يؤذى البلاد نفسها ووضارة يحكى الحداد دنسها وقند لا يعمر الا كنفه ولدد لا يقوم الا الصعاد حنفه وله نظم أجاد فيه بعض اجادة وشارف الاحسان أوكاده فمن ذلك ما قاله فى عبد حبشى كان يهواه فاشتمل عليه اسر سعر جواه ونقله الى حيث لم يعلم مثواه فقال (بسيط)

يا شائقى حيث لا أسطيع أدركه * ولا أقول غدا أغدو فألقاه

أما النهار فلى لى ضم شملته * على الصباح فأولاه كأخراه

أغر نفسى بآمال مزخرفة * منها لقاؤك والايام تأباه

وله فيه حين بلغه موته وتحقق عنده فوته (وافر)

الايا رزق والاقدار تجرى * بما شاءت تشاء ولا تشاء

هل أنت مطارحى شكوى فتدرى * وأدرى كيف يحتمل القضاء

يقولون الامور تكون دورا * وهذا فقده فمتى اللقاء

وومض له برق من ناحية برشلونة حيث أسر فأنس به وسر فقال (خفيف)

ايه يا برق قل حديثك عن نجد * فما الاله عنى نجدا

قل وان كان ما تحدثه زورا * فقد تبرد الاسى والوجدا

(وله) فى الامير أبى بكر بن ابراهيم قدس الله تربته وآنس غربته مدائح انتظمت بلبات الاوان ونظمت كل شتيت من الاحسان (فمن ذلك) قوله فيه (وافر)

توضح فى الدجا طرف ضرير * سنا بلوى الصريمة يستطير

فوابابي ولم أبذل يسيرا * وان لم يكفهم ذاك الكثير
بريق لاتقل هو ثغر سلمى * فتأثم انه حوب وزور
فكيف وما أضاء الليل منه * ولا عبقت بساحته الحور
تراءى بالسدير فزادقلبي * من البرحاء ماشاء السدير
فلولا انّ يوم الحشر يقضى * على حكم اذا استولى يجور
دعوت على المشقر أن يجازى * بما تجزى به الدار الغرور
فياسعد السعود ولست أدرى * أتدرى انّ قلبك لا يجور
وقبلك ما ادّعته ظنون قوم * فلم يك عندهم قلب صبور
ولكن سر فشارفه خطارا * وقد يتجشم الامر الخطير
وناد بأعين العلمين رملا * ينم به على الرمل العبير
بآية مايلوح الصبح فيها * فتغرقه بوفرتها الشعور
ويبرد بينها نفس النعامى * فتحرقه بزفرتها الصدور
وقل ياظالمين وليس ذنب * وقل ياعاذلين ولا نكير
أحقا تمنحون الجار عهدا * وينقضه غزالكم الغرير
لقد وسع الزمان عليه عدوا * وضر بشبله الليث الهصور
وقلبنا الزمان فلا بطون * تضمنت الوفاء ولاظهور
سوى ذكر أطارحه فلولا الامير لقد عفا لولا الامير
همام جوده يصف السوارى * وسطوته يعبرها الهجير
يقول عداه كيف وفى يديه * سعير ترتمى فيها بحور
وقلنا نحن كيف وراحتاه * بحور يلتظى فيها سعير
فهل فيما سمعت به خصام * يكون الخصم فيه هو العذير

(وكان) الامير أبو بكر يعتقد له هذه المانة ويراها ويجوّد أبدا اثراها فلما ولى الثغر والشرق لم يغفلها من رعى ولم يكلها الى شفاعة وسعى وحمله على ما كان يعتقده فيه من المقت واستعمله على ما يقتضيه خلق الوقت من اقامة كل وغد وتسويغه كل نعيم رغد وتغليب حجة داحضة وانهاض عثرة غير ناهضة فتقلد وزارته ودولته تزهى منه بأندى من الوسمىّ المبتكر وأهدى من النجم فى الليل المعتكر وألويته تميس به زهوا ميس الفتاة ورعيته تبتهج بملكه ابتهاج جابر بعهد البوباة

ومذاهبه يبسطها الفضل وينشرها وكتائبه لا يكاد العدو يعشرها فجاش اليهم وانبرى وراش فى تنكيلهم وبرى وأقطعهم ماشاء من مقابحته وأسمعهم مايصم بين خمه ومفاتحته فوغرت صدورهم السليمة واعتلت صحة ضمائرهم بنفوسهم الاليمة ولم يزل يأخذ فى الاضرار ولا يدع ويعلن به ويصدع حتى تفرق ذلك الجمع وألقاه بين بصر الشتات والسمع وأفرد الدولة من ولاتها وجردها من حماتها فاستجل العدو بذلك واستشرى وزأر منه على سرقسطة ليث شرى ولما رأى الشر قد ثار قتامه وبدا من ليله اعتامه ارتحل واحتمل وقال لا ناقة لى فيها ولا جمل وأقام ببلنسية يشفى نفسه ويستوفى أنسه ونجوم سعدها كل يوم غائره والعدو يتربص بها أسوأ دائره ويروم منازلتها ثم يدع الاقتحام ويريد التقدم اليها فيؤثر الاحجام تهيبا لذلك الملك السرى والليث الجرى وفى خلال هذه المحاولة واثناء تلك المطاولة عاج للامير أبى بكر حمامه واستسر فيها تمامه فأجنه الثرى وحازمنه بدر دجنة وليث شرى فعطلت الدنيا من علاء وجود وأطلت عليها بفقده حوادث أجدبت تهائمها والنجود وفيه يقول يرثيه بما يسيل الفؤاد نجيعا ويبيت به الاسى لسامعه ضجيعا (خفيف)

أيها الملك قد لعمرى نعى المجـ * ـد نواعيك يوم قمن فحنا

كم تقارعت والخطوب الى ان * غادرتك الخطوب فى الترب رهنا

غير أنى اذا ذكرتك والدهـ * ـرا خال اليقين فى ذاك ظنا

وسألنا متى اللقاء فقالوا الـ * ـحشر قلنا صبرا اليه وحزنا

وكثيرا مايغير هذا الرجل على معانى الشعراء وينبذ الاحتشام من ذلك بالعراء ويأخذها من أربابها أخذ غاصب ويعوضهم منها كل هم ناصب وهذا مما أطال به كد أبى العلاء وغمه فانه أخذه من قوله يرثى أمه (وافر)

فياركب المنون الا رسول * يبلغ روحها أرج السلام

سالت متى اللقاء فقيل حتى * يقوم الهامدون من الرجام

ومما تخلص فيه واخترع كثيرا من معانيه قوله يندبه ويرثيه (منسرح)

يانازحا لم تخط أرحله * ولا جرى بالاياب سانحه

وهاجدا لو يجيب داعيه * أيقظ بالصهيل سابحه

وان من لا تحصى فضائله * حرى بأن لا تحصى مدائحه

ولما أمكنت العدو بموته الفرصة وارتفعت عنه الغصة وزالت التقية واشتاق الملك البقية سرى الى سرقسطة سرى قيس لاهل الهباءة وأسرع نحوها اسراع الحمام الى التأبي من حر الاباءة وأقام عليها يمحو رونقها ولا يألو استئصالا بارمقها حتى أعادها كالنظم الواهي النثير ويوبقهن بما كسبوا ويعفو عن كثير ومازال يورث أهلها كل هم كامل ويجدد كل كامن دخيل ويغير جنات من أعناب وزرع ونخيل حتى أصبحت كالصريم وراح الفساد فيها الاريم فطاع له أهلها بحكم القسر ورأوا الذمة أجدى من الغل والاسر ذلك منها معقلا يوهم العقول ويوهن وقع الصارم المصقول وحين استباحها وأدجى فجرها وصباحها بحث عن قبر الامير أبي بكر فعمى عليه موضعه وحمى منه بالانكار مضجعه فدل عليه أحد المرتسمين بخدمته المتسمين بنعمته وأثار منه طود مجد وبحر ندى وأعراه من ثراه بعدما التحف باحسانه وارتدى (طويل)

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فأخرجه من مدفنه وأبرزه من كفنه وعاث فى تلك الاشلا ومزق منها ماقصرت عنه يد البلى سيرة من أقبح السير تنكرها نفوس الغير وفى ذلك يقول (خفيف مجزوء)

خل عيني كعهدها * لبكاها وسهدها
ان بالثغر رمة * سكنت غير لحدها
أبرزتها أيدى رجا * ل غدوا عين مجدها
سكنوا ظل امنها * وامتروا در رفدها

وله فى ذلك (مديد)

ياصدى بالثغر جاوره * رمم بوركت من رمم
صبحتك الخيل عادية * وأثارتك فلم ترم
قد طوى ذا الدهر غرته * عنك فالبس حلة الكرم

ولابن خفاجة فى مثل ذلك (مديد)

ياصدى بالثغر مرتهنا * لممر الريح والديم
لاأرى الأخاكمد * باكيا منك أخا كرم
كم بصدرى فيك من حرق * وبكفى لك من نعم

ولما فاتت سرقسطة من يد الاسلام وباتت نفوس المسلمين فرقا منها في يد الاستسلام ارتاب بقبح أفعاله وبرئ من احتذائه بتلك الآراء وانتعاله وأخافه ذنبه ونبا عن مضجع الامن جنبه فكر الى المغرب ليتوارى في نواحيه ولا يتراءى لعين لائمه ولاحيه فلما وصل شاطبة حضرة الامير الاجل أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وجد باب نفاذه وهو مبهم وعاقه عنه شجان مدلول عليه ملهم ناهيك من ملك سري وليث جري تبتهج العلياء بسجاياه وتتأرج الدنيا بعبق مجده ورياه فاعتقله اعتقال الاشفى الدين من الامه وشهد له بعقيدة اسلامه وفي ذلك يقول وهو معقول يصرح بمذهبه الفاسد وغرضه المستاسد (كامل)

خفض عليك فما الزمان وريبه * شيء يدوم ولا الحياة تدوم
واذهب بنفس لم تضع لتحلها * حيث احتللت بها وأنت عليم
ياصاحبي لفظا ومعنى خلته * من قبل حتى بين التقسيم
دع عنك من معنى الاخاء ثقيله * وانبذ بذاك العبء وهو ذميم
واسمع وطارحني الحديث فانه * ليل كاحداث الزمان بهيم
خذني على أثر الزمان فقد مضى * بؤس على أبنائه ونعيم
فعسى أرى ذاك النعيم وربه * مرح ورب البؤس وهو سقيم
هيهات ساوت بينهم اجداثهم * وتشابه المحسود والمرحوم

ولما خلص من تلك الحبالة ونجا وأنار من سلامته ما كان دجا احتال في اعفاء ماله واستيفاء آماله فأظهر الوفاء للامير أبي بكر بالرثاء له والتأبين ودهيه في ذلك واضح مستبين فانه وصل بهذه النزعة من الجناية الى حرم وحصل في ذمة ذلك الكرم واشتمل بالرعى وأمن من كل سعي فاقتنى قينات ولقنهن الاعاريض من القريض وركب عليها الحانا أشجى من النوح ولطف بها الى اشادة الاعلان باللوعة والبوح فسلك بها أبدع مسلك وأطلعها نيرات مالها غير القلوب من فلك فمن ذلك قوله (منسرح)

* ان غرابا جرى بينهم * جاوبه بالثنية الصرد *
صاروا فها أنت بعدهم جسد * قد فارق الروح ذلك الجسد
واكتموا صيحة بينهم * بئس والله ما الذي اعتمدوا

وكقوله (طويل)

سلام والمام ووسمى مزنة * على الجدث النائى الذى لا أزوره
أحقا أبو بكر تقضى فلا يرى * ترد جماهير الوفود ستوره
لئن أنست تلك القبور بلحده * لقد أوحشت اقطاره وقصوره

ومن قلة عقله ونزارته انه فى مدة وزارته سفر بين الامير أبى بكر و بين عماد الدولة بن هود بعد سعايات عليه أسلفها وذخائر كانت له على يديه أتلفها فوافاه أوغر ما كان عليه صدره وأصغر ما كان عنده قدره فآل به ذلك الانتقال الى الاعتقال فأقام فيه شهورا يغازله الحمام بمقلة شوهاء وتنازله الاوهام بفطرته الورهاء وفى ذلك يقول يخاطب ذا الوزارتين أبا جعفر يزيد بن مجاهد (وافر)

لعلك يا يزيد علمت حالى * فتعلم أى خطب قد لقيت
وانى ان بقيت بمثل ما بى * فمن عجب الليالى أن بقيت
يقول الشامتون شقاء بخت * لعمر الشامتين لقد شقيت
أعندهم الامان من الليالى * وسالمهم بها الزمن المقيت
وما يدرون انهم سيسقوا * على كره بكأس قد سقيت

(وعزم) عماد الدولة يوما على قتله وألزم المرقبين به التحيل فى ختله فنمى اليه ذلك الامر الوعر وارتمى به فى لجج البأس والذعر فقال (طويل)

أقول لنفسى حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى
ترى تحملى بعض الذى تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

ثم قضى له قدر قضى بانظاره وما أمضى من اباحته ما كان رهين انتظاره ويمهل الكافر حكمة من الله وعلما وانما نملى لهم ليزدادوا اثما

تم القسم الرابع من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان وبتمامه تم جميع الديوان والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعبده

سبحان من منح الفتح بن خاقان قلائد العقيان مشكاة للبلغاء منارا للفصحاء تقلد كل منهم بقلادة من قلائده وتوشح كل بوشاح من عقيان خرائده خروا لسحر ألفاظه سجدا وقاموا الفهم معانيه هجدا سجعت بالمغرب حمائم دوحه فأشجت من بالمشرق ونشرت من روحه فكان حريا بحسن الطبع جديرا

بلطف

بلطف الوضع خصوصا بالمطبعة الخديوية ببولاق مصر المعزية في أيام ابتسم ثغرها عن العدل وأفاضت على الأنام جزيل الفضل في ظل من سارت الركبان بذكره في كل ناد ونطقت الالسنة بمدحه في كل واد عزيز مصر ووحيد العصر سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلي اسمعيل بن ابراهيم بن محمد علي لازال جيد الدهر حاليا بعقود مواكبه وفم الافق ناطقا بسعود كواكبه حفظ الله دولته كما حفظ رعيته وأدام مجده وخلد جده وحرس أشباله الكرام وجعلهم غرة في جبين الايام ملحوظة دار الطباعة المذكورة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تدبير نضارها من لاتزال عليه أخلاقه باللطف تثني حضرة حسين بك حسني ثم ان الملتزم لهذا الطبع الظريف والوضع اللطيف الآخذ من العلم بحظه الافخم حضرة الشيخ محمد صالح أكرم والتصحيح بعد التنقيح بمعرفة الفقير الى الله سبحانه محمد الصباغ أسبغ الله

عليه النعم أتم اسباغ وتضوع عرف ختامه وتم

سلك نظامه في العشر الاول من صفر الخير

من سنة ١٢٨٣ من هجرة من زال به

كل هم وضير عليه الصلاة

والسلام وعلى آله

وصحابته

الفخام

م

طبع هذا الكتاب على ذمة المعتمد على ربه الأعظم حضرة الشيخ محمد صالح
ابن المرحوم الشيخ محمد أكرم المكى بلدا الحنفى مذهبا الماتريدى عقيدة
الختمى طريقة غفر الله له ولوالديه وأحسن اليهما واليه

(فهرسة قلائد العقيان)

صحيفة

الوزير

صحيفة

صحيفة